خواطر عن الثورات

رأى فى الثورات

تأليف
حنه أرينيدت

تعريب وتعليق
خيرى حماد

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
عدد الصفحات ٣٢٥ ص ١٧×٢٤سم

الثمن ٥٠ قرشا

بقلم : رئيس التحرير

كلمة ثورة بطبيعتها وبرغم ما يقترن بها ويلازمها من صور العنف ومشاهد القسوة وأعمال الهدم من الكلمات المرنة المطاطة التى يعوزها شىء من التبلور والتحديد .

فنحن نقول الثورة الفرنسية الكبرى ، ونتحدث عن الثورة الأمريكية التى أسفرت عن استقلال الولايات المتحدة وانفصالها عن الامبراطورية البريطانية ، والثورة الروسية وسقوط الحكومة القيصرية ، كما نتحدث عن الثورة فى تفكيرنا وأساليبنا فى الحياة ، ونشير الى الثورة فى وسائل الصناعة وطرائق الانتاج وفى أزياء الرجال والنساء وهكذا الى مالا نهاية .

ويمكن أن نستبين فى النواحى المختلفة لاستعمالنا كلمة ثورة معنى التغيير المفاجىء أو التغيير الشامل للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسائر النظم والعادات والتقاليد .

ولكن بالرغم من أستعمالنا كلمة ثورة للدلالة على الكثير من التغيرات الواسعة النطاق أو المحدودة النطاق فاننا نظل محتفظين فى جانب من عقلنا بمعنى شبه محدد للثورة ، وهذا المعنى هو الانقلابات الخطيرة التى تحدث فى المجتمعات السياسية التى كانت من قبل موطدة الدعائم ، مثل الثورة الانجليزية فى سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية والثورة الروسية سنة ١٩١٧ .

وقد تقترن الثورة بالفظائع واراقة الكثير من الدماء وأعمال التطهير القاسية وصور المقصلة وأساليب التعذيب والارهاب ، ولكننا نركز نظرنا دائما على حلول جماعة تصرف سياسة الدولة وتدير آلة الحكم بدلا من جماعة أخرى ، وهذا التغير قد يحدث بالثورة الحاطمة أو بالثورة البيضاء البريئة من العنف واسالة الدماء ، وقد تحدث بالانقلاب ممثلا فى الانتخابات مثل الانتخابات

وستظل الانسانية تحلم بالمجتمع المثالى ، والمؤرخ الذى يحاول تشخيص أعراض الاضطراب ورصد أحـــوال القلق والتمرد يمكن أن يرى ظواهر الاضطراب ودلائل السخط والتبرم فى أى مجتمع يحاول دراسته واستقصاء تاريخه ، وذلك حتى فى أزهى عصور الحضـــارة ، واذا كان المجتمع السليم هـــو المجتمع الخالى من دواعى السخط والتذمر والذى ليس فيه نقد للحكومة ولا ضيق بالنظم الســـائدة ولا خروج عليها فانه ليس ثمة من مجتمع سليم بكل ما تحمل الكلمة من معـــانى السلامة .

فليس المجتمع السليم اذن هو المجتمع الذى ليس فيه نقد للحكومة ولا خطب ولا مواعظ ضد الخروج على الأخلاق والاستهانة بالتقاليد والذى يخلو من الاضرابات والاعتصابات وأزمات البطالة والاعتداء على الحريات ولا ترتكب فيه جرائم ولا تزدحم السجون ، وكل ما تنتظره من المجتمع الذى يصح أن نسميه نســـبيا بالمجتمع السليم هو ألا تكثر فيـــه أمثال هذه التوترات والذى يشعر فيه الناس بأنه ــ على ما فيه من عيوب ومساوىء ــ محتمل ومقبول .

والمسألة الاقتصادية تلعب دورا بارزا فى معظم الثورات ، فالثورة الانجليزية بدأت بالصراع بين أسرة ستيوارت والبرلمان من أجل الضرائب ، وكان من أسباب الثورة الأمريكية اسراف الحكومة البريطانية فى فرض الضرائب ، وكذلك كان لمسألة الضرائب أثرها فى احداث الثورة الفرنسية .

على أن يلاحظ بوجه عام أن أكثر المجتمعات التى حدثت فيها الثورات المأثورة لم تكن تعانى العسر المالى الشديد ، ولم تكن مرتبكة من الناحية المالية وانما الحكومة ذاتها هى التى كانت تعانى الضـــائقة الماليـــة ولا تحسن تدبير أحوالهـــا الاقتصادية ، وأحوال فرنسا المادية بوجه عام كانت فى تحسن فى فترة ما قبل الثورة ، وغاية ما فى الأمر ان هـــذا الرخاء لم يكن موزعا توزيعا عادلا ، وكان الذين يستمتعون بمزاياه هم التجار ورجال الأعمال والمحامون وكبار المزارعين ، وكان هؤلاء المياســـير مع ذلك أشد الناس نقمة على الحكومة ، ولا يشترط فيمن يقومون بالثورة أن



البريطانية سنة ١٩٤٥ التى مكنت الاشتراكيين من السيطرة ، وقد سماها بعض المفكرين « ثورة بالموافقة » .

ومحاولة تحليل الأحوال الانســـانية بتجرد العالم الطبيعى أو الكيميائى تقوم دونها صعاب كثيرة ، والذين يحللون ثورة من الثورات قـــد يكونون من كارهى الثورات والحاقـــدين عليهـــا فيبالغون فى تصوير أهوالها وتضخيم أخطائها ، وقد يكونون من المطبوعين على حب الثورة والولع بالتغيير فيحاولون ستر عيوبها وتسويغ أخطائها وتبرير قسوتها وعنفها مما يجعل التماس الحقائق فى تاريخ الثورات لاستخلاص نظرية عامة من المسائل الشاقة التى تحتاج الى نزاهة غير عادية وموضوعية قد تضيق بها الطبيعة البشرية .

واضطراب النظم ووجود المساوىء الاجتماعية من الأمراض المستوطنة فى كل مجتمع بشرى ،

يكونوا على الدوام ممن عسرهم الفقر وعانوا الضيق والحرمان ، لأن الشعور بالظلم الناشىء من عدم المساواة أشدمضاضة على نفوس الأحرار من أى شىء آخر ، وحينما شبت الثورة فى أمريكا وهى قارة خالية من ازدحام السكان فى القرن الثامن عشر كان الضيق الاقتصادى أمرا نسبيا محضا ، وكان هناك توترات اقتصادية من جراء فرض الضرائب ولكن مع ذلك لم تكن هنـــاك طبقة قد سحقها الفقر المدقع واستذلتها الحاجة الماسة .

ولا يشترط ان تنشأ الثورات فى المجتمعات المتخلفة اقتصـــاديا ، وأكثر الثورات ظهرت فى مجتمعات متقدمة من الناحية الاقتصادية ، وليس معنى ذلك أنه لم تكن هنـــاك جماعات فى داخل هـــذه المجتمعات تشكو المظالم وبخاصة المظالم الاقتصادية .

وكان هنـــاك بؤرتان رئيسيتان تثير فيهما الدوافع الاقتصـــادية عوامل التبرم والشعور بالسخط ، أولهما بؤس بعض الطبقـــات فى أى مجتمع ، ولكن هذا البؤس على أهميته واستفزازه النفوس وتحريكه لكوامن الأحقاد ليس فى المرتبة الأولى من الأسباب الداعية الى اشعال الثورات واحـــداث الانقـــلابات ، وقد أكد المؤرخون الفرنسيون الجمهوريون أهمية المحصول الردىء لسنة ١٧٨٨ والشـــتاء الشديد القر ســـنة ١٧٨٩/١٧٨٨ فى فرنســـا وما عاناه الفقراء من جراء ذلك ، وكان شتاء سنة ١٩١٧/١٩١٦ فى روسيا كذلك شـــديدا قاسيا ، وكان التموين محدودا فى كل مدينة ، ولكن تاريخ فرنسا وتاريخ روسيا حافلان بأخبار وقوع المجاعات المضنية والأوبئة الفتاكة والمحاصيل الرديئة ، وفى بعض الأحيان كانت هذه الأحداثمحلية محدودة النطاق وفى أحيان اخرى كانت قومية شاملة ، وكثيرا ما كان يصحبها اضطرابات وقلاقل ولكن واحداً منها ليس غير هو الذى أسفر عن الثورة الكبرى الجتاحة ، ولا نجد نظيرا لذلك فىالثورة الانجليزية ولا فى الثورة الأمريكية .

وواضح من ذلك أن الضيق الاقتصادى الذى يعانيه المحرومون من الامتيـــازات ولو انه قـــد يتمخض عن الموقف الثـــورى الا أنه ليس من العلامات التى يمكن الاســـتدلال بها على حتمية وقوع الثورة ، وقد لحـــظ ذلك الماركسيون ، فتروتسكى نفسه يقول « فى الواقع أن وجود الحرمان ليس كافيـــا لاثارة الثورة ، ولو كان الأمر كذلك لكان جمهور الناس فى ثورة دائمة » .

والدافع الأهم هو أن يتمكن الشعور فى نفوس جماعة الناس بأن الأحوال السائدة تعوق نشاطهم الاقتصـــادى وتحد منـــه وتقضى على أملهم فى التقدم وموالاة تحسين أحوالهم وتأمين موقفهم .

ففى الثورة الأمريكية وجد التجار الميسورون ان سياسة الحكومة البريطانية الاستعمارية تحطم آمالهم وتقيم العقبـــات والعواثير فى طريقهم ، وساد الشعور بين الجماعات الناشطة الطامحة بأن الحكم البريطانى ينطوى علىالاستغلال الظالم وأنه عقبة فى سبيل نجاحهم فى الحياة ومواجهتهم للمستقبل .



وفى فرنســـا كانت السنوات السابقة لسنة ١٧٨٩ تمتاز بسلســـلة من الاجراءات التى تثير نقمة جماعات من مختلف الطبقـــات ، فبسوء تصرف عجيب كانت الحكومة تبذر بيد ما تجمعه باليـــد الأخرى ، والمجهود الذى بذل من اجل اصلاح الضرائب لم ينفذ ، وكان لاخفاق تيرجو فى وضع اصـــلاحاته موضع التنفيذ اثر كبير فى اثارة نقمة المستنيرين والتقدميين بوجه عام .

وهكذا نرى أن النقمة الاقتصادية لا تظهر غالبا فى صورة الضائقة والحرمان وانما تظهر فى صورة شعور عام عند بعض الجماعات من ذوى

الهمة الناهضة واصحاب الآمال المحلقة بأن تقدمهم فى الدنيا قد قامت فى طريقه العقبات ولابد من دعم هذا الشعور بالدعاية الواسعة واظهاره فى صورة ظلم عام موجه الى كل فرد .

ولكل حكومة فى هذه الأرض عيوبها ، ولكن عجز الحكومات درجات ، وصبر المحكومين كذلك درجات ، وفى معظم الثورات أثبتت الحكومة عجزها ، وكان الشعب المحكوم قلقا غير مطيق .

ولابد للثورة من اعداد فكرى الى جانب العامل الاقتصادى ، ففى الفترة السابقة لحدوث الثورة فى فرنسا كان للماسونية أثر ملحوظ فى الاعداد لها ، وكان جميع الاشراف الطموحين واغلب المستنيرين أعضاء فى الماسونية ، وفى روسيا ما قبل الثورة كان هناك الفوضويون والعدميون والاشتراكيون من كل لون والحربيون وأنصار الغرب وأنصار النزعة السلافية ، وكانوا يعبرون عن انفسهم بالقاء القنابل أو بالتصويت فى انتخابات الدوما .

وطبقة المستنيرين تشمل فى العادة الكتاب والفنانين والموسيقيين والممثلين ، وفى فرنسا كان المستنيرون ناقمين على الحكومة ، وكذلك كان الحال فى روسيا ، وقد اشتملت الروايات التى كتبها كبار الكتاب الروسيين على نقد للمجتمع الروسى من مختلف نواحيه ، وحتى مؤلفات تورجنيف الذى كان ينحو فى رواياته منحى فنيا خالصا لم تخل من تناول مشكلات عصره السياسية والاجتماعية وكتابه (مذكرات صياد) كان له أثره المعروف فى تحرير المزارعين الروسيين .

وفى انجلترا وفرنسا وأمريكا كان المبدأ الأصيل الذى يستحث الناس على تغيير الحالة الراهنة والضيق بها والتمرد عليها هو الاعجاب بالطبيعة وقوانينها الواضحة البسيطة ، فامتيازات النبلاء فى فرنسا وقوانين الدمغة فى أمريكا كانت تعتبر جميعها خروجا على الطبيعة ومنافرة لقوانينها ، أما فى روسيا فكان الايمان بالماركسية يغرى بالاعتقاد بأن النظام الرأسمالى ضد الطبيعة وان القضاء عليه مسايرة للطبيعة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان ثورة المتطهرين وثورة القائلين بالعودة الى الطبيعة وثورة القائلين بالمادية الدياليكتيكية كانت كلها تجعل انتصار المغلوبين على أمرهم من المسائل المؤكدة ، لأن الغالبين حصلوا على امتيازاتهم بالمصادفة او بالحيلة ، وكأن الطبيعة أو الحركة الدياليكتيكية كانت فى اجازة أو توقف وقتى عن العمل ! .

وكراهة الشر الحاضر الماثل والتطلع الى الخير المنتظر يقويهما ما يسميه البحاثة الفرنسى سوريل « بالخرافة » وهكذا تسبق الأفكار الثورات ، واذا لم تكن هناك أفكار فلا سبيل الى اشعال الثورات وليس معنى هذا ان الأفكار هى سبب الثورات وان خير طريقة لمنع الثورة هو الرقابة على الأفكار ، وانما ، معناه أن الأفكار تكوّن جزءا هاما من دراسة الثورات .

والذين يحاولون تحليل الثورات باعتبارها مظهرا نفسيا اجتماعيا ثقافيا له ملامح عامة وسمات مشتركة يتوقف بحثهم على الحقائق المستمدة من التاريخ أو من الثورات التى يحضرون أمرها ويتمرسون بأحوالها ، على أن بعض المؤرخين الموكلين بدراسة الأحداث الانسانية الفذة المتفردة يقاومون كل محاولة لاستخلاص تعميمات عن النظام الاجتماعى أو السلوك الفردى أو الجماعى من دراسة حركات ثورية خاصة ، وأمثال هؤلاء المؤرخين يعترضون على أى تصميم مستمد من التاريخ ويشكون فيه ، والواقع أنهم لا يصدقون بفكرة أن هناك سيكلوجية اجتماعية ، ومع تسليمنا بصعوبة استخلاص العموميات من الخصوصيات فانه لا يزال هناك مجال واسع للقيام بمحاولات للنظر فى الوجوه الاجتماعية والنفسية للثورات والبحث عن الصفات المشتركة بينها .

وقد رأى الكاتب البحاثة المعروف الأستاذ خيرى حماد أن يزود المكتبة العربية بكتاب عن الثورات يدرسها دراسة علمية ويكشف عن طبيعة الفكر الثورى فاختار للتعريب والتعليق كتاب المؤلفة حنة أريندت عن الثورة واسماه «رأى فى الثورات» وقد حدثنا فى مقدمة الكتاب عن المؤلفة بانها هاجرت الى أمريكا فى عام ١٩٤١ واكتسبت

الجنسية الأمريكية لتتولى التدريس فى كبريات جامعاتها ، وانها فى رأى أحد النقاد الأمريكيين تعد من « أقوى الأدمغة وأكثرها ابتكارا فى حقل السياسة المليء بالنظريات المتضاربة » وانهـــا « باحثة تغوص فى الأعماق لتظهر على حقيقتها كواحدة من أكبر فلاسفة السياسة المعاصرين » .

وذكر الأستاذ حماد فى مستهل المقدمة التى كتبها للكتاب أن الدراسات العلمية المقارنة عن الثورة وأصولها وجذورها وقواعدها ومفاهيمها وتطلعاتها وأهدافها قليلة ، وأقل منها أن تكون موضوعية بعيـــدة عن التحيز نائية عن الغرض وبخاصة لأن المفاهيم الثورية قد اختلفت معانيها وتعددت مناحيها .

وعند الأستاذ حماد أن الثورة « لم تعد تمثل مجرد انتفاضـــة ضيقة الأفق محدودة الهدف تتوخى رفع حيف معين أو تغيير وضع محدد ، وانما باتت ثورة شاملة تتناول كل أفق من آفاق الحياة ومجالاتها ، وتستهدف التغير الجـــذرى المصحوب بعملية البناء الكاملة لضمان غـــد افضل عن طريق اقامة مجتمع الكفاية والعدل » .

وقد تنـــاول الكتاب بحث « معنى الثورة » والمشكلة الاجتماعية ومشكلة البحث عن السعادة كما تحـــدث فى أحد الفصول عن الدساتير الحرة وعقدت المؤلفة فصلا للتحدث عن « النظام العلمانى الجديد وفصلا آخر عن التقليد الثورى » .

وقد تناولت الكاتبة فى مقدمة الكتاب العلاقة بين الحـــرب والثورة ، وهى ترى أن الحـــروب والثورات قررت حتى اليوم صـــــورة القرن العشرين ، والحروب فى العهـــد الحاضر تهدد البشر بالابادة فى حين أن الثورة تعـــد الانسانية بالتحرر الشامل ومن ثم لم تبق ســـوى قضية واحدة هى اقدم القضايا الانسانية وهى قضية الحرية .

وترى الكاتبة أن الحروب من أقدم الظواهر الطبيعية فى التاريخ المدون فى حين أن الثورات لم تكن موجـــودة قبل بداية العصر الحديث ، وان الحرب لم ترتبط مع مفهوم الحرية الا فى حالات نادرة ، وتتبع ذلك بقولها الذى لم يخـــل من الغموض « ولـكن بالرغم من صـحة القول بأن الثورات التى تحمل طابع الحروب ضد الغزاة الأجانب كانت تعتبر على الغالب حروبا مقدسة الا أنها لم يعترف بهـــا لا من الناحية النظرية ولا من الناحيـــة العمليـــة كالحروب العادلة الوحيدة » .

واذا كانت الثورة التى تحمل طابع الحرب لم يعترف بها كالحروب العادلة الوحيدة فماذا يضيرها هذا الضن بالاعتراف ؟ وهل حقيقة ان الانسانية لم تعرف الثورة الا فى العهد الحديث كما تزعم المؤلفة ؟ لقد قامت فى العصور القديمة ثورات كثيرة ، وقد تختلف فى صــــورتها عن الثورات الحديثة ولكنها كانت تتفق مع الثورات فى أنهـــا كانت ترمى الى تغيير الأوضاع السائدة أو تعديلها على الأقل .

وذكرت المؤلفة رأى المؤرخ الرومانى ليفى وهو « ان الحـرب الضرورية حرب عادلـة ولا تكون الأســـلحة التى لا يمثل الأمل فيها الا أسلحة مباركة » ولسـت أدرى ما هى هذه الأسلحة التى لا يمثل الأمل فيها ، ولا يخرج الأمر عن اثنتين وهما اما ان هناك خطأ فى الترجمة واما أن هناك خطأ مطبعيا جعل كلمة ليفى غير مفهومة ، وكان من حق القـــارىء على الأستاذ حماد أن يجنبه هذه الحيرة .

وتقول المؤلفة « ان العلوم الحديثة التى تبدد سراب الخيـــالات كالنفس والاجتمـــاع » فأى « اجتماع » هذا الذى بدد سرابه العلم الحديث ؟ ويا ليت الأستاذ المعرب ــ كما يؤثر أن يقول ــ وضع الكلمة بالانجليزية ولو فى آخر الكتاب فقد لاحظت أن لهطريقة خاصة فىالتعريب ، فهو مثلا يقول « الحرب الكونية » ويقصد ما أتفق جميع المترجمين على تسميته « بالحرب العالمية » وكلمة كونيـــة التى آثرها واختـــارها تشعر الانسان أن الكواكبوالأقمار والجبالوالأنهار قد اشتركت فى هذه الحرب الكونية .

وتقول المؤلفة « نستطيع القول أن تاريخ الحرب فى القرن العشرين الذى نعيش فيـــه يشير الى

قصة العجز المتزايد من جانب الجيش عن اداء هذه المهمة الأساسية (مهمة حماية السكان المدنيين) اذ ان سوقية « الردع » قد بدلت دور العسكريين من صورة الحماة المدافعين الى صورة المنتقمين الذين لا جدوى من انتقامهم » فما المقصود « بسوقية الردع » هذه ؟ وقد سماها في موضع آخر « سوقية الكبح » فلم يزدنا علما بمعنى كلمة « السوقية » هنا .

وترى الكاتبة أن المستقبل للثورات لا للحرب وهى تقول فى ذلك « لو تمكنا من تغيير صورة هذا القرن الى الحد الذى لا يغدو فيه قرنا للحروب فانه سيظل حتما قرنا للثورات » .

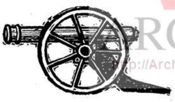
وفى الفصل الذى عقدته المؤلفة لبيان معنى الثورة تقول ما معناه ان التفسير المادى للتاريخ يرجع الى أيام أرسطو الذى قال ان المصلحة التى تفيد شخصا أو جماعة أو شعبا هى التى تتحكم بل يجب أن تتحكم فى القضايا السياسية ، وعندها « ان المشكلة الاجتماعية لم تبدأ فى أداء دورها الثورى الا عندما بدأ الناس يشكون فى العصر الحديث لا قبله فى أن الفقر فطرى فى الأوضاع الانسانية وان التمييز بين أفراد القلة الذين نجحوا عن طريق الظروف أو النفوذ أو الخداع فى تحرير انفسهم من قيود الفاقة وبين جماهير العمال الذين أصابهم الفقر بنابه شىء حتمى وأبدى » .

وربما كان هذا الشك الذى أشارت اليه المؤلفة هو ما يميز الثورات فى العالم الحديث ، ولكن هذا لا يمنع أن العالم القديم قد عرف الثورات كما عرفها العالم الحديث .

وتخالف المؤلفة القائلين بأن جميع الثورات العصرية مسيحية فى جذورها حتى ولو كانت العقيدة التى تدعو اليها هى الالحاد ، وتقول المؤلفة (١) ان الحجة التى تؤيد هذا الادعاء فى العادة تشير الى الطبيعة الثائرة عند رواد العقيدة المسيحية مع التأكيد على المساواة بين الأرواح أمام الله ووعودها بملكوت السماء وان هذه الأفكار انتقلت الى الثورات العصرية وان كان انتقالها بطريق علمانى عن طريق حركة الاصلاح الدينى .

وتمضى المؤلفة فى نقضها لهذا الرأى قائلة « لا ريب أن التحول الى العلمانية والفصل بين الدين والسياسة وقيام ملكوت علمانى معتز بنفسه وكرامته كلها عوامل فى منتهى الأهمية فى الظاهرة الثورية ... والعلمانية نفسها لامضامين التعاليم المسيحية هى التى تؤلف أصول الثورة وجذورها » .

ولا تنكر المؤلفة الدور الذى قام به لوثر فى اضعاف الرابطة بين السلطة والتقاليد ، ولكنها ترى ان كل ما قصده لوثر هو تحرير الحياة المسيحية الصحيحة تحريرا جذريا من اعتبارات النظام العلمانى ، وهى بذلك تخالف المفكرين الذين يرون علاقة وثيقة بين تعاليم المسيحية والدعوة الاشتراكية ورابطة أكيدة بين ثورة لوثر والثورة الفرنسية .



وتحاول المؤلفة أن تلطف من حدة انكارها العلاقة بين التعاليم المسيحية والثورة بقولها « هناك حقيقة واقعة وهى عدم قيام أية ثورة أبدا تحت اسم المسيحية قبل العصور الحديثة ، ومن هنا يكون كل ما يستطيع الانسان أن يقوله فى تأييد هذه النظرية ان تحرير الأسس الثورية للعقيدة المسيحية كان يحتاج الى شىء من العصرية » .

وقد أرادت الكاتبة من وراء ذلك أن تؤكد عنصر الجدة الكامن فى الثورات باعتبارها ظاهرة من ظاهرات العصر الحديث .

والكاتبة تثير فى هذا الكتاب القيم الكثير من

(١) ص ٣٠

القضايا الجديرة بالمناقشة والمراجعة وقد خالفها الأستاذ حماد فى نظرها الى بعض تلك القضايا وقد وضح استدراكاته على المؤلفة فى هوامش صفحات الكتاب .

ولا نزاع فى أن هـذا الكتاب دراسة للثورات جديرة بالتقدير ، ومما يزيد فى قيمته ندرة الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع ، وربما كان من أحسنها تأليفا وأدقها بحثـا كتاب « تشريح الثورة » للكاتب السياسى كرين برينتون وكتاب مبادىء الثورة للكاتب البحاثة السـياسى ديليل بيرنز وكتاب « قانون الثورات » للكاتب الفرنسى أندريه جوسان وما كتبه العلامة سوروكين عن الثورات والحروب فى مختلف مؤلفاته وقد أجاد كارول تلخيص آراء سوروكين فى كتابه الذى جعله مقدمة لفلسـفته وأسـماه « التـاريخ والحضـارة والثقافة » .

وفى الترجمة بعض أخطـاء لغوية تستحق الاشارة اليهـا ، ففى صـفحة ١١٨ « الحـالة المفجعة » وافجع فعل متعد واسم الفاعل منهـا فاجع والصواب الحالة الفاجعة ، وقد تكررت هـذه الغلطة فى صـفحة ٢٦١ اذ ورد « السير المفجع » والصواب « السير الفاجع » وفى صفحة ١٦ « مفازع الحرب النووية » والمفـازع جمع مفزع وهو الملجأ الذى يفزع اليه والمقصود هنا أهـوال الحرب او مخاوفهـا وفى صـفحة ٦٥ « وقد نجد هذا القول من شياع الراى اليوم » واذا كان المقصود الظهور والانتشار فان الصحيح هو « شيوع أو شيعان » ويجىء الشياع بمعنى النداء وهو بعيد عن المقصود هنا .

وفى صفحة ٧٥ يقول « قبع واقع حياتى » والأصوب هنا ان يقول « حيوى » حتى لا يلتبس الأمر بحياة مؤلفة الكتاب .

وفى صفحة ٢٤ ان سقراط اكتشف عندما بدأ فى تفسير نظرية افلاطون عن نظرية التحول شبه الطبيعى أهمية الدوافع الاقتصادية والصواب أرسطو لا سقراط كما يفهم من الوارد بعد ذلك فى الكتاب نفسه .

وفى التعليق الذى ذكره الأسـتاذ حماد فى هامش صفحة ١٩٧ يذكر ضمن مؤلفات الأستاذ ر . و . لفنجستون كتـابه « عبقرية الاغريق ومعنـاها لأمريكا » ولست أدرى من أين جاء الأستاذ « بأمريكا » هنا ، والمؤلف انجليزى صميم واسم الكتاب بالانجليزية هو :

The Greek Genius and Its meaning to Us.

أى العبقرية اليونانية ومعناها لنا اى لقومه الانجليز او للعصر الحاضر بوجه عام فلا داعى اذن لقصرها على أمريكا هنا وفى الكتاب اخطاء أخرى مطبعية وغير مطبعية تجعل من العسير فهم بعض عباراته ومتابعة طريقة تفكير المؤلفة .

والهنات التى ذكرتها لا تقلل بحال من تقديرى لما بذل الأستاذ المترجم من جهد ولحسن اختياره فى نقل هـذا الكتاب الحافل بالأفكار والآراء والمعلومات لقراء اللغة العربية .

على ادهم

سطور من كتاب ...

« عبادة الانسان او مذهب الايمان بالانسان ليست ضربا من عبادة الاوثان يقتصر على الهيلينيين وحدهم ، فهناك ما يوحى بأنها كانت العقيدة المميزة للانسان فى طور تحضره فى كل زمان ومكان . فمن الواضح الجلى ، انها على سبيل المثال ، العقيدة السائدة فى واقع الأمر ـ وان كان لا يعترف بذلك ـ فى العالم الغربى فى الوقت الحاضر » .

... تاريخ الحضارة الهيلينية

المنطق وفلسفة العلوم

تأليف : پول موى
ترجمة : الدكتور فؤاد زكريا
مراجعة : الدكتور محمود قاسم

الناشر مكتبة نهضة مصر « جزءان » ، عدد الصفحات ٥٤٠ مقاس ١٤ × ٢٠ سم
الثمن ٦٣ قرشا

يقع الكتاب بجزأيه فى ثلاثة عشر فصلا وخاتمة ، وهى : (١) المنطق وعلم النفس . (٢) المنطق (٣) الروح العلمية (٤) تصنيف العلوم (٥) موضوع العلوم الرياضية (٦) منهج العلوم الرياضية (٧) العلوم الطبيعية (٨) علوم الحياة (٩) العلوم الانسانية (١٠) النظريات الحالية فى الفيزياء الرياضية (١١) النظريات الحالية للعلوم الطبيعية (١٢) العمليات العامة للتفكير (الاستنباط والاستقراء) (١٣) العمليات العامة للفكر (تكملة) ـ التحليل والتركيب ـ الحدس (١٤) خاتمة .

العصر الذى نعيش فيه يعد بحق عصر العلم . واذا أمكن تقسيم الدول التى يقرب عددها من مائة أو يزيد قليلا الى قوية وضعيفة ، متقدمة ومتخلفة ، كبرى وصغرى ، وهى قسمة تنطبق على الواقع القائم بالفعل ، فانما يرجع ذلك الى شىء واحد ، هو العلم . فالدول التى تملك العلم هى القوية المتقدمة الكبرى ، وتلك التى لا تملكه هى الضعيفة المتخلفة ـ أو بتعبير مهذب النامية ـ والصغرى . لأن الذى يملك العلم يملك القوة ، سواء اكانت هذه القوة فى هيئة أسلحة حربية ترغم الدول المجردة من العلم على الخضوع والاستسلام ، أم فى هيئة مكتشفات تذلل الطبيعة وتيسرها لخدمة الانسان . ولا مكان لدولة لا تسير فى موكب العلم فى هذا العالم . وقد أشار الرئيس جمال عبد الناصر الى هذا المعنى فى كثير من خطبه فى عيد العلم . ثم خطت الجمهورية العربية المتحدة نحو العلم خطوات منظمة ، فانشىء المعهد القومى للبحوث ، وأنشئت وزارة البحث العلمى .

ولكن ما دخل « البحث » العلمى فى العلم ؟ ليس العلم فى الواقع شيئا آخر سوى البحث العلمى .

انه منهج ، طريقة ، روح ، حتى اذا سار العالم على المنهج الصحيح فى بحثه استطاع أن يبلغ العلم . ان العلم الذى يحصله المرء بغير منهج ولا بحث لا يعد علما ، بل « معلومات » يأخذها عن غيره ، ويحفظها ، ولكنه لا يبتكرها اذا منعت عنه . فلا غرابة أن تحتل مناهج البحث فى العلوم مكان الصدارة فى المطالب العلمية .

ولم يغب هذا المعنى عن ذهن المؤلف الذى وضع لكتابه عنوانا غريبا ، أو على الأقل يجده القارىء الذى لم يدرس الفلسفة كذلك ، وهو : المنطق وفلسفة العلوم . فما الصلة بين المنطق ، وبين فلسفة العلوم ؟ وأين هذا « البحث العلمى » الذى نزعم أنه المحور الذى يدور العلم عليه . قال المؤلف الذى حذف المنهج العلمى من عنوان الكتاب ما نصه فى صفحة ٥٨ من الجزء الأول : « وسوف نخصص الجزء الأكبر من هذا الكتاب للبحث فى المناهج ، وسنستخلص الأمثلة التى سنوردها من تاريخ العلوم . وسوف تتاح للقارىء فرص عديدة للالمام بهذا التاريخ » .

ويرى المؤلف أن اسم « فلسفة العلوم » يطلق على شكل من أشكال المنطق ، وانه يمر بمراحل أربع هى (١) تاريخ العلوم (٢) مناهج البحث العلمى (٣) الابستمولوجيا (٤) نظرية المعرفة .

وهذه الدراســات المتنوعة يرتبط بعضها ببعضها الآخر تماما ، وتعد عملية واحدة ، اللهم الا تاريخ العلم الذى ربما كان فصلا تمهيديا فى تطور العـلم ، فيستطيع عالم الطبيعة مثلا أن يضرب صــفحا عن نظريات العـلم الطبيعى وفلسفته التى سادت منـذ أرسطو الى ثلاثة قرون مضت . وقد ظهرت الحاجة حديثا الى مباحث خاصــة فى تاريخ العلوم ، فانشئت فى بعض الجامعــات كراسى لهـذه المادة ، وأصدر الأساتذة المنقطعون الى هذا الضرب من الدراسة التاريخية كتبا قيمة ، نذكر منها كتاب «سارتون» فى تاريخ العلم ،والذى صدر منــه مجلدان كبيران ، وقد نقل المجلد الأول الى اللغة العربية ، ويتحدث المجلد الثانى عن القرون الثلاثة قبل الميلاد ، وهو يترجم الآن الى العربية .

وهـكذا فان بعض الباحثين يرى أن فلسفة العلوم ، تختلف عن تاريخ العـلوم ، وكلاهمـا يختلف عن مناهج البحث العلمية ، على الرغم مما بينها من صلات . ولكن طريقة مؤلفنا بول موى ، فرنســية ، تجمع بينهـــا ، وتجعـل « الفلسفة » أصلا يتفرع عنه سـائر ما ذكرنا . ولا غرابة فى ذلك ، فغرام الفرنسيين بالفلسفة معروف مشهور .

ولكن الذى نأخذه على المؤلف ليس غرامه بالفلسفة بمقدار ما نأخذ عليه غرامه بالفلاسفة الفرنسيين . ذلك أن آلهـة الفكر عنده سلسلة من الفلاســفة تبدأ بديكارت وتمر ببســكال وأوجست كونت وتنتهى فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بوانكاريه ، وبوترو ، وبرجسون . ولما كانت الفلسفة الفرنسية ممثلة فيمن ذكرنا فلسفة عقلية ، فلا جرم أن يصطنع المؤلف هذا المذهب العقلى ، وأن يدافع عنه ، وأن يهـاجم برجماتية الأمريكان ، وتجريبية الانجليز — ولكنه لم يهاجم مثالية الألمان . يقول فى الجزء الثانى ص ٢٨٠ بعنوان : دفاع عن المـذهب العقـلى : « وهنـــا تعرض لنا مسـألة أكثر تعقيدا من الســابقة تؤدى بنا الى اتخاذ موقف مضـاد لبرجسون ندافع فيه عن المذهب العقلى ، الذى يدمج فى العقـل كل الوظـائف الذهنيـة حتى اللذة والألم والميول والارادة » .

ونذكر على سبيل المثال نقد البرجماتية ، كما ورد فى الجـزء الأول ص ١٧ : « كان جيمس والبرجماتيون يفخرون «باتساع أفقهم» . ولكن الحق أن هذه الروح الفضفاضة تبلغ حدا يؤدى الى القضاء على كل معنى لكلمة « النافع » عندما كانوا يعرفون الحقيقة عن طريق المنفعة .. الخ » . ولسنا فى حاجة آنى بيان أن البرجماتية لا تقول « بالمنفعة » .

وللانصــاف نقول ان المؤلف يشـيد بذكر « كانط » بوجه خاص ، ويضعه دائما فى صف واحد الى جانب ديكارت .

ومهما يكن من شىء فالـكتاب نافع ، هـام ، وضرورى لكل مشتغل بالبحث العلمى فى المرحلة الثورية التى يجتازها فى الوقت الراهن . ونحن فى حاجة الى أكثر من كتاب فى هذا الموضوع ، ينقل الى اللغـة العربيـــة ليسـتفيد منه طلاب البحث .

يبـــدأ الكتاب ، أعنى فى أول صفحة منه ، بتعريف علم النفس . ولـكنه لم يذكر فى هذه الصفحة الواحدة تعريفا واحدا ، موحدا ، بل ثلاثة تعاريف هى على التوالى :

(أ) علم النفس هو العلم الوصفى للظواهر النفسية ، وهو يفحصها من جهة تضـامنها وتنوعها .

(ب) وفى آخر الصفحة يقول : علم النفس ؛ وصف الظواهر العقليـــة من حيث تضـامنها وتنوعها .

(ج) وفى السطر التـالى مباشرة : ان علم النفس هو دراســة الظواهر الذهنيـة ، وهو يتناولها فى تيار الشعور الذى تندمج فيه .

وليس اعتراضنا على تعريف علم النفس بأنه علم وصف الظواهر النفسية ، لأن مثل هـذا التعريف يعد من تحصيل الحاصل . ولـكن اعتراضنا على المصطلحات الثـلاثة النفسية ، والعقليـة ، والذهنية ، أهى مترادفة تدل على مسمى واحـد ، أم مختلفة وتـدل على ثلاثة مسميات ؟ وما الفرق بين النفسى ، والعقلى ، والذهنى ؟ وهل هذا الاضطراب راجع الى الأصل الفرنسى ، أم الى الترجمة العربية ؟ .

ان الذى دفع المؤلف الى التعرض لعلم النفس فى ابتداء الكتاب ، أو الحديث عن المنطق وعلم النفس فى الفصل الأول ، هو تلك النزعة التى سادت فى القرن التاسع عشر بوجه خاص تريد أن تلغى المنطق ، وأن تجعل منه بابا من أبواب علم النفس ، لأنه هـو الذى يبحث فى التفكير وطرائقه . ولـكن وصف عملية التفكير شيء ، والسير فى الاستدلال بطريقـة نصل منها الى الصواب شيء آخر . أو — وليأذن لنا المؤلف أن نستعير من مؤلفينا العرب تعريفا للمنطق — كما يقول صاحب البصائر النصيرية فى علم المنطق : « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها الى ان يصـير المجهول معلوما . وهذا الترتيب ليس ببديهى ؛ فلابد من قانون يفيد ذلك الترتيب وهو المنطق » . فالمنطق — فى نظر المؤلف — من العلوم المعيارية ، أى التى تضع معيارا للخطأ والصواب كالحال فى الأخلاق وعلم الجمال وهذه الوجهة من النظر قديمـة ، ولـكن يبـدو أن الفرنسيين لا يزالون يتمسكون بها .

والمنطق فى الوقت الحاضر منطقان ، أحدهما القديم الذى بداه أرسطو واستمر أكثر من عشرين قرنا مع بعض التعـديلات . والثـانى المنطق الرياضى أو الرمزى ، والذى اكتمل فى أوائل القرن العشرين . حقا تطرق المؤلف الى ذكر هذا المنطق الرياضى ، ولـكنه ذكره فى صـفحات مقتضبة لا تتناسب مع عرضه للمنطق الأرسطى من جهة ، ولا مع منزلة المنطق الرياضى فى تقدم العلوم الحديثة من جهة أخرى . ويكفى أن نتأمل كتاب «أصول الرياضيات» لبرتراند رسل ، لنرى انه خصص الجزء الأول للمنطق الرياضى ، وتكلم فى الأجزاء الستة الباقية عن الفلسفة الرياضية . وانما فعـل ذلك لأن الأداة التى يسـتخدمها الرياضى فى مباحثـه الرياضـية هى المنطق الرياضى . وبهذه المناسبة نقول ان المؤلف لم يشر الى برتراند رسل — على الرغم من منزلته فى الرياضيـات والفلسفة والمنطق — سوى مرة واحدة مع هوايتهيد .

فهل يصلح المنطق الأرسطى منهجا للبحث فى العلوم ؟ والى أى حد ؟ .

يزعم المؤلف أن المنطق الأرسطى يمكن النظر اليه من جهتين ، الأولى من جهة اللغة وتركيبها ، والثانيـة من جهة فلسـفة العلوم . فالمنطق يكتسب — كمـا يقول المؤلف ج ١ ص ٥٥ — « أهمية جـديدة اذا ما طبق على العلم بدلا من اللغة » . وهنـاك اختلاف مزدوج بين منطق اللغة ومنطق العلم ، فاللغة تفتقر الى الدقة ، وكثير من ألفاظها يحمل أكثر من معنى . أما العلم فيستخدم لغة بلغت من الدقة حدا هائلا ، هى لغة الرياضة .

ولا نود أن نترك هـذا الفصل دون أن نشير الى بعض المصطلحات العربيـة التى تبعد عن المعنى المقصود ، ونذكر منها .

١ — « الـكلمات » فى هذه العبارة : « ولقد ذكرنا من قبل أن المنطق يدرس بوجـه خاص معنى الكلمات التى تدل على روابط منطقية ، وبخاصة روابط العطف ... » ج ١ ، ص ٥٥ . ونحن نعلم أن باب الألفـاظ فى المنطق الأرسطى يقسمها ثلاثة أقسام هى الاسم والكلمة والأداة . فالاسم يدل على مسمى وليس الزمن جزءا منه . والكلمة تدل على معنى فى زمان ، ولذلك كانت الأفعـال كلمات . والأداة لا تدل على معنى مستقل . فالخلاصة أن « الكلمات » فى العبارة السابقة يقصد بها « الألفاظ » أو « الأدوات » .

٢ — المقولة الأولى هى الجوهر أو الماهيـة ousia (ص ٣٩) . ولفظـة « أوسـيا » يونانية ، عربت بقولهم الجوهر ، وقد تفيـد الماهية . ولكن فى هـذا المقام تدل على الجوهر فقط ، اذ لا توجد مقولة اسمها الماهية ، كما هو معروف .

٣ — الصـفة أو المحمـول Prédicat (ص ٤٠) . ومناسبة هذه العبارة جاءت عند الكلام عن الرابطـة التى تعبر عن علاقة بين حدين ، وهى فى المنطق القديم علاقة تلازم ، وهى « علاقة الموضوع بالصفة أو بالمحمول » . ولنا على هذه العبارة ملاحظتان ، الأولى ان المنطق يعنى قبل كل شيء بالدقة وتحديد معانى الألفاظ ولا يمكن أن يستخدم المترادفات بمعنى واحد .

فالصـــفة شيء ، والمحمول شيء آخر . ولذلك ينبغى الحصر . وفى هذه العبارة المحمول هـو المصطلح المقابل للفظة Prédicat ، وهو المقـابل للموضوع .

٤ ــ صفحة ٤١ « المبدأ او الشرط » فى هذه العبارة : « أما الحكم الشرطى فهو حكم مركب ، يؤكد وجود علاقة بين حكمين أحدهما المبدأ أو الشرط .. الخ » . وهنــا نجد التأرجح بين مصطلحين مما لاحظناه سابقا . والمبدأ او الشرط لا يقال اى منهما صفة للجزء الأول من القضية الشرطية ، وانما يقال « المقدم » و « التالى » . والمثال الذى ضربه المؤلف « اذا انخفض مقياس الضغط الجوى (المقدم) فسوف يسقط المطر (التالى) » .

٥ ــ صـفحة ٤١ الاحتمـالات Alternatives ؛ فى هذه العبارة : « وأما الأحكام الانفصالية فهى عدة احتمالات نثبت بها أن عددا معينا من الأحكام يستبعدكل منها الآخر » والذى جرى عليه العمل فى ترجمة هذا المصطلح هو بديل ، وبدائل .

٦ ــ صفحة٤٦العرضية وتقال ضد الضرورة، وانظر صفحة ١٠٩ « والذى يقال ضد الضرورة هو الحدوث ، وفى بعض الأحيان الامكان ، أما الذى يقال فى مقابل العرضية فهو الذاتية .

٧ ــ ص ٥٥ : استدلال التفنيد وهو برهان الخلف المعروف فى الرياضة . وقد وضع المترجم هذا المصطلح الصحيح فى معجمه ، وأشار الى الفصل الذى ورد فيه . ولكن يبدو انه نسى ان يصحح المتن .

* * *

الفصـل الخاص بالروح العلميــــة من أهم الفصول وأخصبها . وعلى غير عادتنا فى تلخيص الموضوع ثم ذكر الملاحظـات عن الترجمة ، نبدأ بالملاحظات لأنها يسيرة . ففى صفحة ٦٣ الجبر المحض ترجمة مصطلح Fatalism ، وفى المعجم أنه « القــدرية » ، وفى صفحة ٨٠ انه الجبر المطلق . أما « القـدرية » التى وردت فى المعجم فانه مصطلح خاص فى علم الكلام يدل على فرقة المعتزلة القائلين بالحرية لا بالجبر . ولست أدرى لم يضاف الى الجبر لفظ « المحض » أو «المطلق» وفى الجبر والجبرية كفاية .

وفى صـــفحة ٨٩ أرقام تسـلسلية Cardinaux وهى الأعداد الأصلية ، كما ذكر فى صفحة ١٤١ . وبهذه المناسبة لا يقال أرقام أصلية ، بل أعداد ، لأن الأرقام تدل على الأعداد من ١ الى ٩ فقط .

والروح العلميــــة اذا تمكنت من صاحبها جعلتــــه يتصف بأوصاف خاصة كالنزاهة ، والصبر ، والشجاعة ، والزهد ، وانكار الذات ، وتقبل النقد ، وأن يكون العالم على ثقافة واسعة ، ومعرفةبالفلسفة والفن ، أو كما يقول كلود برنارد ص ٧٧ : « اننى رغم نفورى من المذاهب الفلسفية أحب الفلسفة حبا جما ، وأجد متعة كبرى فى صحبتهم . فالفلاسفة يبحثون دائما فى المسائل المختلف عليها ، ويقفون فى مستويات رفيعة ، أى عنـد الخطوط القصوى للعلوم ، وبهـــذا يضفون على التفكير العلمى حركة تبعث فيـــه الحياة وتسمو به ... » .

ان الروح العلمية تؤمن بالعلم ومبادئه ، وعلى رأس هذه المبادىء « الحتمية » أى انه لا يقع حادث صدفة ، وأنه اذا توافرت ظروف معينة فلا بد من وقوع الحادث ، أو يتحتم وقوعها . فاذا عجز العالم عن معـرفة السبب فى وقـوع ظاهرة ما ، فليس معنى ذلك تدخل قوى خفية غيبيـــة ، بل معناه أنه يجهل شرطا من شروط الظاهرة .

وتصنيف العلوم باب من أبواب فلسفة العلوم ، أو مناهج البحث . ولست أدرى لم عدل المؤلف عن طريقته التى جرى عليها خلال فصول كتابه من تتبع تاريخ الموضوع منذ عهد اليونانيين حتى الآن ، فلم يذكر تصنيف أرســطو للعلوم على شهرته ، ولا تصنيف الاسكندرانيين ، وبدأ من بيكون ومن أوجست كومت . أما تصنيف بيكون فانه يعتمد على ملكات الانسان النفسية التى رأى فى تصوره انها هى الأساسـية ، وهذه الملكات

هى الذاكرة والخيال والعقل ، وعنها ينبع التاريخ والشعر والفلسفة (أو العلم) . والتاريخ نوعان التاريخ السياسى والتاريخ الطبيعى . والفلسفة تبحث فى موضوعات ثلاثة هى الله والطبيعة والانسان . ومن الواضح أن هذا التصنيف معيب ومتداخل . أما تصنيف أوجست كومت فانه يقسم العلوم قسمين نظرية وتطبيقية ، والنظرية ستة علوم اساسية تبعا لتسلسلها من الأدنى الى الأعلى ، وهى الرياضة ، والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع . وعلى الرغم من تقدم العلوم فى العصر الحاضر واختلاف تصنيفها عن تصنيف أوجست كومت ، غير أن المؤلف « مع ذلك سوف يتبع الخطوط الرئيسية للتصنيف الوضعى ، اذ أنه لا يزال ينطبق الى حد غير قليل على ترتيب العلوم على النحو الذى تدرس عليه . واذن فسنبدأ بدراسة العلوم الرياضية من حيث موضوعها ثم من حيث منهجها . وننتقل بعد ذلك الى العلوم الطبيعية (على الفلك والفيزياء والكيمياء) . ثم تأتى علوم الحياة . ثم نخصص فصلا للعلوم الأخلاقية التى تتجاوز علم الاجتماع الى حد غير قليل . وأخيرا نلم الماما سريعا بالنظريات الحديثة فى علم الطبيعة » جـ ١ ص ١١٤ .

* * *

نخلص من ذلك أن ثمة ثلاث مجموعات من العلوم ، وثلاثة مناهج أساسية المجموعة الأولى هى العلوم الرياضية وتتبع فى بحثها المنهج الرياضى . والثانية هى الطبيعية والبيولوجية وتتبع المنهج التجريبى ، والثالثة العلوم الانسانية ولكل منها منهج يلائمها الى جانب خضوعها للمناهج العامة .

يعتمد المنهج الرياضى على البديهيات والمسلمات والتعريفات ، ومنها يستخلص النتائج عن طريق الاستنباط . ومن هنا جاءت وثاقة العلوم الرياضية لأنها بناء عقلى محض لا شأن له بالعالم الخارجى ، هذا العالم الذى يمتاز بالامكان لا بالضرورة . والبديهية ، كما جاء فى تعريف المؤلف وفى الترجمة العربية : « قضية بلغت فى ذاتها حدا من البداهة يجعلنا نعجز عن الاهتداء الى قضايا أشد بداهة منها لنبرهن عليها » . وهذا التعريف معيب منطقيا ، لأنه يعرف الشىء بنفسه وهذا كقولك البديهى هو البديهى . ولو قيل البديهى ما كان بينا بنفسه أو واضحا بذاته ، لكان أفضل .

وتمر العلوم الطبيعية عند بحثها فى مراحل ثلاث ، وصف الظواهر وملاحظتها ، ثم البحث عن القوانين ، ثم التحقق من صدق القوانين . فاذا اهتدى الانسان الى القوانين الطبيعية استطاع أن يهيمن على الطبيعة ويسخرها لمصلحته . وقد فطن ديكارت الى أهمية العلم فى تسخير الطبيعة فقال : « بدلا من هذه الفلسفة النظرية التى تعلم فى المدارس يمكن الاهتداء الى طريقة عملية تتيح لنا — متى عرفنا قوة وآثار النار والماء والهواء والنجوم والسماوات وجميع الأجسام الأخرى المحيطة بنا بمثل الدقة التى يعرف بها مختلف مهن الصناع لدينا — استخدام جميع هذه القوى فى كل الاستعمالات التى تصلح لها . وبهذا نصبح سادة مسيطرين على الطبيعة » جـ ١ ص ٢٠٤ .

هذا الأمل الذى كان يراود ديكارت منذ ثلاثة قرون أصبح اليوم حقيقة شائعة . فقد كان المعروف منذ عصر الفلسفة اليونانية أن النظر أسمى من العمل ، وأن المفكر النظرى أعلى مرتبة من الصانع اليدوى . وليس الأمر اليوم كذلك ، اذ لا انفصال بين النظر والعمل ، وانما هما عملية واحدة يعضد كل منهما الآخر ، فكلما اهتدينا من التجربة الى نظرية نزلنا مرة أخرى الى ميدان التجربة لتحقيقها ، وهكذا . وقد بدأ العلم التجريبى بمعنى الكلمة مع قواعد جون ستيوارت مل المشهورة ، ولكن قواعد مل تفترض أن الظواهر تنطوى فى ذاتها على التفسير والواقع أن التفسير يجلبه الانسان بتفكيره ويفرضه على الأشياء . والمنهج المعدل فى الوقت الحاضر منهج ايجابى حى ، ينحصر : « فى الصعود

من مجـــال التجربة الى عالم العقل ـ أى عالم الصيغ والمعـادلات ـ ثم نعود فنهبط الى عالم الواقع لكى نضمن الصلة بين المعقول والواقع » ج ١ ص ٢١٩ . ثم ان الظواهر تحتاج الى تحديد واختيـــار ، ثم قياس المختـار منها وتصحيحها وتفسيرها . وعملية القياس تعبير عن الظاهرة بصيغة علميـــة مضبوطة ، وذلك باستخدام الأجهزة . مثال ذلك أن الترمومتر يقيس درجة الحرارة قياسا مضبوطا .

* * *

والعلوم الانســانية تدرس الانسان من حيث هو فرد ومن حيث هو عضو فى جماعة . وترجع صعوبة البحث فى العلوم الانســانية ـ فى نظر المؤلف ـ الى أمرين همـــا التضاد بين الحتمية وحرية الاختيار ، وتباين هذه العلوم .

ولـكن العلوم الانسانية منـذ سلكت منهجا وضعيا ، وتجريبيا ، أخذت تتجه شيئا فشيئا نحو الحتمية ، مثلها مثل العلوم الطبيعية . فهذا علم النفس خطا نحو الحتمية خطوات واسعة ، وأصبح كثير من كتبه يحذف منه الباب الخاص بالارادة وهـو البـاب الذى يدل على حـرية الانسان واختياره . والتاريخ يخضع لحتميته ، وهناك كثير من المذاهب فى فلســفة التـاريخ تفترض فى أساسها هذه الحتمية التى تمكن المرء من التنبـؤ بمســتقبل البشرية . وحتى القيم نفسها أصبحت تخضع للقياس ، وبذلك أصبحت علما كسائر العلوم .

ان التقدم فى مناهج العلوم الانسانية تقدم سريع جـدا ، بحيث أصبح من العسير الرجوع الى هذه المناهج التى كانت متبعة منذ نصف قرن مضى سواء فى علم النفس أو علم الاجتماع أو علم التاريخ .

* * *

ويبدو ان المؤلف كان متفائلا بالدور الذى يلعبه العلم فى حياتنا ، ففى خاتمة الكتاب يقرر أن قيمة العلم لدى الانسان لا تقدر ، وهذا بصرف النظر عما حققتـــه الصناعة وعلم الصحة والطب من قوة ورخاء للانســـــان باســتخدامه الكشوف العلمية لأن قيمة هـــذه الكشوف تتوقف على طريقة انتفاع الانسان بها ، أيستخدمها فى دمار العالم وافناء البشر ام فى الانغماس فى حياة رغدة ولكنها تافهة ..

والمقصود من ثمرة العلم واتباع روحه ، ازدياد شعور الانسان بالعالم الذى يعيش فيه ، وازدياد شعوره بذاته ، ومدى ارتباطه بالبيئة البيولوجية والاجتماعيـــة والتاريخيـــة . ثم ان روح العلم ـ فيما يقول المؤلف ـ دفعت الانسان الى نوع من الزهد هيأه لممارسة أفضل حياة أخلاقية ، وأصدق حياة دينية .

وهذه قضية عويصة لا نود مناقشتها ، ولكننا نتساءل ، ولعل القارىء قد تساءل كذلك ، أحقا أصبحت الحياة الأخلاقية مع تقدم العلوم أفضل مما كانت ؟ وهل ازداد ايماننا الدينى مع تقدم العلم ؟ والم يكن جان جاك روسو على حق فى قوله ان الحضـارة المادية افسدت الانسان ، وعلينا بالرجوع الى الطبيعة ؟ .

والعبرة التى نأخذها من قراءة هذا الكتاب ، اذا شئنا أن نلحق بالغرب ، هى أن نبدأ بما بدأ به بعد عصر النهضة متخذا له هـــذا الشعار « اقرأ كتاب الطبيعة » .

د . أحمد فؤاد الأهوانى

فتوحات علمية

تأليف : والدمار كمفرت

ترجمة : يوسف مصطفى الحاروني

مراجعة : الدكتور عبد الفتاح اسماعيل

الناشر مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مؤسسة سجل العرب ، عدد الصفحات ٣٢٧
ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٢٦ قرشا

هذا الكتاب ــ فى رأينا ــ من الكتب العلمية الجيدة القليلة التى أتاح مشروع « الألف كتاب » ترجمتها الى اللغة العربية .

هذا اذا جاز لنا أن نعلق على هذا المشروع بكلمة تستهدف وجه الحق والمصلحة العامة . وسوف لا نجد بهذه المناسبة احسن من هذه الفرصة لفتح باب التعليق على هذا المشروع على صفحات مجلة « الكتاب العربى » التى أكدت على نفسها أن تفسح صدرها للنقد البناء . ثم اليس من حقنا ، وقد انصرم من عمر « الألف كتاب » نحو عشر سنوات أو أكثر أو اقل . أن نضع المشروع فى الميزان ونتساءل بدورنا : هل حقق هذا المشروع أغراضه كما ينبغى ؟ وهل تطور مع الزمن ليجارى الثورة الفكرية والاجتماعية فى البلد ؟ وهل أقبل الناس بحق على قراءة الكتب التى صدرت فى هذه السلسلة رغم انخفاض اسعارها ؟ وهل أحسنت اللجنة القائمة على المشروع اختيار الكتب التى ترجمت او ألفت فيه ؟ وبالتالى هل احسنت اختيار المترجمين والمراجعين فى كل الأحوال ؟ وهل استأذنت أصحاب الكتب أو ناشريها فى ترجمتها ؟ ثم أين مصير هذه الكتب ؟ هل صحيح أن عددا كبيرا منها حبيس المخازن والرفوف ؟ ثم ما هى الصلة أو الصلات التى تربط هذا المشروع بمشروعات أخرى مماثلة تقوم بها هيئات حكومية أو مؤسسات عامة او خاصة حتى لا يحدث ازدواج أو تكرار ؟ واذا لم يكن الاقبال كبيرا على هذه الكتب فما هى الأسباب والدواعى ؟ .

ان مثل هذه الأسئلة وغيرها كان الأولى والأجدر بالقائمين على مشروع الألف كتاب أن يسألوها أنفسهم ويعيدوا النظر فى تقييم المشروع على ضوئها ، كما يجب أن يتم نوع من التنسيق بين المؤسسات والهيئات المختلفة التى تترجم الكتب الأجنبية أو تقترح ترجمتها ــ يخضع لنوع من الرقابة من وزارة الثقافة والارشاد القومى ، حتى لا تتسلل كتب أجنبية لا تلائم مجتمعنا أو عاداتنا وتقاليدنا . اننا نود مخلصين ان نفتح الباب على صفحات « الكتاب العربى » لنسمع آراء المختصين والمهتمين من القراء بهذا الموضوع ــ على حد سواء .

ونعود لكتابنا موضوع الفحص فنقول ان مؤلفه قد اختار عددا من الموضوعات العلمية المتفرقة التى كان بعضها حديث الساعة منذ ظهر الكتاب فى أمريكا من نحو عشر سنوات ولا يزال البعض الآخر يشغل بال الكثيرين اما لطرافته أو لأن العلم لم يصل فيه الى حلول حاسمة .

وفى كلتا الحالتين عرض المؤلف موضوعاته عرضا مبسطا جميلا ، وأوفى كل موضوع منها حقه من الدراسة والبحث ، وظهرت فيها جميعا شخصيته وتعليقاته وفهمه العميق لما يكتب ،

ولم تكن مجرد سرد أو تجميع لحقائق وآراء علمية مرصوصة .

ولقد مضت عشر سنوات أو أكثر فيما بين ظهور الكتاب باللغة الانجليزية والترجمة العربية ، مما حدا بالسيد المترجم أن يحذف بعض الفصول التى لم تعد ترجمتها مجدية بالنظر للوثبات الكبيرة التى خطاها العلم خلال تلك المدة ، وان كان الواجب يقتضى مع ذلك مراجعة المؤلف فيها .

والكتاب المترجم يقع فى خمسة عشر فصلا هى على الترتيب : القنابل الذرية . القلوب والرئات الصناعية - التحكم فى الجو - الوقود الذرى - هل يستطيع العلم أن يخلق الحياة ؟ - الحظ - التغير العلمى يعنى التغير الاجتماعى - تلسكوب بالومار العجيب - المسرح النفسى - الطاقة الشمسية - النظرة الحديثة الى الانسان وجسمه - الدورية فى شئون الانسان - العقلية العلمية - لغز السرطان - بريق الكنز الفارق .

ونحن نضيف أن الموضوعات : الثانى والثالث والرابع والتاسع والأخير منها تعتبر أيضا قديمة بالنسبة للتقدم العلمى الذى حدث فى هذه المجالات فى وقتنا الحاضر .

ويمكننا حصر موضوعات الكتاب تحت أنواع مختلفة من العلوم كعلم الطبيعة والبيولوجيا والأرصاد الجوية والفلك وعلم النفس والاجتماع

ونحن لا نستطيع فى هذا المقال أن نلخص كل موضوع منها على حدة للقارىء ولكننا سنقدم فى حرية عرضا سريعا الكتاب لنبرز آراء الكاتب وطريقة تفكيره ومعالجته لما تصدى له مستشهدين بكلامه عند الاقتضاء .

واول ما استرعى نظرنا فى الكتاب هو دفاع المؤلف عن العلماء وأساتذة الجامعات فى أكثر من موضع فيه وتصديه للرأى السائد بأنهم يعيشون فى أبراج عاجية بعيدين عن مشاكل المجتمع . ففى صفحة ١٥ من الترجمة العربية ، على سبيل المثال ، يقول المؤلف **« ان أكبر الفتوحات فى دنيا الحرب كالدبابات والحروب الكيماوية والمفرقعات اتت جميعها على أيدى رجال مدنيين . وكذلك ظهرت القنبلة الذرية على أيدى أساتذة الجامعات »**

ويستطرد فيقول **« ورجل الجامعة النظرى ليس رجلا عاطفيا حالما كما يظن الكثيرون .** ويضرب مثلا باينشتين الذى حمل الرئيس الأمريكى روزفلت على تبنى البحوث التى أدت فى النهاية الى القنبلة الذرية ببحوثه عن العلاقة بين المادة والطاقة . ثم ان الكاتب يقدس حرية العلم والعلماء وينتقد بشدة محاولة العسكريين فى امريكا السيطرة على العلماء ، بل وسيطرة المؤسسات الصناعية أيضا على العلماء فيقول فى صفحتى ٢٧٠ - ٢٧١ **« ولما كان العالم رائدا فى تفكيره فانه يجب أن يكون حرا فى تعبيره »** أو **« وحرية الكلام من الضروريات الأساسية للعلماء »** **« ولو لم تتوافر هذه الحرية لاستقال المتازون من العلماء »** ويضرب أمثلة على ذلك منها أن احد العلماء الأفذاذ فى معامل شركة جنرال الكتريك . الشهيرة استقال من عمله حين قرأ فى ردهات معمله ذات صباح لافتة كتب عليها « ممنوع التدخين » وللكاتب أيضا تعليقات جميلة فى مجال العلاقة بين العلم والمجتمع . انظر الى قوله (ص ٢٦٦) .

« والمجتمع هو الذى يقدم المشاكل التى تنبثق عن البيئة الواعية » أو قوله **« ولقد تردد كثيرا ان العلماء لا يشغلون انفسهم بالمسائل الاجتماعية والسياسية . وتلك تهمة باطلة من أساسها ، فطالما فكر علماء الطبيعة النووية فى موضوع الاشراف الدولى على الطاقة الذرية »** .

ثم يقول فى صفحة ٢٦٩ (الترجمة العربية ايضا) **« ورجال العلم فى أنحاء العالم يكونون نوعا فريدا من الاخاء والجماعية .. يجتمعون فى مؤتمرات دولية فيتبادلون المعرفة فى حرية تامة .. ويبذلون أقصى جهدهم لتحويل الشعارات عن الاخاء بين الناس فى العالم اجمع الى حقيقة واقعة »** .

أما فى الفصل الخاص بالعقلية العلمية فيقول انه فى الواقع لا توجد هنالك عقلية علمية باكثر من عقلية الاسكافى أو الفلاح ، ورجل القانون . ولكن توجد من ناحية أخرى **« الطريقة العلمية القائمة على التجربة والتحليل وتفسير الظواهر .** وهذه الطريقة يتعلمها آلاف الطلبة كل عام وليس

تطبيقها وفقا على العامل وحـدها . ويتوقف اسـتخدامها على الاسـتعداد الفطرى للمرء وما اكتسبه خلال ثقافتـه وخبرته . ومن أهم عناصرها « النظرة الموضـوعية ومقاومة التحيز والآمال وجميع العواطف بوجه عام . »

ويضرب الكاتب مثـلا الطريقة العلمية وكيف أدت الى انقلاب جذرى فى بعض العلوم بأربعة من العلماء : **هم باسـتير ومعالجتـه لمشكلة التولد الذاتى ، وفولتـا واكتشاف التيـار الكهربائى المستمر ، وداروين والتطور ثم بافلوف والأفعال الانعكاسية .**

وفى الفصل الخاص بالسرطان يلخص المؤلف ما عرف عن هذا المرض ومحاولات علاجه ويتكلم عن أسبابه التى تكهن بها العلماء وعن العلاقة بين السرطان والهرمونات وبينه وبين الأنزيمات وكذا علاقته بالفـيروس ، ثم عن أنواع الأورام السرطانيـة . ويخلص من ذلك بالرأى القائل بأننا لم نفهم هذا المرض حتى الآن فهما صحيحا . بل انه ليتساءل عما اذا كان السرطان مرضا على الاطلاق ، وفى ذلك يقول :

« ان السرطان لا تنطبق عليـه مواصفات الأمراض ــ انه ببساطة نمو شاذ جامح لا شكل له ، يقوم الجسم فيه بعمل الحاضن ، فيستشرى ويطغى على الأنسجة والأعضاء مسببا هلاكها . . . ويتبين من هـذا كله أننا لم نجد الطريق الى السرطان . ولكى نفهم لغزه يقتضى الأمر البحث عن سبب الحياة حيث أن مشكلة السرطان انما هى مشكلة الحياة ذاتها » .

وفى الفصل الخاص بموضوع : هل يخلق العلم الحياة يتكلم باسهاب عن الفيروس والبروتينات ولا يذكر بطبيعة الحال الدور الذى يلعبه حامض النوويك فى كرموسومات الخلية الحية وفى تكوين البروتينات .

كما أنه فى الفصل الخاص بالنظرة الحديثة الى الانسان وجسمه يخلص الى القول بأن الـكائن البشرى شىء أكبر من أن يكون مجرد آلة منتجة للطاقة ، وهو يبرز أهميـة الهرمونات فى احداث التوازن الكيماوى للجسم .

أما فى الفصل الخاص بالفلك ويدور حـول تلسكوب بالومار فيسرد الكاتب معلومات فلكية طريفة عن الكون من خلال هذا التلسكوب الذى يبلغ قطر عدسته مائتى بوصـة والذى أمكن بواسطته أن يمتد علمنـا عن الكون الى بليون سنة ضوئية ، كما ظهرت بواسطته ولأول مرة مئات الآلاف من المجرات السـماوية التى تضم ملايين النجوم .

وللمؤلف أيضا تشبيهات بديعة تتجلى فى قوله فى الفصل الخاص « بالدورية فى شئون الانسان » « يبـدو أن كل شىء فى هـذا الوجود يهتز ويتردد .. والحيـاة ليست سوى سيمفونية معقدة يشترك فى عزفها جميع الكائنات » .

وفى هـذا الفصل أيضـا يبرز الكاتب أهمية الدراسات الاحصائية لدورات الأحداث والحياة فى أمكان التبوء والاستقراء بما سيكون عليـه المستقبل فى حالات كثيرة .

وهنا تتجلى العقلية الأمريكية التى تدور حول المال والاقتصاد وتبحث عن السنين التى يمكن أن يعم فيهـا الرواج والرخاء وسنين الأزمات التى تهتز فيها سوق الأوراق المالية ! .

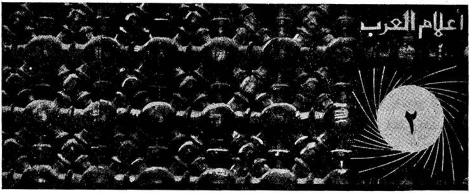
أما عن الفصل الخاص بالتغير العلمى والتغير الاجتماعى فيلخص المؤلف تطور الاختراع ومرور الانسان خلاله ثلاثة عصور هى : **عصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الألكترونيات وما صحب ذلك من تغيرات اجتماعيـة أهمها تحرر المرأة وانفصام الروابط العائليـة وزوال الفروق بين الطبقـات .** وهو قد أغفل بطبيعة الحال **عصر الفضاء** الذى ظهر بعد ظهور الكتاب .

أما عن الفصل الخاص بالحظ فيختتمه بقوله **« أن الانسـان ولا شك كائن محظوظ وأعظم تصاريف الحظ وانفعها والتى يجب أن نقابلها بالحمد والشكر ــ هى جهلنا بما ينطوى عليـه الغيب وعدم مقدرتنا على التنبؤ بما سوف يحدث بين لحظة واخرى » .**

وتتضح سلاسة اللغة وجزالة الأسلوب العربى وتمكن المترجم من عمله بشكل بديع يستحق عليه الثناء والمدح . ولم يفت ذلك على السيد المراجع الذى أشار اليه فى حينه ، فى المقدمة القصيرة البليغة التى كتبها للكتاب . نسأل الله أن يكثر من أمثالهما .

د . أنور عبد العليم

(٢)



المعتمد بن عباد

تأليف علي أدهم

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
بالاشتراك مع مكتبة مصر • عدد الصفحات
٣٤٢ ص ١٤×٢٠ سم • الثمن ٥ قروش

كانت الأندلس ــ قبل المعتمد بن عباد ــ امارة ثم خلافة أموية موحدة ، يتوارثها أبناء عبد الرحمن الداخل ، ومنذ فتحها هذا الأمير الأموى المغامر سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) جعلها ــ كما كانت قبله ــ امارة جامعة تلتف بعاصمتها قرطبة ، غير أنه استقل بها عن الخلافة الاسلامية (العباسية) فى المشرق ، ولم يترك لأمراء القوط المسيحيين الذين يجاورونها داخلها غير خلايا فى شماليها قليلة ، استأثروا بحكمها دونه ، وان لم يتخلصوا من نفوذه عليهم فيها ، وكانت هذه الخلايا أو نحوها مما أهمل امتلاكه المسلمون الذين سبقوه الى الأندلس ، حين فتحوها انتزاعا من القوط سنة ٩٢ هـ ، فلما تراخت أزمة الخلافة الأموية فى قرطبة بين أيدى المتأخرين من حفدته الضعاف ــ بدأ المسلمون المغامرون من العرب والبربر والصقالبة فى الأندلس ينزون على أقاليمها : كل حيث يجد له حولا وقوة . وهؤلاء المتغلبون هم « ملوك الطوائف » فيها ، وكان عهدهم بين عهود الفوضى التى انتهت بضياعها جميعا من أيدى المسلمين ، بعد أن ملكوها نحو ثمانية قرون ، فعادت الى حكم القوط . ومن ملوك الطوائف كان بنو عباد ــ أسلاف المعتمد ــ الذين نزوا على أشبيلية واقليمها الفسيح الخصيب ، كما نزا غيرهم على سواها من المدن والأقاليم .

وقبل انهيار خلافة الأمويين كانت قد زالت سطواتهم المتفرقة ، وكان آخر هذه سطوة حاجبهم ووزيرهم المغامر الكفء محمد بن أبى عامر الذى أقام نفسه وصيا على خلافتهم ، واستأثر بسلطانها دونهم ، واتخذ لنفسه لقب « المنصور » اسوة بالخلفاء الأمويين فيها ، والفاطميين فى

مصر ، والعباسيين فى العراق ، وكبت كل متغلب من المسلمين والمسيحيين فى الأندلس ، فلما مات سنة ٣٩٧ هـ تلاحقت عليها عوامل الضعف والتفكك ، حتى سقطت أخيرا سنة ٤٢٨ هـ ، فازداد نفوذ المتغلبين فى أقاليمهم ، واتخذوا العواصم لممالكهم ، وتعاظم المسلمون منهم بألقاب الخلافة ، ومن هؤلاء كان المعتمد بن عباد الذى ورث عن أبيه « المعتضد » مملكة أشبيلية ، كما ورثها أبوه عن جده الذى أسسها وهو القاضى محمد بن اسماعيل بن عباد ، والى عباد الأخير نسبت دولتهم فى التاريخ . وبعد أن استخلف المعتمد مد حدود مملكته حتى شملت جملة أقاليم أهمها اقليم جارته قرطبة التى كانت قبل عاصمة الخلافة الأموية الجامعة ، فلم يزدد بضمها غنى ونفوذا وأبهة فحسب ، بل حقق له الحظ بانتزاعها حلما جميلا طالما راود جده ثم اباه ، فسعيا له بلا جدوى ، مع أنهما كانا أكفأ منه ، وأخبر بتدبير شئون الحرب والسياسة .

وبينما كان مسلمو الأندلس ـ خلال عهد المعتمد وقبله ـ يزدادون تخاذلا وضعفا فيما يملكون من فسيح أقاليمها الخصبة ، ومدنها العامرة ، وحصونها المنيعة ، كان جيرانهم فى داخلها من أمراء القوط المسيحيين يزدادون تماسكا وقوة فى الخلايا اليسيرة التى تركت لهم فى شماليها ، فانتشروا من تلك الخلايا ، وبسطوا ملكهم على أقاليم كثيرة استردوها انتزاعا من المسلمين ، كما مدوا نفوذهم على أقاليم مثلها ، أعجزهم فتحها فتركوا حكمها لولاتها من خلفاء المسلمين واكتفوا منهم فى طغيانهم عليهم بالخضوع والاتاوات يؤدونها صاغرين . وكان المعتمد بين ضحايا هذا الطغيان كسائر الخلفاء الضعاف من جيرته ، فأفزعه ـ وهو أكبرهم شأنا ـ أن القوط يزدادون عنفا ومكرا ، يعاهدون ولا يفون بعهد ، ويعطون ما يطلبون فلا يقفون عند حد ، وكلما تراخى المسلمون فسلموا لهم الاتاوات والحصون والمدن والبقاع الخصيبة دفعا لشرهم تمادوا فى مطالب جديدة ، فالتسليم لهم يهيج فيهم الحسد والحقد والطمع ، ويزيد طاغيتهم الملك ألفونسو (الأذفونش) عتوا وجرأة وعنادا ، فما كان من المعتمد ـ فى حرجه الدينى والدنيوى معا ـ الا أن استشار اخوانه من خلفاء الأندلس المبتلين مثله بطغيان القوط ، فاتفقوا على الاستعانة فى دفع هذا الطغيان بأبناء دينهم وقومهم فى المغرب ، وكانت قد ظهرت فيه يومئذ دولة المرابطين بزعامة أميرهم يوسف بن تاشفين .

وعبر يوسف الى الأندلس بعد مفاوضات طويلة ، فقاد كتائبه والكتائب الأندلسية التى حشد لتعزيزه الخلفاء ، وفى مقدمتهم المعتمد الذى كان أقوى جيرانه وأقربهم اليه وأشدهم عونا واخلاصا له ، والتقى هذا الجيش فى موقعة الزلاقة بجيش قوطى فطحنه وكاد يأسر قائده الملك ألفونسو ، لولا انه فر مع فلوله مثخنا بجراحه . وارتفع بذلك معظم البلاء عن المسلمين وأمرائهم هناك ، وكان المعتمد تحت قيادة يوسف من أكبر قادة هذه المعركة وأبرز أبطالها بسداد رأيه وصدق شجاعته ، وجوده فيها بنفسه وولده وجنده وماله . وجلا يوسف بعد انتصاره الى مملكته بالمغرب ، ثم عبر الى الأندلس بعد قليل فى حملة أخرى ناجحة ، ولكنه لم ينل فيها من التوفيق ما نال فى الزلاقة ، ثم جلا عائدا الى المغرب .

وكان قد راوده كما راود رجاله ـ بعد أن خبروا الأندلس بأنفسهم ـ أن يخلعوا أمراءها ، ويستبدوا دونهم بسلطانها ، وزادهم ضراوة بامتلاكها سوء حال المسلمين فيها ، وضعف ملوكها ، وخطل سياستهم الداخلية والخارجية ، وتربص بعضهم ببعض مع الطغيان المحيط بهم ، وبغيهم على رعاياهم المساكين مع استخذائهم لطغيان ألفونسو ، وهو ليس أشد منهم بأسا ، ولا أكثر جندا ، ولا أوسع ثراء وملكا . وشجعه على ذلك كثير من أولى الرأى والتدبير فى بلاطه بالمغرب ، وقواد كتائبه التى تركها فى الأندلس لمدافعة هجمات القوط ، كما شجعه ضجيج الرعايا التعساء اليه كى يحميهم من القوط والأمراء الظلمة الذين أرهقوهم ذلا وفزعا وفقرا ، وزاد ضجيج هؤلاء اليه حين أنسوا عدله وتقواه وهو يخفف عنهم مغارم الجباية والاتاوات ، وينشر بينهم أسباب الأمن والرخاء ، وزاده بعض فقهاء المغرب والأندلس عزما واقداما ، حين أفتوه لأسبابهم الصحيحة والمبهرجة ـ بوجوب خلع هؤلاء الخلفاء لظلمهم وضعفهم ، وانتزاعه منهم الحكم ، فسير كتائبه فى الأندلس لاستنزالهم عن عروشهم المتهافتة ، ونفاهم عنها الى المغرب ليكونوا تحت عينيه ويديه أو قدميه ، وكان المعتمد من هؤلاء المخلوعين المنفيين ، بل كان أتعسهم حظا ، مع أنه كان أولاهم بالرفق والصون ، لأنه كان أنبلهم خلالا ، وأكرمهم ماضيا حتى مع يوسف ، غير أن يوسف بدأه بالخصومة ، حتى اذا خلعه أسره هو وأهله ، ونفاهم الى المغرب صاغرين ، ولم يسترح بينهم من الأسر وشنعه الا من أنجاه الموت بالسيف فاستراح كريما ، وأما المعتمد ومن أبقى السيف من أهله فقد تركوا فى منفاهم بمضيعة وعذاب واصب ، يضطربون صغارا وكبارا فى سجنهم وأغلالهم وفقرهم وذلتهم ، بعد حرية الملك وعزه وأبهته وترفه ، وشدد يوسف فى التنكيل بهم دون مسوغ من عقل أو دين أو مروءة ، حتى ضن عليهم بما لا يضن به الحر على ضحايا أسره ، ولو كان أسراه من أخبث الحيوانات الضارية ، وطال عذاب كل منهم بقدر ما عاش حتى هلكوا جميعا .

هذه خلاصة شديدة الايجاز لأحداث حياة المعتمد وما مهد لها وصحبها من أحوال الأندلس والمغرب ، لا يعنينا منها أو من غيرها هنا الا ما لا غنى عنه فى التعريف بالمعتمد ، وهذا وحده هو موضوع هذا الكتاب « المعتمد بن عباد » الذى صدر قبل سنتين لكاتبنا الألمعى الكبير الأستاذ على أدهم .

ونحن اذ نتقدم لتقرأ معنا هذا الكتاب ، ثم لنحدثك به ـ سنجرى على عادتنا معك فى المطالعة والحديث : فنحن

حين نطالع كتابا أو نحوه من آثار الناس وسائر الأحياء انما ننظر الى الأثر وصاحبه فيه : عين الى هذا وعين الى الآخر ، أو نراوح النظر بملء العينبن بين الجانبين : نظرة الى هذا ونظرة الى صاحبه من ورائه ، بحيث يتصل الجانبان عندنا فى حياة واحدة ، لأن حياتهما فى الواقع واحدة ، وعلى وفق هذا النظر الى الأثر يكون الحديث به، فيشمله مع صاحبه ، ثم هو كما ينبغى له بعد ذلك لا يعدو أن يكون حديث قارىء صديق الى مثله لا حديث ناقد الى قارىء . وهـــذا المنهج الذى نؤثره ـ كما هدتنا اليـــه الفطرة ، وزكته التجربة ، ووطدته العـــادة ـ هو عندنا أوفى المناهج وأنفذها فى المطالعة وما يليهـــا من تعليق ، ولا عدول لنا عنه سواء أنجح المؤلف فى أن يصدق التعبير عن ذات نفسه خلال ما نطالعه له ، أم قصر فى الصـــدق والاداء ، فالتمكن من هذا المنهج ـ فى كلا الحالين ـ كفيل بالكشف عن الحقيقـــة من أدنى طريق . ذلك أن الوعى يستلزم أن يكون لكل فعل فاعله ، ولكل أثر مؤثره ، ومن آيات الأصالة فى أى أثر أن يكون من صاحبه فيه ما فى الولد من أبيه ، وقد تتسع الفروق بين الأولاد ، ولكنهم ـ دون شك ـ يتشابهون اذا التقوا بأصالتهم فى أب واحد ، ومهما يتشابهوا فلا بد أن يتباينوا ولو كانوا توائم ، لأن الولد مهما يشابه أباه لا ينقله كله بل يختلس بعضه دون بعض ، وكذلك تأخذ أعمالنا منا ، فتدل علينا كما ندل عليها ، لأنها ضرب من النمو المتصل بنا أو المنفصل عنا ، وكل ما يخالجنا أو يصدر عنا لا يعدو أن يكون نموا لنا متصلا أو منفصلا ، وهذا الاختلاف بين أعمالنا دليل اصالتها هى وخصبنا نحن أيضا . واذن فكل ما يبصرنا بصاحب أثر فهو عون على فهم الأثر نفسه ، وان لم يزدنا متعة ولا منفعة به ، وحسبنا بهذه المعرفة متعة ومنفعة ما دمنا نعقل ونحيا ، ومثل ذلك فى العون على فهم أى أثر كل ما يبصرنا بنشاط صاحبه فى نظائر هذا الأثر .

هذا المنهج « النفسى » فى المطالعة تمهيد لازم لنظائره فى « الوصف » و « النقد » و « الموازنة » وغـــيرها من التعليقات ، ولهذا لا أخالنى مضيعا حقا لأحد قراء هذه الترجمة ، ولا سارحا معه فى غير الاتجاه الصحيح فيها او اليها ـ اذا شمل حديثى بها حديثا آخر يلفها بأصولها فى شخصية صاحبها ، وبنظائرها فى سائر مؤلفاته ، ما دام فى الكشف عن الصلات الحيوية بينهما كشف عن الترجمة، ثم عقد صلات مثلها بينهما وبين القراء ، وقد يكون وراء ذلك تأسيس صلات مثلها جديدة بينهم وبين من يشبه المؤلف أو يخالفه فى نموذجه بين « النماذج الانسانية » ، واستحداث صلات مثلها بينهم وبين ما يشبه هذه الترجمة أو يخالفها فى نوعها بين « الأنواع الأدبية » . والمعول فى كل ذلك على من يحسن القياس حين يعايش الأشـــياء والناس : فيقابل خلال معايشة الأمثلة ما بينها من وجوه الشبه ، وما بينها من وجوه الخلاف ، فان كلا القياسين يمضى بنا الى « وعى » أفضل للأمثلة ، وقد يؤدى بنا من ورائها الى « القانون » الذى يشملها وغيرها ، وهذا أكبر عون لنا على الفهم والتمييز والتقدير فيما يجمع ويمنع .

واذ كان علينا ـ معشر القراء الأصدقاء ـ أن نعرف فيما نطالع كيف نطالعه ، وفيما يقال : كيف قيـــل ، وان نستشف منه ما لم يقل ، وأسباب ذلك كله ـ فلا بد لنا خلال الجولة الأولى فيما نطالعه أن نداخل مؤلفه فى اهابه ونعايشه فيه خلال عمله ، ونرخى أزمتنا له ، ونجـــاريه حيث يأخذ ، ولو خالفناه بعد ذلك فى كل ما أخذ به . واذن فلا بد لنا خلال جولتنا هذه أن نحاول بلوغ غاية قدرته معه ، أو ندانيها على الأقل ، ولو فى هذا الشوط وحده ، حتى نرى كيف ينظر الى موضوع تأليفه ومن أين ينظر ، وما ظهر له منه وما خفى عليه ، وما ذكره صراحة أو كناية وما سكت عنه عمدا أو عفوا ، وما رضـــيه وما رفضه ، وما قدمه وما أخر ، وأسباب ذلك كله فى تقديره وفيما كان ينبغى أن يقدر ، فمن لم يستطع ذلك فلن يبيح له المؤلف كل ما أودع فى تأليفه من أسرار ، وهو ليس بالقارىء الصديق أو الأمثل للمؤلف ، فضلا عن أن يكون له الناقد الامام أو الناقد المستشار . أو هو ليس على الأقل بالقارىء الصديق لمن يشابهون الأستاذ أدهم فى عمقه وتورعه وحيطته وعفة قلمه ، مع اضـــطراره الكثير الى الخوض فى المحرجات ، وحسبنا منها الخصـــومات بين الآراء ، والخصومات بين الأعمال ، وهذه من أكبر محاور كتابته وأكثرها نشاطا ، لأن المجال الثقافى لكاتبنا ـ كما يبدو من مؤلفاته منذ بواكير شبابه حتى اليوم ـ هو المجال الذى يلتقى فيه التاريخ بالفلسفة ، وما يحفه من النقد والأدب ، وهذا كما نرى مجال مشتبك من عـــدة مجالات انسانية : كل منها حافل بأعنف الخصومات ، وكاتبنا يلتزم بين هذه الخصومات « مجلس القاضى المتصوف » فى عدله وحياده وحرصه على « الآداب العامة » بل هو يلتزم هذا فى خصومات الناس له وان كان هو لا يخاصم أحدا ، فلا بد لنا معه فى فهم أسلوبه وفهمه هو أن ندرك حدود ضروراته ، لندرك أسرار كلامه مع عمقه فيه وتورعه وحيطته وعفة قلمه ، واذن فلا بد لنا من النظر الى الكلام والمتكلم معـــا .

وكل ما قدمناه هنا من توضيح يسير للمنهج «النفسى» وتعمق لبعض غاياته البعيدة ـ قد يبدو استطرادا للتبشير بمنهج نؤثره لأسبابنا بخاصة ، وليس الأمر كذلك فحسب ، بل هو أيضا توضيح لمنهج الأستاذ أدهـــم فى كل ما كتب ولا سيما ترجمته للمعتمد التى هى موضوع هذه المقالة ، وفهم هذا المنهج لازم فى فهمها هى وسائر مؤلفاته ، ولازم فى فهمه هو ومنحاه فى الكتابة أيضا ، ولا يبدو نزوعه قويا الى هذا المنهج كما يبدو فى تراجمه بخاصة وفى ترجمتـــه للمعتمد بوجه أبين وأخص ، وسنرى أنه لو لم يســـعفه منهجنا أو منهجه هذا فى ترجمة المعتمد لانتكست جمـــلة من حيث هى ترجمة ، ولوجب اذن رفضها بغلافها ، ولكن

كاتبنا لم يعول فيها كما عول على هذا المنهج العبقرى ، فلم يكن ذلك فيها من أكبر أسباب فلاحه فحسب ، بل كان أيضا من أكبر أسباب ارتفاعها هى على كل تراجمه السابقة ، ومن أكبر أسباب ارتفاعه هو على نفسه أو على المعهود من آفاقه ، حتى بلغ ذروة لم يبلغها فى ترجمة سابقة . وقد دلل بهذه الترجمة فى شيخوخته على أنه لم يزل حولا كما ينبغى للكفء كلما واجه جديدا من الأمور ، وأن قريحته لم تزل تنمو وتتجدد ، وتواجه المواقف والشخصيات الجديدة بما يليق بها من أهبة الأستاذية وقدرتها على التحليق حيث يلتقى الواقع بالأحلام ، والحقيقة بالخيال ، وهذا هو الجديد فى هذه الترجمة دون تراجمه السابقة .

ونحن نعرف لمؤلفنا قبل هذه الترجمة كثيرا من مؤلفاته، وان كنا لا ندعى الاحاطة بها قراءة ولا خبرا ، ونعرف بينها كثيرا من التراجم القصيرة لشخصيات شرقية وغربية ، قديمة وحديثة ، ونعرف من تراجمه المسهبة ترجمته لمتزينى أحد زعماء ايطاليا ومحرريها فى العصر الحديث بعنوان « متزينى » وترجمته لعبد الرحمن الداخل بعنوان « صقر قريش » وترجمته للمنصور محمد بن أبى عامر بعنوان « منصور الأندلس » وهذه التراجم تسلك صاحبها بين المجيدين من كتاب التراجم فى العالم ، وبين شخصياتهم من هم أكبر من المعتمد ، ولكنا حين نستعرض هذه الشخصيات ، ونوازن بينها وبين المعتمد ـ يبدو لنا أن مؤلفنا لم يمتحن بشخصية أكثر تمردا على الترجمة من شخصية المعتمد ، ولا سبب لذلك الا لطف عناصرها وتفلتها، وان تكن جملة وتفصيلا فى غاية من الوضوح ، كما أن أخبارها كأوفى ما تودى أخبار من صاحبها ، ومصادر هذه الأخبار كثيرة قريبة التناول ، ولكن استيعاب كل أخبار المعتمد من شتى مصادرها لا تكفى وحدها لبعثه من الرجام حيا ، الا بقدر تنفث فيها روح الحياة فتحييها وتحييه بها ، وتقتصر من كل تلك الألوف من الأخبار على ما يعرفنا به ويربط حياتنا بحياته ، وهذه هى مهمة كتاب التراجم ، وفى ادائها يتفاضلون ، فقد يرتفع أحدهم فيخلق لنا من خياله او يبعث لنا من أبعد العصور والأمم شخصية واضحة فى عدة سطور فتكون أظهر حياة فى نفوسنا من كثير بين من نعايشهم ويعايشوننا ، وقد يهبط زميله حين يعرفنا بشخصية نعاشرها ، أو هى من أقرب الشخصيات الينا زمانا ومكانا فاذا هى جثة هامدة أو أشلاء مبعثرة وان جاوز فى الحديث بها ما يسود آلاف الصفحات .

وحين نوازن عند كاتبنا بين ترجمة المعتمد وترجمة الداخل وترجمة المنصور ـ وكلهم من أعلام الأندلس الاسلامية ـ وحين نوازن بين شخصياتهم لقربهم ، نجد أن ترجمة المعتمد أبرع وأرشق وأحيا ، ونجد أن كلا من أعلامها الثلاثة قد حكم فى الأندلس خلال عهد من عهود الفتن والهزاهز ، وأن كلا من الداخل والمنصور كان أكفأ من المعتمد فى الحكم والسياسة خلال تصريفه لشئون دولته التى شملت الأندلس الاسلامية جميعا ، كما كان أقدر على دفع العوادى عنها من داخلها وخارجها ، فردها فى عهده الى شىء من الاستقرار والطمأنينة ، بما استباح لنفسه وهيأت له أحوال عصره من أسباب القوة وأساليب الحيلة فى حدود البشرية المألوفة ، ونجد أن المعتمد كان أقل من زميليه كفاءة وتدبيرا للحكم ، وأن سلطانه فى أوسع آفاقه لم يشمل الا رقعة صغيرة من الأندلس ـ ولكنه أقرب الى هوانا وأشد اختلاطا بنفوسنا من صاحبيه الجبارين . وأدنى تأمل فى خلائقه وأحواله ـ ولو لم نعرف خاتمة حياته الفاجعة ـ يوحى الينا أنه كأبطال المآسى فيما أرادت له الأقدار وركبته ، وفيما أراد هو لنفسه وابتلاها ، ولابد أن يكون كأمثاله ممن تهيئهم الأقدار لمآسى البطولة ، سواء فى حكايات التاريخ الواقعية ، أو روايات الأساطير الخيالية ، ولو هلكوا حتف أنوفهم بين العز والنعيم ، وغالبا ما تنتهى آجالهم بالفواجع كما تنتهى آجال أبطال المآسى فى الخيال ، الا أن تعاجلهم الأقدار بميتة تريحهم من محن البطولة كما يموت غيرهم من الدهماء . ولو كانت سيرة المعتمد رواية من خلق الخيال لوجب فنيا أن تنتهى بخاتمة فاجعة على أى حال ، ولو اختلفت عن الفاجعة التى ختمت بها حياته فى التاريخ ، فالخاتمة الفاجعة على أى حال هى النهاية التى لابد منها فنيا لمن هم مثله فى بدايته وشخصيته وسيرته « المأساوية » .

والمعتمد ـ لا شك ـ شخص تاريخى ، وليس فى أخباره خبر واحد يتردد العقل فى قبوله ، ولكن سيرته التاريخية أشبه بأسطورة فذة خلقها خيال مبدع منها بتاريخ انسان عاش فى الدنيا كغيره من البشر ، وهو من الشخوص التاريخية التى تمتد بينها وبيننا وشائج شتى من العطف والتخيل والتفكير والتأمل ، وقلما تنقطع تلك الوشائج بينها وبين أحد الا وجد وشيجة أو أكثر غيرها تمتد بينه وبينها ، فتجذبه اليها وتغريه أن يهتم بأمرها ، ويتطلع الى نشاطها، ويتأمل العبر من حظوظها المتقلبة بين السعود والنحوس ، وهى ـ مع ذلك ـ مستمسكة بمزاياها النبيلة ، كيفما ارتفعت بها الأقدار الى أوج العز والكرامة ، أو انحطت بها الى هاوية الذلة والمهانة . فحياة المعتمد معرض حافل بكثير متنوع مما يفتن النفوس ويجذبها من المتع والعبر ، ففيها ما يرضى صنوفا شتى من أهل العمل وأهل النظر ، وما يغرى صنوفا شتى من طلاب الحقائق وطلاب الأحلام .

كان فى قمة سلطانه وأبهته أميرا ثم خليفة ، ورث الملك عن أبيه فساس وحكم ، وأصلح كثيرا على وفق ما أراد ، وأفسد كثيرا وهو لا ينوى الفساد أو الافساد ، وكان عالما بثقافة قومه ، مشاركا فى حضارتهم ، كما كان مقاتلا شجاع القلب والرأس واليد واللسان ، دبر الجيوش وقادها ، وشن الحروب واشترك فيها بنفسه صبيا وشابا وكهلا ، ولم يردها توسعا فى السلطان والأبهة بقدر ما أرادها اقرارا للأمن ونشرا للسلام ، وقد انتصر كثيرا كما انهزم كثيرا ،

فذاق حلاوة النصر دون بطر ، وتجرع مرارة الهزيمة دون ضجر ، وكان نبيلا في صداقاته وعداواته ، جوادا بماله وجاهه على الاقربين والأبعدين ، كثير العفو عمن يسيء اليه ، كثير الاحسان لمن يحسن اليه ولو ببادرة خير يهم بها أو ينتويها ، وكان أبا مفرط الحب والبر بأولاده ، وزوجا مفرط العشق والرعاية لحظاياه ، مفرط السخاء في ارضائهن مهما يسرفن في الدالة والطلب ، لا يبرحن خياله ، ولا تفارقه الصبوة اليهن في رخاء ولا شدة ، فكأنه لم يخلق لغير اللهو والغزل ونظم الشعر في غرامياته وأشباهها من صبوات قلبه ، وكان صديقا مفرط المودة لاصدقائه حتى يخلطهم بنفسه وسلطانه ومعيشته وأهله ، وكان شاعرا لا يفارقه مزاج الشاعرية ، ولا نزعاتها مهما تلح عليه النعماء ، أو تلح به البأساء ، فكان يجد في كل ما يخامره ويراه موضوعا لقصيدة ينظمها ، أو يغرى بنظمها جواريه وأولاده ، أو شعراء بلاطه المقيمين والوافدين ، وقد يبدأ النظم ببيت أو شطر ، ويطلب منهم أن يجيزوه ، أو يبداون هم النظم فيعارضهم ، أو يبدؤه فيعارضونه ، وهو مغتبط سمح بالتقدير والتشجيع وان قصروا عنه أو غلبوه ، وربما بلغ به عشق الجود أن يجزى بما يستطيع وما لا يستطيع، فكم شاعر قصده في منفاه بمدحة غير طامع في ماله بل مقدرا لمناقبه ، فحياه المعتمد بمثل مدحته ، ثم أربى عليها فزوده ببعض ما في يديه من كفاف ، على حين أنه هو وزوجته وأولاده في حاجة الى لقمة يتبلغون بها ، أو رقعة من كساء يتسترون وراءها ، فاذا أبى الشاعر المال اشفاقا عليه واكبارا لفضله تابعه بالحاح حتى يقبل منه أو يوئسه من القبول .

وظل على الصبر النبيل في أسره بين حريمه وولده من صغار وكبار ، منفيين عن الوطن ، ممتحنين بقبضة السجن ، والأغلال في أرجلهم جميعا ، حتى بناته ربيبات النعمة والبذخ كانت الفاقة الجائحة تضطرهن أحيانا الى أن يمتهن أنفسهن لغزل الصوف أو نحو ذلك من المهن جزاء الأجر ممن كانوا قبل في بلاط أبيهن من أصغر الخدم أو المهينين ، وكن يدخلن عليه في الأغلال ، وملابسهن ممزقة بالية ، وأجسادهن هزيلة ضاوية ، وقلوبهن كسيرة ذاوية ، من فرط الضر والجهد والفاقة ، فلا يملك لهن غير الحنان الكسير ، والدعوة الى الصبر العيوف ، ومبادلتهم الدعابة أو قرض الشعر تأساء وتعزية ، كأنهن لم يفارقن بلاطه ، وقد امتحن بفقد بعض هؤلاء العزيزات كما امتحن بفقد أعز حظاياه اللاتي عشقنه وعشقهن ، وشاركنه نقمة بلاياه صابرات محتسبات ، بعد أن شاركنه غبطة نعمائه شاكرات حافظات ، وكذلك امتحن بفقد أبنائه بين الموت قتلا ، والموت صبرا أو يأسا .

ولم يعدم — وهو في محنته — تقدير كثير من أولى المروءة والنجدة والوفاء ، وفيهم قدامى أصدقائه ومن حفظوا له فضله ، ومنهم من لم تكن له نعمة عنده ، فكانوا يقصدونه للتحية والتعزية والمواساة ، ويعودون ناعمين برضاه ، أكثر من غبطتهم لو عادوا من بلاطه بهداياه ، وكان بين زواره في منفاه بعض شعرائه الذين مدحوه وواسوه بأشعارهم مخلصين في أداء حقه ، فكان يجزيهم شعرا بشعر ثم يحاول أن يجزيهم فوق شعره بقليل رفده .

مثل هذا « البطل المأساوى » أولى أن يضطلع بعرض مأساته عبقرى من شعراء الملاحم أو الدراميين أو الروائيين الذين تهزهم مآسى البطولة ، فيحسنون مطايرتها حيث تحلق أو تهوى ، حتى تمتزج حياتها بحياتنا في اهاب واحد ، فنتقاسمها سعودها ونحوسها ، ونعايشها في يقظة كأنها المنام ، وبواقع كأنه بعض الاحلام . فأما ان يتصدى لعرض هذه المأساة كاتب فيصوغها بحثا ، ثم يعاطفها كما يعاطف خصومها ، ويقوم منها في مجلس القاضي لا موقف المحامى ، ثم يفلح بعد ذلك في أن يشعرنا بعناصرها المأساوية — فهذا هو موضع العجب والاعجاب ، وسيبقى الاعجاب بالاستاذ أدهم لانه استوفى ذلك كله من «مجلسه القاضوى» وارتفع بنفسه وهو مطمئن في حياده ووقاره — حتى بلغ مع المأساة أعلى قممها الفاجعة ، وأما العجب فسيبقى حتى تظهر الاسباب ، وسنعرض أهمها بعد قليل .

واذا كان التعريف بالمعتمد هو مهمة هذه الترجمة وغرضها الأصيل الذى وفت به مع صعوباته ، فان هناك غرضا ثانويا كان على المترجم أن يستوفيه مع صعوباته أيضا ، وهذا الغرض هو تمهيد الترجمة أو تمهيداته من العصر أو البيئة والأسرة ونحوها ، واذا كانت صعوبات التعريف بالمعتمد ناشئة من لطف عناصر شخصيته وتفلتها فان صعوبات التمهيدات ناشئة من أن عناصرها متفرقة منتشرة بين ألوف الأخبار التى تشتبك وتزدحم وتتعقد حتى ليضل في متاهاتها كل قاض ولو كان من خبراء الرواد ، الا أن يفرغ لها شهورا من عمره ، فالأندلس الاسلامية ووقائعها في عصر المعتمد وقبله — كما تركتها الخلافة الأموية لملوك الطوائف يتنازعون بقاعها بين ضم وتمزيق في جيل بعد جيل — أشبه ما تكون بتركة رجل كان على حظ يسير من الغنى وله ذرية كثيرة ، ثم توالت ذريته على طريقته أمدا طويلا فزاد انتشارهم على توالى الأجيال ، ومنهم من أصهر خلال هذا الامد الى قريب أو بعيد من ذوى رحمه ، ومنهم من أصهر الى غير أولى الأرحام حتى تقصت أجيالا بعد أجيال ، فماذا يفعل قاض شديد التحرج اذا ابتلاه الله بنظر هذه القضية ليقضى لفرد احتكم اليه في جيل متأخر ، فيوفيه فريضته على وفق شريعة تقضى لكل قريب من ذوى الارحام والازواج أن يرث بعض تركة أقاربه وأصهاره ؟

ان المشكلة هنا ليست في استيفاء القاضي المسكين علم الفرائض فحسب ، فهو — مهما يحط خبرا بتفصيلات هذا العلم — مضطر الى أن يستعين بالدوى والأقلام والكتبة ليتبع الأنصبة عند كل واحد من الاسلاف ومن أصهر اليه

في كل جيل ، ثم يعود ليحاط خبرا بكل هـــذه الصغائر الشرود ولكن في صورة جامعة ، ليعرف لهذا المتقاضي العسر او لكل فرد غيره نصيبه الحق في هذه التركة العقام ، وان أيسر خطأ في أي خطوة ليؤدي حتمـــا الى الخلل في كل ما يصاحبها وما يتلوها من خطوات .

كذلك يلقى القارىء الذى يبتليه الله بمطالعـــة تاريخ الاندلس الاسلامية في عهد ملوك الطوائف ومنهم المعتمد ، فهو لا ينبعث أى خطوة الى الأمام في بعض مراحل هذا التاريخ المتشابك حتى يضطر خلال فوضاه الى التيـــامن أو التياسر أو الاتئاد خطوة أو أكثر ليصـــل آتي أمره أو حاضره بماضيه . وهذا ما كان على كاتبنا أن يجنبنا اياه وان شقى وحده ببلاياه ، ولقد فعلها وانها لكبيرة الا على الراسخين ، فقد استخلص عناصر هذه التمهيدات من المراجع الاربعين لترجمته ، واســـتعان في تنسيقها واســـتيفائها بمطالعاته وتجـــاربه ودرايتـــه بفلســـفة التاريخ التى يعد من روادها الأعلام في ثقافتنا الحديثة ، وكل هذا من أجل التمهيدات وهى الجوانب الثانوية ، ولكن التعريف بالمعتمد لا يتم الا بهذه التمهيدات كما لا تتم بطانة الصورة بغير ظهارتهاBachegraound. ونقول التمهيدات لا التمهيد ، لأن كاتبنا لو جمع كل ما استخلصه من ذلك وجعله مدخلا واحدا وافيا للسيرة ـ لطال المدخل وتوعر ، لاجتماع عقباته وأحنائه ، ولعز على القراء أن يمضوا فيـــه ولو كانوا من المختصين ، وهيهـــات أن يفلح في ذلك أى ايجاز . لكن كاتبنا الحول نجا بنفسه وبنا من هذه المتاهات حين التفت الى الجانب الأصيل الاهم من الترجمة وهو التعريف بالمعتمد ، فقسم سيرته مراحل ، وجعل لكل مرحلة ما يناسبها من التمهيدات ليكون مدخلا قصيرا سهلا خاصا بها ، ومن هنا تعددت المداخل مع قصرها ويسرها على وفق مراحل السيرة ، وعلى هذا النحو فصل المؤلف كتـــابه ، فجاءت فصوله غالبا على هذا الترتيب المتسق تاريخيـا وفنيا في جملة الكتاب ، وكان الخير والصواب في ذلك ، وهذه عناوين فصوله :

١ ـ مقدمة .
٢ ـ سقوط الخلافة الأموية الأندلسية .
٣ ـ نشأة الأسرة العبادية .
٤ ـ عهد المعتضد بالله .
٥ ـ المعتمد على الله وابن عمار .
٦ ـ المعتمد بين شعراء بلاطه وجواري قصره .
٧ ـ الاستيلاء على قرطبة .
٨ ـ مصرع ابن عمار .
٩ ـ حركة الاسترداد الاسبانية .
١٠ـ وقعة الزلاقة .
١١ـ خاتمة ملوك الطوائف .
١٢ـ المعتمد في طريقه الى المنفى .
١٣ـ المعتمد في المنفى .
١٤ـ وفاة المعتمد .

وقد تكثر المخالفات وتطول بيننا وبين المؤلف اذا التفتنا الى بنية الترجمة جزءا جزءا ، ولكنا اذا شاركناه الاحاطة خبرا بجملة نظامها ، وناقشنا اقتراحاتنا في مخالفته ـ وجدناه أقرب الى الصواب وأجدر بالموافقة ، أو وجدنا الخلاف بيننا وبينه يسيرا ، فليس ما يدعونا الى مخالفته مثلا في أن اهتم بالمعتمد أكثر مما اهتم بعصره أو أسرته أو نحوها، فذلك هو الصواب المحض وغيره الخطـأ الصراح ، لان الترجمة تعريف بشخص وهـــذا من الفروق بينها وبين التاريخ ، والمقصود من الكتاب هو المعتمد وعصره ملحق به، لا العصر والمعتمد ملحق به ، بل ربما يؤخذ على المؤلف أنه أعطى العصر أكثر مما يستحقه وان كان في الحدود المقبولة. وكذلك ليس ما يدعونا الى مخالفته أن قسم حياة المعتمد مراحل تاريخية ، فهذا أليق ما يكون بالترجمة اذا اتخذت قالب السيرة أشد من اتخاذها قالب الصورة ، وهكذا ترجمة المعتمد ، والمهم في العمل جودته ووفاؤه بمهمته ، وترجمة المعتمد قائمة بهذين الشرطين دون شك ، وأما بعد ذلك فكل يعمل على شاكلته ، كما يقول التنزيل الحكيم ، ولكل شيخ طريقته كما تقول حكمتنا الدارجة ، وليس لنا أن ننازع « شيخا » استقلاله في طريقته بل نبارك له هذا الاستقلال بها ـ مهما يخالفنا أو نخالفه ـ ما دام قد برهن أنه « شيخ » بأمانته وخبرته وقدرته في صنعته ، وليس ما يدعونا الى مخالفة كاتبنا أن عدد المداخل على وفق مراحل السيرة فذلك كما قدمنا أعون على الهـــداية فيها وغيره أوقع في الضلال والملال ، وليس لنا ما يدعونا اذن الى مخالفته حتى في نكوصه عند كل تمهيد ـ وان خالفناه في طول شوط النكصة ، ـ ما دمنا قد سلمنا أن تعـــديد التمهيدات كان أصوب من جمعها لتكون تمهيدا واحدا ، ولم تكن أية نكصة هنا الا حركة ميدانية ، والشـــجاع الحكيم في المعركة يرتد كما يتيامن أو يتياسر دون اختلاف من أجل استئناف كرة جديدة اذا رأى ذلك أعون له في النفاذ الى غرضه ما دام لم يترك ميدانه ، وما من تمهيد حتى المقدمة الا وصورة المعتمد تتراءى لنـــا فيه ، فالمؤلف لم يغفل قط عن غرضه الأصيل وهو التعريف بالمعتمد في أى صفحة من صفحات الترجمة . وما من اقتراح نقترحه غالبا على المؤلف الا وجدنا الاعتراض عليه كاعتراضنا على ما شرعه المؤلف أو أشد اذا نظرنا الى الترجمة جملة كما ينبغي ولم ننظر اليها جزءا جزءا .

وقد أشرنا قبل الى أن منهج المؤلف في هذه الترجمة هو المنهج النفسي ووضحنا بعض سماته ، كما أشرنا الى أن هذا هو منهجه في مؤلفاته بعامة وتراجمه بخاصة وفي ترجمة المعتمد على الأخص ، ونزيد الأمر هنا ايضاحا عنده فنشير

الى أنه مع كثرة مؤلفاته وكثرة ما طالعنا منها لا نعرف له قولة واحدة صرح فيها بانه يلتزم فيها هذا المنهج أو يؤثره على غيره فى كل ما يكتب أو فى بعضه دون بعض ، ولكن أدنى تأمل فيها يدل على أنه يأخذ به فى كل خطوة من خطوات تأليفها : عندما يفكر فى الموضوع الذى يتصدى له ، ويطالع مصادره ، ويستصفى له ما يلزمه ، ثم يفصله ويقدره ، ويختار له قالبه وعبارته الى أن يفرغ من كتابته ، ومن اوضح دلائل ذلك أنه يربط الأقوال والاعمال بل النيات باصحابها ، ويتمثلهم ويمثلهم بها ، ومهما يبعد فى تفسيرها أو تعليلها بغيرهم من العوامل – ومن أهم هذه العوامل عنده العصور واتجاهاتها – فانه يعود الى شخصياتهم فى تفسيرها المباشر والأخير، فغاية العوامل الأخرى أنها أثرت فى شخصياتهم، فتأثر بهذه نشاطهم ، واذن فشخصياتهم هى التى أخذت من تلك العوامل ولم تخرج فيما أخذته منها عن مقتضى طبائعها التى خلقت بها ونمت عليها ، وعن هذا الطريق وعلى وفقه كان لتلك العوامل آثارها غير المباشرة فى أقوالهم وافعالهم ، وشخصياتهم اذن هى المصدر القريب المباشر والبعيد النهائى لكل ما قالوه وعملوه وسائر ما نشطوا فيه.

ولست أعرف قولة واحدة فى كل ما طالعته من آثار مؤلفنا تدل على ايثاره هذا المنهج وفطنته اليه – أصرح من كلمته فى مقدمة هذه الترجمة وهو يشير بين مراجعها بخاصة الى شعر المعتمد ، ويوازن بينه وبين أشعار أمثاله من الملوك ، فقال : « ولكنى أرى أن شعر المعتمد يسمو على ذلك ، فهو لا يتأود اذا غمزه الثقاف ، أو عض متنيه ، بل يظل سويا قويا ، ممتعا مؤثرا ، يمتاز بالعذوبة والمائية ، وصدق التجربة ورهافة الحس ، وقد وصف لنا المعتمد فيه صورا شتى من حياته فى نعيمها وبؤسها ، ولو ضاعت أخبار المعتمد ونسيت سيرته ، وبقى ديوان شعره – لكان الى حد كبير كافيا فى الدلالة على شخصيته ، والاعراب من سماحة نفسه ، وسجاحة خلقه ، وفرط كرمه وأريحيته، وحبه للجمال ، ورهافة حسه ، وأسلوب حياته ، ونمط تفكيره . فهو سجل أمين للكثير من أخباره وحوادث حياته وترجمة ذاتية ممتازة ، بارعة التصوير ، بليغة الأداء ، ونستطيع أن نتبين خلاله أن الرجل كان ثمره ثقافة ناضجة وسليل حضارة متألقة » .

وليس بعد هذه العبارة الصريحة المفصلة ما يدل على اننا لم ننحل مؤلفنا هذا المنهج النفسى ، بل كل عملنا أننا نسبنا اليه فصله وعرفناه به ، وأننا وضحنا بعض سماته وغاياته القريبة والبعيدة للتعريف به ، وسميناه من عندنا لسهولة التعامل بالاسماء . ونزيد هنا أنه لولا تعويل المؤلف على هذا المنهج ، ووزنه للاخبار بدلالتها على حسب مقتضى هذا المنهج ، ومن ثم اعتماده الاكبر على ديوان المعتمد ووقائعه المباشرة فى التعريف بخلائقه وسيرته ، واهتمامه أن يعرفنا به « هو » فى حياته أشد من اهتمامه أن يعرفنا بعصره أو بيئته أو اسرته ونحوها ، ثم اختياره من الوف الاخبار التى تزدحم بها مراجعه الأربعون ما يحقق هذه الاعتبارات وحدها ولا يتعداها – اذن لتضاعف حجم الترجمة أضعافا كثيرة ، ثم لم يغن الاطناب المفرط فيها ما أغنى الايجاز القاصد . ولقد كان اعتماد مؤلفنا على ديوان المعتمد فى هذه الترجمة من مستحدثاته التى رفعتها على غيرها ورفعته على نفسه .

ومن آيات عناية مؤلفنا القوية باستيفاء ترجمة المعتمد انه استخلصها من أربعين مرجعا ، معظمها مراجع ضخمة وثيقة تحيط بحياة المعتمد وتتخللها من كل جانب : منها أربعة عشر مرجعا قديما ألفت كلها بالعربية اما فى حياة المعتمد او هى أقرب ما تكون الى عصره ، ومنها عشرون مرجعا حديثا ألفت بالعربية أو ترجمت اليها ، ومنها ستة حديثة ألفت بالانجليزية ، فهو لم يترك وجهة فى هذه الترجمة الا حاول الوقوف عليها : عرف وجهة المشرقيين والأندلسيين من الأقدمين كما عرف وجهة المحدثين ، وعرف وجهة قومه كما عرف وجهة الغربيين ، ووقف على وجهة العلم عند المؤرخين قديما وحديثا واهتم بالوقوف على وجهة الفن ، وتوسعه فى تعرف وجهة الفن واستعانته بها فى النفاذ الى المعتمد فى الظلام وبعثه من الرجام هو بعض ما استحدثه فى هذه الترجمة ولم يسبق له فى غيرها بهذه السنة ، كما ان هذا من أكبر أسباب فلاحه فيها كما لم يبلغ مثله فى نظائرها ، وهو أيضا من الآيات الجديدة على نمو قريحته وتجددها ، واستعدادها للارتفاع حتى اليوم مع المواقف العالية التى تشبه الخوارق والاحلام .

من بين الجوانب التى وقف فيها على وجهة الفن منزلة المعتمد وخلائقه وبعض أطوار حياته كما أبرزتها قصائده وقصائد الشعراء الذين وفدوا عليه حيا فى بلاطه بالأندلس، او فى منفاه بالمغرب ، ومنهم من وفدوا على قبره بالمغرب اما عقب وفاته أو بعدها بكثير ، فبكوا شمائله النبيلة وخاتمته الوبيلة ، وأبنوه كما يؤبن أبطال المآسى خلقوا ليهلكوا وهم فى أنبل أخلاقهم تحت ضربات القدر ، ولا ذنب لهم الا هذه الأخلاق ، وتشددهم فى الاعتصام بها كلما زادتهم الأقدار كربا ومحنة ، وكذلك ابنه بنثر كالشعر كثير من المؤرخين الذين نفذوا الى حقيقة مأساته ، ومن بين الجوانب التى استأنس فيها المؤلف بوجهة الفن أيضا صلة المعتمد بابن عمار صديقه وشاعره ، ونديمه ووزيره ، وربيب نعمته الكنود الذى استخلصه المعتمد من وحل الخمول والفاقة ، وضياع الصعلكة والتشرد ، وارتفع به حتى شاركه سلطانه وثراءه وقلبه ، وخلطه بأهله ، ولكن ابن عمار حين وصل الى القمة خانه كما يخون كل وصولى أو انتهازى زنيم ، وشنع به كما يشنع كل لئيم ، بل بالغ فشنع بعرضه وأعراض أهله كأقبح ما يشنع فجرة اللئام بالكريم الذى أفرط فى الاحسان اليهم بعد أن أشبعهم من جوع ، ونوه بهم بعد الخمول ، ورفعهم الى أوج الأبهة والكرامة بعد أن كانوا لاصقين بخصيص الرثاثة والمهانة ،

حتى اضطر المعتمد الى أن يقتله بيده بعد أن كاد يعفو عنه بالكره من كبائره التى لا يحتملها غير أولى العزم ولا سيما شهداء المآسى ، فهذه الصلة بينهما قد استأنس فيها المؤلف بقصائدهما كما أنس برواية قصيرة ألفها الاستاذ الروائى ثروت أباظه فى ابان نشأته سنا وفنا ، وجعل عنوانها ابن عمار ، ولولا أن كاتبنا عول على المنهج النفسى الذى يبسط اكنافه لكل ماله دلالاته الفنية والاخلاقية من الاخبار وان كان اسطورة أو حلما ، ولا يقتصر على ماله مجرد دلائل تاريخية وثيقة الاسانيد – اذن لما انتفع المؤلف بهذه القصائد وهذه الرواية كى يحقق لترجمته ما حقق لها من خفة ورشاقة وحياة ، فلا القصائد ولا الرواية تخلو من شطحاتها ومبالغاتها الكثيرة ، ولكنها مع ذلك أحيا وأدل من كثير بين الوقائع التاريخية وان كانت اسانيدها وثيقة . واذا أردنا أن نعرف حتى بعد استيعاب هذه المراجع – عناء ترجمة المعتمد وما لمؤلفها من فضل مستقل فيها وفى مراجعها أيضا – فالوسائل كثيرة ، وأقربها هنا الموازنة بين هذه الترجمة وترجمة سبقتها فى موضوعها وحمل اسمها أيضا « المعتمد بن عباد » للدكتور الباحث المحقق عبد الوهاب عزام ، وهو من هو فى شاعريته ومطالعاته ولغاته ورحلاته ومجالات ثقافته المتنوعة وصفاء نفسه الرضية ، وطلاقة قلمه المبين ، عليه رحمة الله ورضوانه .

وقد تبدو هذه المراجع قليلة – وان لم يبد خفيفا منها غير رواية « ابن عمار » – اذا وازنا بين هذه المراجع ومراجع كثير من الكتب المؤلفة حديثا ، اذ تبلغ المراجع فى بعضها عشرات بعد عشرات ، وقد تجاوز المائة ، ومن حق انفسنا علينا أن نحاسب هذه البدعة قبل أن نسلم بدعواها الكثيرة لنفسها ومراجعها ، وأوجب ما يلزم التشدد فى محاسبة بدعة اذا راجت وراجت معها أخطارها وخيفت جرائرها على الاخلاق والعقول ، وقلبت الموازين فرفعت الادنين ، وحطت الاعلين ، وهذا هو شأن هذه البدعة اليوم ، ونحن الجناة على أنفسنا اذا لم نتشدد فى حسابها على قدر دعاواها الكثيرة ، ولو كان أصحابها ومروجوها ممن تظن فيهم الكفاية والأمانة دون حساب واع دقيق ، والعبث فى كل مجال بلاء لا يطاق ولا سيما مجال المعرفة حين يجنى على العقول والاخلاق والأذواق ، وهى شرف الانسانية الأكبر . وأما مؤلفنا – فى حياته وتورعه وتواضعه ، وحرصه المفرط على كرامة نفسه وكرامة قلمه وقرائه وصنعته وزملائه المؤلفين – فهو أمين جد أمين فيما يكتب وينقل ، وهذا بعض ما دعاه الى أن يذكر بين المراجع الكبار رواية « ابن عمار » الناشئة ، فهى بحسب مقياسه الادبى أو الفنى ، ولاخلاقه السمحة – أهل لان تأخذ مكانها بحق بين أكبر هذه المراجع ، وان كانت تبدو للمتعجل الذى لا يقيس الامور كما يقيسها هو ، وليس له مثل سماحته – كأنها الناشىء الوحيد فى مؤتمر من الشيوخ الأجلاء أولى المهابة والوقار ، اجتمعوا للمشاورة فى مهم قومى يتوقف مصير قومهم على رأيهم فيه .

وهذا الكتاب ترجمة دون شك كما يدعى العنوان ، وعندنا أن « الترجمة تعريف بشخص » أو « هى تعريف خاص بشخص معين » ولو كان طفلا أو حيوانا أو جمادا ، فهى تنصب أولا وأخيرا على خصائص هذا الشخص ، وتفصل عليه وحده على وفق خصائصه كما يفصل الكساء على بنية صاحبه بمزاياها وعيوبها كى تلائمها ولا تلائم بنية شخص آخر مهما يقاربه فى البناء ، ولا شىء وراء ما يفى بهذا التعريف من زيادة أو نقص فان نقص الكساء عيب كالزيادة فيه ، فيقتصر فى الترجمة على ما يعرف بخصائص الشخص بقدر ما يعرفها ، والأخبار – وهى مادة الترجمة انما توزن فيها بقدر دلالتها على خصائص هذا الشخص فحسب : اما فى ذاته صورة واما فى حياته سيرة ، وان كانت احداهما تغلب الأخرى دون أن تستقل عنها كل الاستقلال ، فلا تكفى صحة الاخبار كى تحشد فى الترجمة وتضخم بها وهذا من الفروق بين الترجمة وسائر الانواع الادبية ولا سيما التاريخ الذى يلتبس بها التباسا شديدا حتى عند المثقفين مع أن الفرق بينهما واضح وضوحا شديدا للعارفين وانما يؤخذ من الاخبار ما له دلالته على خصائص الشخص ويترك ما عدا ذلك ، فاذا اتحدت الاخبار دلالة لزم أن يستغنى ببعضها عن بعض ، وواحد قد يغنى عن عشرات بل مئات اذا كانت مثله أو دونه فى الدلالة على خصيصة معينة ، لأن ذكر بقية الاخبار معه لا يضيف معرفة جديدة بهذه الخصيصة وان وكد المعرفة بها ، وقد يقدم الخبر الصغير دون الخبر الكبير اذا كان الاول أوفى دلالة ، وذلك بحق ما يراه بلوتارك امام كتاب التراجم فى كتابه عن العظماء وهو يقدم لترجمة الاسكندر ، وكذلك يقدم الخبر على ما هو أوثق منه سندا اذا كان الأول أصدق دلالة وانسب لخصيصة من خصائص الشخص فى جملتها ، وقد ينتفع هنا بالأساطير والأحلام كما ينتفع أو أشد مما ينتفع بالأخبار الوثيقة الأسانيد اذا كانت قليلة الدلالة ، وهكذا : وأصدق ما يكون ذلك فى الترجمة اذا كانت صورة ، وقد يتسامح فى بعض هذا اذا كانت سيرة .

ويلاحظ أن كاتبنا اهتم فى تعريف المعتمد ببيان خصائصه فى أطوار حياته خلال نموها وتكاملها أكثر مما اهتم ببيان خصائصه النفسية فى مزاجه وخلائقه وتفكيره ومنزعه ، ومن هنا جاءت الترجمة أقرب الى السيرة منها الى الصورة وان كان لا حسم بين النمطين فى أى ترجمة ، وبغير الجمع بينهما لا تتم أى ترجمة .

ونزيد الأمر ايضاحا بين النمطين فنشير الى أن السيرة تكتب بحثا أو رواية ، ولا تكتب الصورة الا بحثا ، وتتداخل الأخبار المتحدة الدلالة فى مكان واحد من الترجمة اذا كانت صورة ولا تتداخل كذلك اذا كانت سيرة ، والأخبار المتعاصرة تجتمع متعاقبة وفق زمنها فى السيرة وأن كانت مختلفة الدلالات على الخصائص ، ولا ترتب الاخبار فى الصورة الا باتحادها أو اقترابها فى الدلالة لا باتحادها أو تقابعها فى

العصر أو الزمن ، وتستلزم السيرة الترتيب الزمنى كالتاريخ والرواية فلا تقرأ الا من السابق الى اللاحق أو من الاول الى الآخر ، ولكن الصورة مناظر متفرقة وان تكن متكاملة فى بنية حية واحدة أيا كان موضوعها من الناس او الحيوانات أو الجمادات ، ولهذا تقرأ الصورة من الوسط أو الآخر كما تقرأ من الاول ، والربط بين أجزاء السيرة أسهل على الكاتب والقارىء والربط بين أجزاء الصورة عسير عليهما معا ، والخلاصة أن الصورة القلمية قبل تمامها زمنية متحركة عند الكاتب والقارىء لأن وسيلتها الجمل المتعاقبة ، ولكنها فى النهاية مكانية ثابتة ككل صورة يدوية أو شمسية ، وأما السيرة فهى قبل تمامها وبعده زمنية متحركة . وخصائص السيرة فى ترجمة ابن عباد اوضح من خصائص الصورة ، وربما كان أكبر شفاعة مقبولة لها أن خلت من فصل أو نحوه عن شاعرية المعتمد ، وهو فصل لا تتم الصورة بغيره ، وقد لا يلزم فى السيرة هذا اللزوم .

ويلاحظ ان أسلوب كاتبنا فى بحث المشكلات الفكرية ادنى الى الأسلوب العلمى من الادبى ، ولكنه فى التراجم ادخل فى الادب ، وهو فى هذه الترجمة أدخل فى الادب من أى ترجمة أخرى ، ولعل السبب فطنة مؤلفنا الى شاعرية المعتمد ، فعول على ديوانه ، لأنه ـ كما قال ـ « ترجمة ذاتية » وكذلك استفاد بقصائد غيره ، أو هو استفاد بوجهة الفن فى كل ما أتيح له من مراجع السيرة ولا سيما ديوان المعتمد وسائر ما قيل فيه ، بل استفاد فى ذلك من تراجم المؤرخين الذين نفذوا الى مأساة حياته كما أشرنا آنفا ، وقد أشرب بحثه فى الترجمة روح الرواية بل روح الملحمة أحيانا ولا سيما فى المواقف الحماسية كوصفه لموقعة الزلاقة ، وقد أفسح المجال كثيرا جدا لهذه القصائد حتى ليعد المتعجل ذلك اسرافا وهو عين القصد أو دونه ، فقد جعلت هذه القصائد ترجمته كأنها الملحمة فى بعض المواضع ولا سيما ثلثها الاخير ، وأكثر ما أفسح من ذلك لقصائد المعتمد اذ ليس أبلغ من الانسان المبين دلالة على نفسه اذا تحدث بخوالجه وأحواله ولو بالغ أو انحرف أو كذب . وهذا أهم المستحدثات فى هذه الترجمة وفينا لك ببعضه كما وعدنا .

ولو كاتب ذو مزاج أشد تلهبا من مزاج شيخنا الورع لما آثر مثله أمام المعتمد « مجلس القاضى المتصوف » بينه وبين خصومه ، بل هب الى « موقف المحامى » فى صفه ضد خصومه ، ولو آثر كقاضينا الأجل ألا يقول الا الحق ، ولكن الأستاذ أدهم فى « مجلسه القاضوى » استطاع أن يسمعنا ما لا يسمعنا المحامى الواقف الى جنب المعتمد أشد منه وأكثر حماسة اذا التزم ما يلتزمه قاضينا المتصوف فى وقاره وورعه ، ومن حيله فى ذلك ـ وما أكثر حيل الطيبين والطفها وأخفاها ـ أنه اختبأ وراء بعض المؤرخين فأسمعنا بألسنتهم ما أراد أن يقوله بلسانه ضد خصوم المفتى دون أن يخرج عن وقاره ولا حياده بين الخصوم وبسط كنف العطف جميعا سواء منهم الجناة والضحايا ، وهذه كما ترى حيلة بارعة لابد من الفطنة الى أمثالها فى كل ما يكتب الاستاذ أدهم او يقول .

ولقد كنا ـ قبل هذه الترجمة ـ نعرف كثيرا من فضل كاتبها بما طالعنا من آثاره القيمة وبينها كثير من التراجم التى تسلكه بين أبرع كتاب هذا الفن فى أدبنا وآداب العالم كله ، وكنا نعرف خلال آثاره ما يستشف وراءها من قوى واستعدادات هى أكبر من هذه الآثار ، ولولا أن قلمه ملجم بورعه وحزمه لكانت أعماله ارفع وأكبر ، ثم أكثر واشهر ، واظهرت فيها آثار الفكاهة كثيرا لنضج ملكته المنطقية وسماحة نفسه الطيبة ، وكنا نعرف منه ما يعرفه معنا كل عشرائه من حيائه الجم وحرصه المفرط على كرامة نفسه وكرامات الناس جميعا ، ونعرف مظهر ذلك كله فى آثاره وهو وحده ما يعنينا هنا مع القراء ونحن نتحدث بكتابته ومزاياها الخاصة لفهم ترجمة المعتمد وغيرها ، وهذا المظهر هو ما نعهده من حرصه المفرط على كرامة قلمه فلم يغمسه الا فى اشرف الموضوعات وأجلها ، ولم يترك له أن يجمع ولو مرة فيما يخجل أو يغضب بقصد الاساءة ولو كانت دفعا لمساءة اليه ، ومثل ذلك حرصه المفرط على قرائه ، فهو يصطفيهم بخير ما عنده ، ولا يضيع عليهم لحظة واحدة فى سطر واحد بغير فائدة قيمة ، وهو يحمل تجاههم كل تبماته وان كان لا يعفيهم من تبعاتهم لانفسهم وهذا مقطع العدل بين الكتاب والقراء ، بل بين الآباء والأبناء ، فاذا عرفوا له ذلك فهو اغتباط المرشد الكريم أن أفلح فى الهداية ولا غرض وراء ذلك والا فهو انقباض المبلغ الأمين أن خابت دعوته ولو فى جانب واحد ، وان لم يبخع نفسه أسفا على دعوته أن آلت كلها الى البوار . ومثل ذلك حرصه على كرامة « صنعته » فقد وهبها نفسه وأفضل جهوده وأوقاته ، واعتز بها أمام كل معتز بغيرها من الأمجاد، ورضى بحظه فيها مجدا يثبت به أمام أكبر الماجدين بغيرها وان لم يطاولهم بها لانه فى حيائه وورعه وثقته بنفسه لا يطاول قصيرا ولا طويلا مهما يدع الى المطاولة . وهذا كله هو السر فى النزعة الأخلاقية المسيطرة على آثاره ، وما تتصدى له هذه الآثار من موضوعات جادة خطيرة ، وما تحتويه من آراء ومعارف ناضجة ، وما تتخذه من قوالب وعبارات رصينة .

وكنا نعرف أن الترجمة من أكبر أنواع النشاط الأدبى وأرقاها ، وهى لذلك من أحوجها الى الكفايات الانسانية العالية وادل عليها ، والزمها للمزاولة الطويلة ، ولهذا ندر كتابها المجيدون بين أكبر اعلام الأدب فى جميع الأمم والعصور ، وندر بينهم أئمتها ، وحتى هؤلاء ندر بينهم من يفلح فى كتاب تراجم لشخصيات من « نماذج انسانية » متنوعة ، بل يغلب أن يفلح الكاتب فى بعضه ويفشل بل يخيب فى بعضه ، ونحن حديثو عهد بمزاولة هذا الفن فى

اساليبه الجديدة ، وأدعى الأعمال الى الاشفاق على أهلها ان يقصروا فيها اذا كانت الجماعة او الامة التى تزاوله حديثة عهد به ، وبخاصة حين يكون كالترجمة وهى من أشق الأعمال الادبية بل الانسانية لما قدمنا مع حداثة عهدنا بها . وكنا نعرف من بعض ضرورات التأليف التى دعتنا الى معاودة التوسع فى تاريخ الأندلس تحت حكم ملوك الطوائف أن المعتمد من أعصى الشخصيات على الترجمة .

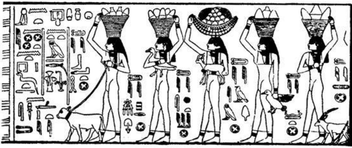
فلما تناولنا هذا الكتاب لأول مرة ـ ولابد من مصارحتك بهذا ـ تناولناه باطمئنان راسخ تروح عليه أنسام من الاشفاق ، اذ كنا هنا ـ كعادتنا ـ ننظر بعينين : عين الى المؤلف فيما نعهده كما أشرنا آنفا ـ فاذا دعائم الاطمئنان كثيرة راسخة ، وعين الى الترجمة ذاتها لم نجربها ولا يتم الاطمئنان الا بعد التجربة ، والاطمئنان عند العارفين لا يمنع من الحساب بل يوجب التشدد فيه ولو للاستزادة بجديد منه مع الغبطة بالأمن والايمان ، والعارفون لا يهمون بالحساب مختارين الا مع أهله سواء حوسبوا أو حسبوا ، وكان اكبر دواعى الاشفاق أن اكبر كتاب التراجم قد لا يفلح فى كل ترجمة اذا اختلفت نماذج شخصياته ، كما ان من عادات الخير او من خير العادات فى النفوس الانسانية انها اذا اطمأنت الى الثقة بانسان فى عمل أشفقت من كل ما يحرك راحتها واطمئنانها الى الثقة به ، وان كان من عادات الضعف فيها ألا تشعر بهذا الاشفاق عند من لم ينالوا منها مثل هذه الثقة .

ولكن ما ان جاوزنا الصفحات الثلاث الأخيرة من الكتاب حيث قائمة مراجعه وفهرس فصوله ، وما أن ألممنا بأصول الترجمة كما تدل مراجعها الأربعون على قدر ما نعرف منها ، ثم ألممنا بخطة الترجمة كما تدل فصولها الأربعة عشر على قدر ما ضاهينا بينها وبين قليل ما نعرفه من المعتمد ، وما ان فتحنا بضع صفحات من المقدمة تدل على بداية موفقة حتى بدأ اطمئناننا يزداد رسوخا ، ومضى اشفاقنا يتراجع ويسكن لتحل محله نشوة الغبطة بالتوفيق العاجل. ففى الصفحات التسع الأولى من المقدمة استطاع المؤلف فى لمحة سريعة رشيقة أن ينير لنا أبرز معالم عصر المعتمد وتمهيداته اجمالا وشرع يوضح خلائق المعتمد وحياته بما دل على نفاذه الى ملامح شخصيته النبيلة ومأساة سيرته الفاجعة ، ثم مضى يكشف فى المقدمة عن خطته التى رسمها للترجمة وعن اتجاهه فيها ، ونوه ـ كما أسلفنا ـ فى اشارة خاصة ـ الى ديوان المعتمد دون المراجع ، وأنه ترجمة ذاتية له ، فدل بذلك على أخذه فى الترجمة بالمنهج النفسى الذى لا فلاح لترجمة بغيره ، كما دل بذلك كله على سداد خطته وسواء اتجاهه ، وعبقرية منهجه ، ولم يبق عليه الا أن يفصل ما أجمل ، وينفذ ما رسم ، وذلك ما كان عليه ان يستوفيه فى بقية الفصول كما وضحناها قبل .

وما ان جاوزنا منتصف الفصول حتى زال كل اشفاق وزادت الغبطة فى أثره ، فقد أوشك المؤلف قبلئذ أن يفرغ من التمهيدات الكثيرة للترجمة ، وان كان لم يغفل قط عن المعتمد فى أى خطوة خلال أى تمهيد حتى المقدمة ، وكاد المؤلف فى بقية الفصول أن يفرغ لسيرة المعتمد وحدها ، فما ان أطبقنا الكتاب حتى شاركنا المؤلف ـ فى استاذيته ـ غبطته بالنصر صحيحة شاملة ، بعد ان شاركناه غبطة التوفيق متتابعة من اول المقدمة بل من اول المراجع والفهرس حتى فرغنا من الفصل الاخير . ولكنها ـ بعد ـ ليست الا غبطة تثقل معها القلوب بالوجيعة ، ويترقرق الدمع فى العيون ، فتتخلص النفس من أكدارها ، وتزداد صفاء وطهرا ، ولا مصدر لهذه الغبطة الاسيفة الا ان المؤلف قد وفق فى تمثيل مأساة المعتمد الفاجعة ، فشعرنا حيالها بشتى ما يشعر به الانسان المتفتح النفس عقب شهود مأساة رائعة أحسن تأليفها وأداءها ، والى هنا تتناهى الغبطة الى ذروتها مع انتصار المؤلف أخيرا ، ولكن يتمادى معها الى النهاية ثقل حسرتنا المختنقة على المعتمد النبيل المسكين فى مصيره الفاجع . فيا لها من غبطة ، ويا لها من فاجعة .

محمد خليفة التونسى

حضارة مصر القديمة



تأليف
الدكتور عبد العزيز صالح

الناشر : دار المعارف
عدد الصفحات ٤٥٠ صفحة
١٧×٢٤ سم الثمن ١٢ قرشا

الكتاب اربعة أجزاء سيقتصر حديثنا عن الجزء الأول الذى صدر منه والذى يستهدف كما جاء فى تصديره (الخطوط العريضة لمصرنا القديمة بأسمائها ولغاتها وتكوين شعبها **وروابطنا القومية بها** ، ونشأة الحضارة فيها منذ عمر الانسان ارضها ، ثم تكوين صورة عامة مترابطة لتطور حياتها السياسية والادارية والعقائدية والاقتصادية والفنية والأدبية ، وعلاقاتها الخارجية حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد) .

والكتاب ليس من الكتب العلميـــة فحسب ولكنه من الكتب العزيزة فى المكتبة المصرية فهو حديث حفى موصول عن مصر يحلو للمصرى سماعه وترديده وتعمقه لأنه يرى نفسه فيه .. انه **وجوده النفيس** ولعل من توافق الأشياء اننى صحبت هـــذا الكتاب فى سعيى الى المعبد العظيم (أبوسمبل) فكان مكملا للرحلة متمما للمعنى فكنت أرى قومى المصريين الاوائل فى آثارهم ثم أسمعهم فى هذا الكتاب.

والكتاب عشرة فصول يستهل الفصل الاول الحديث عن أسماء مصر الاولى فيقول الدكتور عبد العزيز صالح أن اجدادنا كان يطلقون على ارضها اسم كيمه (وتاكيمه) بمعنى السوداء والســمراء والخمرية رمزا منهم الى لون تربتها وزهوا بدسامة غرينها وكثافة زرعها واعتبروا طابع السمرة أو السواد فيها ميزة تفرق بينها وبين اصـــفرار الصحراء المحيطة بها والتى أطلقوا عليها اسم (دشرة) بمعنى الحمراء ، اشارة منهم الى شدة جدبها .

وكان المصريون القدماء يسمون مصر ايضا « تاوى » بمعنى الارضين أرض الصعيد (تاشمعو) وأرض الوجه البحرى (تامحو) وكان المصريون يحرصون على تضمين اسم (تاوى) القاب فراعنتهم طوال عصورهم القديمة تأكيدا لالتئام شمل الوجهين فى طاعتهم وفى ظل وحدة سياسية وحضارية متكاملة .

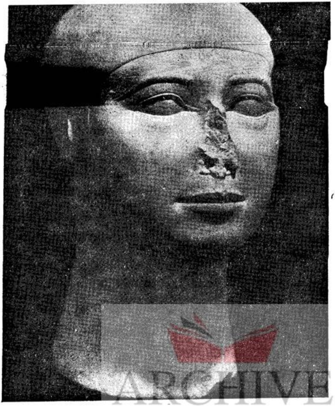
ومن أسماء مصر القديمة النابعة من النيل اســـم (ايدبوى) أى الضفتين تحية شاكرة للنهر العظيم رب الرزق العظيم كما كانوا يسمونه واهب الخيرات .

يقول الدكتور عبد العزيز صالح (ولم يكتف الأجداد بالتعبير عن بلدهم باوصافها الطبيعية ، وانمـــا أضـــفى أدباؤهم عليها نعوتا شعرية ممتعة ، فوصـــفوها بأنها « ايرة رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وسموها «وجاة» بمعنى السليمة ، و (جاة نثرو) أى عين الارباب السليمة وسموها (اترتى) بمعنى ذات المحرابين ، وســـموها « باقة » بمعنى (الزيتونة) لما كانت خضراء دائمـــا زهراء ناضرة .

ان مصر ذات الضفتين وذات المحرابين وذات الأرضين وهى عين الارباب .. وعين كل مصرى .

وبعد هذا العرض الشيق لاسم مصر وقف الدكتور عبد العزيز صالح وقفة طويلة عند اسمين هما أهم الأسماء حتى لا يقارن بأمرهما آخرين اذ هما اللذان عرفهما العالم الخارجى لمصر ورددتهما نصوصه وهما : اسم **(مصر)** ... ومترادفاته ، واسم (آيجوبتوس) ومترادفاته .

ومضى الدكتور الباحث يستشهد بالنصوص الاشورية والفارسية والبابلية واليمنية والعــبرية والاراميـــة السوريانية .. وأفصح من هؤلاء جميعا ، القرآن الكريم الذى ردد اسم مصر ترديدا لم يحظ به اسم آخر أو بلد آخر . كما وقف عند دلالات الأسماء واحتمالاته مصادرها.





ثم انتقل الى الحديث عن مصر القديمة بين جيرانها فى الجنس واللغة وكيف نسب المصريون أنفسهم الى بلدهم فقالوا انهم (كيمتيو) أى أهل كيمه ، وردد أدباؤهم ان شعبهم هو شعب الشمس ، والشعب النبيل ، وشعب السماء ، وشعب الاله ، وادعوا انهم صور من ربهم الاكبر (تشكلوا من لحمه ، وخلقوا من عينيه ، ونزلوا من دموعه) .

ثم ذكر العوامل الكثيرة المتشابكة التى ربطت بين مصر وجيرانها ثقافيا ولغويا واقتصاديا وسياسيا ووديا .

ومن أمتع ما ورد فى الكتاب المقارنة التى عقدها الدكتور الباحث بين المفردات المصرية والمفردات السامية بوصف اللغة المصرية تضمنت بفعل العوامل المشار اليها (مفردات سامية غير قليلة عاشت حتى عصور اللغة السامية الكلاسيكية وعاصرت مفردات المعاجم ، واستمر بعضها حتى عصرنا الحاضر ، مع تغييرات طفيفة لا تكاد تحس فى حروفها وحركاتها ، وهى تغييرات لم توجد بينها وبين المفردات المصرية فحسب ، بل وجدت أمثالها كذلك بين مفردات أهل الشام وأهل العراق وأهل شبه الجزيرة العربية ، ووجدت بين مفردات فروعهم الداخلية الصغيرة أيضا)(١) .

(١) ص ١٦ .

وضرب الدكتور عبد العزيز صالح الأمثلة ففى التعبير عن أعضاء جسم الانسان ، عبر المصريون فى نصوص الدولة القديمة ، عن العين بلفظ « عين » وعبروا عن الرجل بلفظ رد ، واستخدم العرب هذا اللفظ فقالوا ما أدرى أين ردى بمعنى ما أدرى أين ذهب أو مشى ، وقالوا ردت الجارية أى مشت على رجل ورفعت أخرى . كما جاء فى تاج العروس .

وفى أسماء السوائل والنباتات والأشياء والمعنويات والصفات ، عبر المصريون فى نصوص الدولة القديمة عن الماء بلفظ مو ، وعبروا عن القمح بلفظه الحالى .

ويقرر الدكتور الباحث أن (نصوص الدولة الوسطى قد أضافت ثروة سامية جديدة من الأسماء والصفات والأفعال)(٢) . وان نصوص الدولة الحديثة لم تقصر فى هذا المضمار .

وعقد الدكتور الباحث مقارنة مماثلة بين اللغة المصرية القديمة وبين مفردات جيرانها الافريقيين لا سيما الليبيين والنوبيين وأتى فى هذا المجال بأنهار من مفردات الأسماء والأفعال .

(٢) ص ١٩ .

ولم يفته أن يدفع عن الشخصية المصرية ما قد يتبادر الى الذهن من شبهة المسايرة أو الانقياد فقرر أن التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها فى الشرق والغرب والجنوب لم يؤد قط الى ضياع شخصيتها اللفظية اطلاقا (ولم تكن المفردات التى أسلفناها غير قلة قليلة من كثرة كثيرة من مفردات ابتدعها المصريون بوحى بيئتهم وبما يناسب مطالب حضارتهم ويتفق مع أذواقهم وتخيلاتهم ، فهم وان شاركوا اخوانهم الساميين فى التعبير عن العين بلفظ عين على سبيل المثال ، الا أنهم ابتدعوا للعين ستة أسماء أخرى فضلا عن عدد من الصفات ، واذا شاركوهم فى التعبير عن الأذن بكلمة اذن الا أنهم ابتدعوا لها خمسة أسماء سواها لم يشاركهم فيها جيرانهم . واذا شاركوهم فى التعبير عن الطفولة بلفظ طفن (طفل) . الا أنهم عبروا عنها من ناحيتهم بما لا يقل عن عشرين لفظة أخرى . وظل ذلك شأنهم فى التعبير عن كل ما أحاط بهم وعاشوا فيه ووصفوه ، فعبروا عن السماء بنحو أربعين اسما وصفة ، وعبروا عن العرش بنحو ثمانية عشر اسما وصفة ، وعبروا عن حركات المشى فى الذهاب والاياب بنحو أربعين فعلا ، وعبروا عن حالات الفرح والاستمتاع بنحو أربعين فعلا أيضا .

وعلى أية حال فليست المفردات هى السبيل الوحيد لتصوير مكانة اللغة المصرية القديمة بين جاراتها ، ولكن ظلت قواعد نحوها وصرفها أكثر دلالة منها فى تصوير الصلات بينهما من ناحية ، وتصوير شخصية مصر اللغوية المتميزة من ناحية أخرى)(١) .

وهنا تتواكب فى الكتاب الادلة العلمية فما يكاد يفرغ منها الدكتور الباحث حتى يقرر من جديد أن اللغة المصرية قد احتفظت (بتشبيهاتها البيانية التى خدمت وجـــوه الحضارة الفكرية والمادية التى طرقتها دون جيرانها أو أكثر من جيرانها) (٢) .

وهذا البحث اللغوى ساق الى بحث لفظة شهيرة ذات طابع بين ركام الألفاظ .. وأعنى لفظ (فرعون) (وما ترتب عليه من تسمية المصريين أحيانا بالفراعنة واغراق بعضنا فى استخدام هذه التسمية للمفاخرة ، واغراق بعض آخر فى استخدامها للقدح والتجريح) .

وهنا ناقش اللفظ مناقشة علمية لغوية انتهى منها الى ان اللفظ فى جوهره (لقب) يعنى البيت العالى أو البيت العظيم ثم شفعه المصريون بعبارات دعاء للملك الذى تتركز فى قصره السلطات العليا لدولتهم . (وهكذا لم تكن تسمية فرعون وفراعنة تدل على جنس بعينه ، ولم تكن تعنى كفاية معينة ، أو نقيصة معينة ، ويترتب على ذلك أنه اذا كانت أغلب مفاخر مصر القديمة قد تمت باسم الفراعنة ، فليس الفراعنة بمعنى الملوك هم أصحاب الفضل وحدهم فى اقامتها

(١) ص ٢٧ .
(٢) ص ٣٠ .

ولكنهم المصريون وفيهم الفراعنة .. ، واذا كان القرآن الكريم من ناحية أخرى قد وصف الفرعون الذى عاصر موسى .. بالطغيان والجبروت وتجاوز عن ذكر اسمه ، فعلينا أن نؤمن بكل ما وصفه به وقاله فيه ، ولكن ليس من المنطق اطلاقا أن تعمم صفات هـذا الفرعون على كل الفراعنة المصريين ، فالحكام فى كل مجتمع وزمان وأيا كانت ألقابهم ، يظهر منهم الصالح والطالح ، والعادل والظالم ، والبارز والخامل ، وهكذا كان شأن الحكام المصريين وغير المصريين)(٣) .

والقيمة الكبرى لهذا الكتاب ، أنه ناقش مناقشة علمية **افكارا ثابتة مكنت لها اعتبارات شتى لم تتحر فى كل حال وقائع التاريخ .**

ولم يبال المؤلف أن يواجه ما تواضع عليه الجمهرة من اعتقادات بل قرر فى ثقة العالم وايمانه بالحقيقة والحقيقة وحدها ، الوقائع فى تحديد ووضوح سافر لا يعرف المواربة أو القابلية لشتى التفسيرات والتخريجات .

قرر الدكتور عبد العزيز صالح فى غير جمجمة أو التواء أن لبانة المجتمع المصرى الحالى هى لبـــانة المجتمع المصرى القديم من حيث الدم .. والهيئة والقامة ولون البشرة مع كل ما فيها من فوارق ضمنية فى الخلقة بين فرد وآخر ، وأسرة وأخرى ، وفوارق اقليمية بين البحاروة والصعايدة وأشباه النوبيين فضلا عن فوارق الطابع بين أهل القرى وأهل المدن . واذا كانت قد تعاقبت على أرضنا عهود قديمة احتلها فيها فرس واغريق ورومان وبيزنطيون ومن لف لفهم وعمل فى خدمتهم فالذى لا شك فيـه هو أن الاختـــلاف الجنسى بين أولئك الدخلاء وبين المصريين كان محدودا للغاية) وأردف هذا بذكر الاسباب .

ثم ذكر نزول العرب مصر فى بداية ظهور الاسلام فأبرز حقيقة واقعة (وهى أن أهل البداوة منهم ظلوا قليـــلى التزاوج مع المزارعين .. المصريين ، على نحـــو ما كانوا قليلى الاختلاط بأصحاب الحرف وأهل الحضر .. المستقرين فى شبه الجزيرة العربية نفسها ، واقتصر تأثيرهم الجنسى وتأثرهم الجنسى على من شاركوهم معايشهم من البـــدو المصريين دون اهل الحواضر وأهل الريف) (١) .

وهنا يقرر كما قرر من قبل الدكتور حسين فوزى فى كتابه (سندباد مصرى) وكما يقرر كل عالم بالتاريخ يقدر قيمة الكلمة ويعلى الحقيقة فوق ما عداها ، أن مصر نجت بل سمت وارتفعت على (انقسام الشخصية حين آمنت بالمسيحية وحين آمنت بالاسلام ، وظـــل كل من نزلوها اعدادا مضافة الى لبانتها دون أن يكونوا عوامل تغيير فى قوميتها) .

(٣) ص ٣١ .
(٤) ص ٣٢ .

فمصر قد تكلمت العربية بعد قرون من الفتح العربى لانها فى الوقت نفسه لغة القرآن الكريم ولكن العربية لم تجب اللغة المصرية القديمة تماما (وظلت بقية من مفردات لغتنا القديمة قائمة حية فى مجتمعنا المعاصر ، تصل أهلها بماضيهم ، وتجرى على ألسنتهم فى أسماء قراهم ومدنهم وأسماء شهورهم الزراعية وتتخلل أحاديثهم فى شئون حياتهم اليومية)(١) .

وهنا تضيق الصفحات بما أورده الدكتور عبد العزيز صالح من أسماء وصفات وأفعال وصيغ نرددها فى لغة حياتنا اليومية مما يكفى بعضه ليروع القـــارىء ، والمصرى ، والآخرين أيضا ، وقد رد هذا كله الى أصوله المصرية القديمة ومن الطريف أنه **(ما زالت آثار قواعد اللغة القديمة باقية فى بعض أساليبنا الدارجة** مع اختلاف الألفاظ ، مثل : قام كتب ، .. وحـــا يكتب ، ورايح يكتب ، وهو بيكتب ، وعمال يكتب .. **وكلها صيغ غير معروفة فى العربية الفصحى** .. وعبارات أخرى وألفاظ كثيرة تشيع فى الريف **وفى الصعيد بخاصة** لا تزال تتطلب جهدا طويلا فى جمعها وتفسيرها وردها الى أصولها)(٢) .

وليس هـــذا من عمل الايمان (بالمصرية) أو تأكيد (الذاتية) أو الولاء لهذا الوادى المقدس أو الوفاء لهذا الشعب النبيل فان جوستاف لوبون يقول فى كتاب (المدنيات الأولى) : (غزت مصر شعوب مختلفة ، ولكن البـــلاد استطاعت برغم ذلك أن تهضم هؤلاء الفاتحين جميعـــا ، محتفظة بفنونها ولغتها ، وعقائدها ، فلم يتح لاولئـــك الفاتحين أن يؤثروا فيها .. اللهم الا العرب الذين فرضوا عليها دينهم ولغتهم وفنونا أجنبية . ومع ذلك ، ظلت مصر رغم هذا الاخضاع فرعونية الدم)(٣) .

ويشايع لوبون ، لودفج(٤) ، وبترى(٥) ويشايعهم جميعا منطق الواقع وحقائق التاريخ ..

ثم تحدث الكتاب عن (مراحل التاريخ الحضارى لمصر القديمة) وعن (دهور ما قبل التاريخ) . ويروى الدكتور عبد العزيز صالح لناقصة البحر الأبيض مع مصر وقصتها مع البحر الأحمر أما قصتها الكبيرة فكانت مع النيل قبل ظهور الانسان على أرض مصر وفى بداية ظهوره ولكنه (بدا

---

(١) ص ٣٢ .

(٢) ص ٤٤ .

(٣) اقرأ الدكتور ابراهيم جمعـــه (القومية المصرية الاسلامية) جـ ١ ص ٣٣ .

(٤) النيل لاميل لودفج The Nile in Egypt Page 178

(٥) A History of Egypt From the earliest Kings to the XVI th Dynasty by W. M. Flinders Petrie Vol 2 P. 236.

أهم مراحله أثرا فى حضارة أهله منـــذ تفتحت له آفاق النحت والنقل من رواسب الجنوب فى أواخر الدهـــر الحجرى القديم الأوسط فحمل الغرين الدسم منها ، وغطى به الحصباء والرمال الخشنة القديمة فى واديه ودلتاه شيئا فشيئا وردم به مناقع واسعة صادفته فى الصعيد وجعلها مهيأة للعمران والسكنى)(٦) .

وأكد الكتاب حقيقة كبرى تغيب دائما فى طيات عبارة هيرودوت المشهورة (مصر هبة النيل) . ان نهرنا العظيم صاحب حضارتنا بفنونها وعلومها وآدابها وأخلاقها وقيمها ولكن ذلك كله لا ينفى كما يقول الدكتور عبد العزيز صالح **(ان مصر الزراعية المتحضرة كانت ثمرة من ثمرات الجهد المصرى الأصيل** ، كما كانت هبة من هبات النيـــل فى آن واحد)(١) .

وفى حديث عن الدين لخص جوهر العقيدة عند قدماء المصريين بقوله : **(ان تقديس المصريين للقوى الربانيـــة الخفية التى تبينوها فى دنياهم وفى بيئتهم هو الذى وجههم الى اظهار الود نحو مخلوقاتها الظاهرة التى** توهموا فيهـــا آيات من قدرة أربابهم وتخيلوا فيها صـــفات تتفق مع تصوراتهم عن أربابهم)(٢) .

ومن الخطوط البارزة فى الكتاب خط **بناء الهرم** هـــل بنى الهرم بأيد (مسخرة موثقة) ؟ ان المسخر الموثق يفعل ما يؤمر به ولكن عمله مزاولة فحسب لا ابداع فيهـــا ولا روح والباحث العالم هرمان يونكر يؤكد (ان روح الرضا والرغبة فى الابداع والاتقان كانت غالبـــة على من تكفلوا ببنائه وان عوامل التسخير والاجبار قد تستطيع أن تبنى الهرم الأكبر ، وما هو أعظم من الهرم الأكبر ولكنها لم تكن تستطيع وحدها أن تبلغ به الى ما بلغه من الاتقان بحال من الأحوال)(٣) .

كما يؤكد الكسندر شارف (ان تقديس المصريين لملوكهم ورغبتهم فى عبادتهم بعد موتهم هى التى دفعتهم الى التفانى فى بناء أهرامهم ومعابدها) . بل يذهب الى أبعد من هذا فيؤكد ثانية (ان حرص أفراد الطبقات الكادحة على أن يدفنوا حول هرم خوفو بعد أربعة قرون من وفاته ، يؤكد بقاء ذكراه الطيبة بينهم ويبعـــد عنه ســـمة العتـــاة المستبدين)(٤) .

ان التاريخ الحديث يذكر ان الفنان ما يكل انجلو مبدع القبة العظيمة بكنيســة القديس بطرس كان يرفض بعاطفته الدينية أن يتقاضى أجرا عن أعماله بها فما بالنا بالمصريين القدماء منذ ألوف السنين الذين كانوا يرون ملوكهم آلهة

---

(٦) ص ٥٧ .

(٧) ص ٨٥ .

(٨) ص ١٢٠ .

(٩) ص ٣٣٦ .

(١٠) ص ٣٣٧ .

وأبناء الشمس ومالكى مصائرهم لافى الدنيا وحدها بل فى الآخرة أيضا .

ويشير الدكتور عبد العزيز صالح فى مناقشته بناء الهرم ، الى ظروف مصر الطبيعية واعتمادها قديما فى حياتها الزراعية على دورة زراعية واحــدة ، مما ينجم عنه تعطل عمال الزراعة بضعة شهور من كل عام كانت فرصة لهم .. وللحكومة وعلى رأسها فرعون أن يعملوا فى المنشــآت والمشاريع العامة ليأمنوا غائلة البطالة حين تطرد حـركة البناء والتعمير فى الوطن يؤكد هذا أو يرجحه على الاقل ما رواه المؤرخون الاغريقيون الذين زاروا مصر القديمة من ان العمل فى الهرم كان يستأنف أو يشتد عادة فى مواسم الفيضان وما رووه من أن بناء الهرم الأكبر وتوابعــه استغرق نحو عشرين عاما ولم يتم فى وقت قصير .

يقول الدكتور عبد العزيز صالح :

ليس من آثار أو نصوص باقية من عهد خوفو بالذات تكشف عن طريقة معاملة رجاله لعماله ، ولكن يمكن أن يستشهد من طريق غير مباشر بما أسلفناه عن تخصيص **شون للغلال فى مجموعة زوسر بسقارة لتموين العمال وقت بناء الهرم** . وتموين الكهنة بعد بنائه وما سوف نذكره عن تخصيص مساكن للعمال بجوار هرم خفرع لايوائهم عوضا عن تركهم يبيتون فى العراء(١) . وقد تخلفت نصوص لأثرياء من عصر الأسرة الرابعة نفسها وأثرياء عهود مختلفة أخرى من الدولة القديمة تعمد أصحابها أن يصوروا الظروف التى شيدوا فيها مقابرهم ، والأساليب التى عاملوا بهــا من استأجروهم فيها ، فقال رجل من عصر الأسرة الرابعــة (**كل صانع عمل فى مقبرتى أرضيته**) وردد الآخــرون فى نصوصهم قولهم : (**انفقت على قبرى هــذا من متــاعى الحلال ، ولم يحدث اطلاقا أن أغتصبت متاع شخص ما**) . وقال آخرون فى نصوصهم : (**أرضيت كل الصناع الذين اتموا لى عملا فى هذا القبر بالخبز والشراب وكل شىء طيب**) وقال بعض من تولوا رياسة الاتباع والصناع : (لم أضرب انسانا وقع تحت يدى ، **ولم أستعبد أحدا فى العمــل**) وليس من شك فى أن مثل هذه الأقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك فى أنها لا تخلو من اثارات صدق)(٢) .

---

(١) ص ٣٥٣ .

(٢) ص ٣٣٩ .

ويختم الدكتور عبد العزيز صالح مناقشته للمسألة بأن الفراعنة اذا كانوا قد وجهوا جانبا كبيرا من موارد أرضهم الى صالح المعابد والمقابر والأهرام ، ابتغاء خلود الذكر أو تكريما للأرباب أو اظهارا للتقوى أو استمالة لأهل الدين أو حتى التقليد والتفاخر ، فان غيرهم من الحكام لهم من الآفات ما لا يشفع فيه مجلى فن أو استهداف الخــلود أو قربى الآلهة فكان (من آفة حكام بلاد النهرين الأقدمين حب البطش وسفك الدماء والنهم الى الجبروت ، وكان من أمر الحكام الرومان الأقدمين مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير من موارد دولهم وبيوت أموالها فى سبيل بناء القصور وحياة الاســتمتاع ومدائح الشعراء)(٣) .

لقد تحدث الكتاب عن (فجر التاريخ) فى مصر وما أمتع حديثه عن مرمدة بنى سلامة وحضارات حلوان والفيوم وديرتاسا ثم حديثه بعدها عن البدارى والمعادى . وحديثه عن الفنون بألوانها وقصتها مع الانسان المصرى على ضفاف النيــل .

ان كتاب (حضارة مصر القديمة) بهذا كله ومن أجل هذا كله خليق بالقراءة المتعمقة ، حقيق بالدرس المتأمل كفاء ما بذله صاحبه من جهد البحث والاطلاع والتقييم والعرض والتحليل .

ان هذا الكتاب لمصر بما فيه من غذاء للشخصية المصرية والعزة المصرية .. والعزيمة المصرية والطاقة المصرية طاقة العمل والأمل والطموح والقدرة والانتصار .

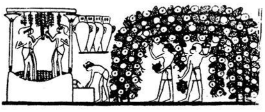
ان هذا الكتاب لمصر بما فيه من فنونها وعلومها وعقائدها وكفاحها ونجاحها ومقاومتها وصلابتها واصرارها وكبريائها وعنادها وآلامها وآمالها .

ان هذا الكتاب لمصر بما ردد من اسمها وأعلى من قيمها وصفى لها من حب يتودد ، ورقرق لها من غناء يتعبــد وسكب عليها من حنان يتملى ورفع اليها من أناشيد تتغنى، انه فى محرابها صلاة تعمق الايمان بها بذات الأرضين .. بذات الضفتين .. بمصر الخالدة ..

د. نعمات أحمد فؤاد

---

(٣) ص ٣٣٨ .



كتاب فى الطريق

مع ... نجيب محفوظ

فى طريقى الجديد ·· الى الأستاذ نجيب محفوظ ·· أمنى النفس بالحصول منه على حديث ·· على قصة لم يقراها أحد بعد ·· أو مجرد فكرة لقصة ·

لكننى تداركت موقفى ·· فالمجلة لاتنشر القصص ·· وانما تنشر نقدها ·· فماذا ينقد أديبنا ؟ ·· ماذا لو طلبت منه أن ينقد أعماله فى كتاب جديد ؟ ! لعل وعسى ·

وها أنذا فى طريقى الجديد ·· فقد تكون لى قصة معه ·· عن النقد الذاتى البناء ·

جمال بدران

ـ هل تفكر فى شىء الآن .. ؟

الطبيعى أن يفكر الانسان كلما وجد فرصة للتفكير .

ـ ما هذا الذى تفكر فيه .. ؟

أفكر عادة فيما يجرى حولنا من أحداث سواء فى الداخل أم فى الخارج . كما تناوشنى بعض أفكار مجردة وان تكن مستلهمة من واقع الحيــاة كذلك . أعطيك فكرة على سبيل المثال هى « اخلاقيــة الرجل المعاصر » . ثمة اناس بلا دين فكيف يمكن التعامل معهم وكيف يمكن ان يتعاملوا هم مع الحياة بل حتى بعض المتدينين لا تساير أخلاقهم دينهم . وما هى الأسس التى يمكن ان تقام عليها أخــلاق اجتماعية وانسانية فاضلة ؟ .

ـ هل يمكن أن يـكون ما تفكر فيه مجالا لقصة جديدة .. ؟

هذا ممكن وهو ما نرجــوه دائما ، أما متى تنضج مثل هــذه الفكرة لكى تجد شكلها الفنى المناسب فهو أمر لا ســيطرة لنا عليه ، ولذلك فنحن أشبه بالشحاذ الذى يسير فى الأسواق باسطا يده طالبا رحمة الله .

ـ كيف تتبلور هذه الفكرة فى ذهنك لتصوغها فى قصة للقراءة .. ؟

من العسير تحــديد ذلك . وهناك طريقة لا تخلو من مجــــازفة وهى أن يخلق المؤلف الشخوص والحبكة التى تعبر فى النهــــاية عن الفكرة الجاهزة بعد نضوجها . واخطر ما يهدد هذا النوع من الخلق الفنى أن تظهر الصنعة فى كيانه بحيث تظهر كنظرية هندســــية ونتيجتها الحتمية . ومن المؤلفين من يتبعه دون أن يقع فى مزالقه بفضل دربته وطاقته الفنية الخارقة .

اما الطريقة الأخرى فهى أن يداوم المؤلف على التفكير فى فكرته وتقليبها على شتى وجودها دون محاولة دفعهـــا الى عمل فنى . ثم يعرض له موضوع ما لا يدرى كيف عرض . ربما يعرض

فى الطريق أو فى أثناء نقاش أو لدى قراءة حادثةفى صحيفة يومية . ويبدأ الخيال عمله فى تكوين هذا الشىء الذى عرض وبلورته عملا فنيا ، واذابه يفاجأ عند الختام ـ وربما عند نقد العمل بوساطة ناقد اريب ـ بانه قد عبر بطريق غيرمباشر عن فكرته القديمة .

ـ لو كانت هذه القصة قصيرة .. ألم تراودك فكرة جعلها قصة طويلة تطبع فى كتاب ؟

يندر أن تصلح الأقصوصة موضوعاللرواية ولكن فكرتها Theme قد تتحول الى رواية بتأليف جديد كل الجدة . وعلى أىحال فهذه المسائل لا تخضع لقواعد جامدة .

ـ ما هى الخطوط الرئيسية التى ستسير عليها فى هذه القصة .. وهل أستطيع اعتبارها تجربة جديدة فى فن القصة كعهدنا بك .

الكلام فى ذلك سابق لأوانه . وأرجو عندماتتحدث عن تجاربى الا تذكر « الجدة » بهذه البساطة . فنحن نتطور ولكننا لا نخلق « جديدا » بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة على المستوى العالمى ، وكل ما نرجوه دائما هو أن تعلن أصالتنا عننفسها بطريقة ما رغم أننا لا نخلق جديدا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

ـ لو أتيحت لك فرصة اعادة كتابة قصة لك من جديد .. فهل تكتبها بنفس الطريقة .. أم تغير فيها على أساس التجربة الجديدة .. ما السبب ؟

لا أصدق أن قصة ما تكتب بطريقة واحدةفى فترتين متباعدتين ومختلفتين ومرجع ذلك الى تقدم السن والنضج وتطور الزمن والاحداثوتغير النظرة للدنيا وللأشياء .

ـ ما الحدود التى ترسم بمقتضاها شخصيات هذه القصة ، وهل ترسم شخصيتك الخالقة من بينها ؟

من الأفضل للمؤلف دائما أن يدخل قصته بمزاجه ووجهة نظره وثقافته من أن يدخلها بشخصه . وذلك حتى يظل شخصه منبعاصالحا للالهام ، وحتى لا يفقد اكبر معين له فى اختيار الشخوص واعادة خلقها ، وحتى لا تنقلبالرواية بين يديه الى نوع من الاعترافات المباشرة أو الترجمة الذاتية .

ـ لو احتج عليك واحد من القراء بأنه صاحب شخصية معينة فى هذه القصة.. بماذا تقنعه؟

القارىء الذى يجد نفسه فى شخصيةحسنة لا يحتج بطبيعة الحال ، والذى يجد نفسه فى شخصية سيئة يتجنب الجهر بذلك . وحتىفى حال الشكوى فسيجد المؤلف أكثر من شخص عادة يوجه نفس الاتهام مما يضيع خطورته . ولكن بصفة عامة فنحن عند اعادة تركيب شخصية نخلق منها شيئا جديدا من العسير أن لم يكن من المحال اثبات انطباقه على شخص معين .

ـ ما مدى النجاح الذى تنتظره لقصتك الجديدة وأنت تكتبها ؟

الحق انى لا افكر فى النجاح وأنا أكتب ،لا لأنى لا أهتم به ، وانما لأن التفكير فيه قد يفسد العمل كله ، كما يصيب الأرق المتفكر فى النوموهو يستعد له ! .

ـ هل ترى أن نشر فكرة هذه القصة على صفحات المجلة يقلل من ارباح الكتاب المنتظر أم يزيده ؟

ان نشر فكرة عمل فنى لا يؤثر فى مدىنجاحه ، فالمعروف أن الأفكار ملقاة فى الطرقات كما كان يقال قديما ، وانه لا جديد فيها ، بلحتى القارىء الواعى لا يهمه ان يعرف الموضوع نفسه مسبقا ، والحق أن طريقة التناول ووجهةنظر المؤلف هى ما يهم القارىء .

ـ متى تنوى اخراج هذا الكتاب الى عالم القراء ؟

الكتاب نفسه هو الذى يقرر ذلك .

ـ هل تفضل أن تتحمل تكاليف نشره ، أم تتولاه دار نشر ؟

لم أتحمل نفقات نشر أى كتاب من كتبى .فى المـــاضى كانت تعــد مجازفة سيئة العواقب بالقياس الى كاتب مجهــول . وفى الحاضر فانهلا خبرة لى بالتوزيع ولا وقت عندى لمتابعته . ومن الأفضل للفنان أن يظل فنانا دائما ما وسعهالحظ .

ـ ألم تقابلك صعوبات نشر فى الماضى .. ما هى .. هل هى باقية حتى الآن ؟

كان النشر أمنيـــة عزيزة المنـــال . فدورالنشر محدودة والكتاب المعروفون معدودون ، والترحيب بكتاب جــدد معدوم أو فاتر جدا .وقد أنقذ الموقف بالنسبة لجيلنـــا كله الأستاذ عبــد الحميد الســحار بانشــائه لجنة النشرللجامعيين . أما اليوم فالأمر مختلف جـــدا . تعــددت المسابقات ، ووجدت رعاية حقيقيةللكتاب الجدد . وحسبى أن أشير الى مسابقات نادى القصــة والمجمع والمجلس الأعلى . ونظامالكتاب الأول . والتوسع فى النشر لغير حدود . وكثرة المجـــلات وتنوعها بحيث تستوعب كافةالمواهب .

ـ كيف تتغلب على هذه الصعوبات ؟

بالاضـــافة الى ما ســـبق أقترح انشـــاءدار نشر للمواهب الجديدة تقوم على انشاء مجلة أسبوعية أو شهرية ، وسلسلة كتب شهرية .

ـ ألم تفكر يوما فى نقد أعمالك ؟ ما هى القصة التى تنقدها ؟

تتم عملية نقدى لكتبى على درجتين .اولا حين أقرأ الكتاب عقب صدوره . وثانيا على ضـــوء نقـــد النقاد له . والتزم فى الحالينما اســـتطعت موقف الحيدة التامة مفيدا من قراءاتى وتقدمى فى العمر .

ـ ما هى أقرب أعمالك القصصية الى قلبك ، وما أقربها الى عقلك ؟

لعل أقرب أعمالى الى قلبى هى الثلاثيـــةوأقربها الى عقلى هى اولاد حارتنـــا أو الشحاذ التى ستصدر قريبا .

ـ لو طلب القراء منك وضع كتاب توضح فيه منهجك فى التأليف القصصى .. هل توافق ؟

أرجح أننى سأكتب هذا الكتاب يوما ما ولكنلم يئن الأوان بعد اذ يلزم قبل ذلك أن أهتدى الى جديد بكل معنى الكلمة يستحق أن أقدمه .

ـ سؤال أخير ـ ومعذرة ـ ماذا تصنع بالعائد من هذا الكتاب ؟

منذ صرت أبا فكل عائد يرجع الى الأبناء ،وما عدا ذلك فلا يستحق الذكر .

لقاؤنا فى الشهر القادم

مع الدكتور طه حسين

(المجلة)

النقد الأدبي الحديث

تأليف

الدكتور محمد غنيمى هلال

الناشر : دار النهضة العربية
(طبعة ثالثة) عدد الصفحات ٧٦١ ص
١٧×٢٤سم • الثمن ١٢٠ قرشا

اذا صح ان يطلق على كتاب ألف فى موضوع معين عبارة « جامع مانع » ، فلعل كتاب الدكتور غنيمى هلال « النقد الأدبى الحديث » أولى بهذه التسمية . ولسنا نبالغ فى هذا ؛ فكتاب الدكتور غنيمى هلال لم يترك مجالا فى النقد لم يطرقه ، فقد تعرض للنقد اليونانى فى الجزء الأول من الكتاب ، وللنقد العربى فى الجزء الثانى منه ، وللاتجاهات النقدية الحديثة فى الجزء الأخير ، هذا فضلا عن أنه اختص الشعر والقصة والمسرحية بمفهومها الحديث ببعض الدراسة.

على أن هذا يدفعنا الى السؤال عن ماهيـــة الكتاب الجيد . فهل هو الكتاب الذى يحرص على أن يلم بين ثناياه كل ما يتصل بموضوع واســـع ، أم ذاك الذى يختص بدراسة جزء من موضوع كبير دراسة عميقة منقبة تربط بين أجزاء الكتاب ربطا متماسكا ، بحيث ينتهى القارىء المتخصص الى تحصيل شىء جديد يضـــيفه الى حصيلة قراءاته فى هذا الموضوع ؟ حقا ان العبرة فى تأليف الكتاب ليست بالكم وانما بالكيف . فقد يكون فى البحث القصير جدة لا تتوفر فى الكتاب الضخم . ولكن الدكتور غنيمى هلال شاء أن يضيف الى كتاب ألفه عام ١٩٥٨ كل ما قرأه فى النقد الأدبى منذ ذلك التاريخ ، وجمع كل ذلك فى كتابه هذا الذى يبلغ السبعمائة صحيفة . وليس عيبا أن يضيف الدارس شيئا أو أشياء الى طبعات كتابه . ولكن تلك الاضافات ليس من شأنها أن تخـــل بمنهج الكتاب بحيث يتعرض القارىء للتشتيت البالغ ، فتضيع عليه فرصة الاستزادة والتحصيل . على أن الكاتب سعيد على كل حال بكتابه الضخم وبأنه يضيف اضافات كثيرة لكل طبعة من طبعات كتابه . فهو يقول فى مقدمة كتابه : « تمثلت نواة هذا الكتاب فى الطبعة الاولى من كتابى « المدخل الى النقد الأدبى الحديث » عام ١٩٥٨ ... وفى الطبعة الثانية من كتابى الســـابق ـ عام ١٩٦٢ ـ زدت فيه بما كاد به أن يبلغ ضعف حجمه الأول .. وتبين لى عقب ذلك قصـــور تسميتى للكتاب بالمدخل الى النقد الأدبى .. وقد زدت اقتناعا بضرورة تغيير اسم الكتاب فى هذه الطبعة بعـــد أن أكملتها باستيعاب دراسة جميع مذاهب النقد الحديثة ، والكشف عن التيارات المعاصرة وتقويمها ، مع ربطها بجوانب التجديد فى أدبنا المعاصر » .

ولهذا فقد آثر الكاتب أن يكون عنوان كتابه « النقد الأدبى الحديث » . وقد نتساءل الى اى حد ينطبق عنوان الكتاب على محتواه اذا كان نصف الكتاب على وجه التقريب يبحث فى النقد اليونانى والنقد العربى القديم ؟ ويحاول الكاتب أن يجد مبررا لمنهجه هذا فيقول فى المقدمة « ومنهجنا فى هذه الدراسة قائم على العناية كل العناية ببيان وجوه الشبه والفروق ـ على سواء ـ بين النقد العربى وما سواه من النقد قديمه وحديثه » . فاذا كان النقد العربى يعد بؤرة بحثه ، فلم لم يكن عنوان الكتاب « النقد العربى » ؟ ثم يقول الكاتب فى مكان آخر من المقدمة : « من أجل هذا قد اتخذت النقد العربى ـ قديمه وحديثه ـ محورا لهذه الدراسات فى تلاقيه مع تيارات النقد العالمية القـــديمة والحديثة أو افتراقه عنها » . ونحن نتساءل هل هناك نقد عربى حديث يتميز فى اتجاهاته وأسســه الجمالية عن سائر الاتجاهات النقدية المعاصرة ؟ ان العالم بأسره على وجه التقريب أصبح يعيش اليوم فى مجال فنى واحساس جمالى واحد . والانتاج الأدبى الجيد يستقبله العالم أجمع فى ترجمات مختلفة . واذن فليس هناك نقد عربى حديث ، وانما هناك حقا نقد عربى قديم يختلف عن اتجاهات النقد الحديثة ، ولا يرتبط بالنقد اليونانى الا بأوهى رباط . وعلى ذلك فان هذا الكتاب كان ينبغى أن ينقسم الى كتابين منفصلين : كتاب فى النقد العربى ، وكتاب فى النقـــد الحديث ، على أن يتناول كل كتاب موضوعه من زاوية جديدة . فما أكثر ما ألف حول النقد العربى القديم ، وما اكثر ما كتب فى الاتجاهات النقدية الحديثة .

هذا من حيث منهج الكتاب . وننتقل الآن الى دراسة ابوابه وفصوله لكى نرى الى اى حد حقق الكاتب منهجه من ناحية ، ونلقى ضوءا على بعض القضايا النقـــدية التى تعرض لها الكتاب من ناحية أخرى .

واذا تركنا الباب الأول الذى عرض فيه الكاتب نظريات أفلاطون وأرسطو فى النقد عرضا وافيا ، فاننا ننتقل بعد

ذلك الى الباب الثانى الذى يختص بالنقد العربى . ويستهل الكاتب هذا الباب بعرض تاريخى للنقد العربى . وهو لا يقف طويلا عند النظرات النقدية فى العصر الجاهلى والأموى ، لانها لم تكن تخضع لأسس منهجية ، وانما هى نظرات متفرقة تعتمد على ذوق الصفوة من الأدباء . ويحاول الكاتب أن يؤيد رأيه هذا بعبارة للجاحظ فيقول : ص ١٦٠ « ولعل خير ما يستدر ثمرات هذا الاتجاه ، ويستخلص منه أقصى غاية له ، هو ما عبر عنه الجاحظ حين نصح الكاتب والشاعر بالاحتكام الى ذوق الصفوة من الجمهور ، والثقة فى ذلك الذوق دون ضرورة التماس تعليل فنى منه ». أما عبارة الجاحظ فهى كالآتى : « فاذا أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى أهل الأدب فقرضت قصيدة او حبرت خطبة او ألفت رسالة ، فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك او يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو اشعار او خطب ، فان رأيت الاسماع تصغى له ، والعيون تحدج اليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ، فانتحله . فاذا عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الأسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ فى غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه » .

واذا كان الجاحظ – كما هو معروف – يمثل الصورة القوية للفكر العربى ، فلعله من الاجحاف أن نقرن آراء الجاحظ النقدية بآراء العصر الجاهلى والأموى . وعبارة الجاحظ هذه انما تشير الى الدور الذى يلعبه متلقو الفن فى الحكم على العمل الفنى . وهى نظرية لاتزال لها قيمتها حتى اليوم . أفلا يعيب كثير من النقاد قصور بعض نماذج الفن الحديث ، لأن متلقى هذا الفن يعجزون عن فهمه والاحساس بقيمه الجمالية ؟

حتى اذا كان العصر العباسى ، استجاب الادب العربى لمطالب مجتمع جديد بسبب اتساع الحضارة الاسلامية – كما يقول الكاتب – وبسبب اتصال العرب بثقافات أخرى وتعرفهم على حضارات الأمم القديمة ، أهمها حضارة الفرس واليونان . ثم يقول الكاتب : ص ١٦٤ « ولا يهمنا هنا تفصيل صنوف التجديد هذه فيما يخص الادب ، ولكننا نبين أثرها العام فى النقد » . وفى الحقيقة كان يتحتم على الكاتب أن يبين صنوف التجديد التى تأثرت على الأقل بالأدب اليونانى ، حيث انه يهدف أولا وقبل كل شىء الى بيان ما فى النقد العربى من أصول يونانية . فلما شاء الكاتب أن يبين أثر صنوف التجديد هذه على النقد وأن يؤيد قوله بتطبيق عملى ، نجده يستشهد بقول بشار الذى عاب به غلظة التصوير فى قوله كثير :

الا انما ليلى عصا خيزرانة

اذا لمسوها بالاكف تلين

وقد نقد بشار هذا البيت فقال : « والله لو جعلها عصا مخ أو عصا زبد . لقد جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصاه ألا قال كما قلت :

اذا قامت لمشيتها تثنت

كأن عظامها من خيزران

ويعلق الكاتب على ذلك فيقول : « وهى ملحوظة دقيقة تتصل بالذوق السليم ودقة التصوير ورهف الحس » .

ومن بين الأمثلة التى انتقاها الكاتب ليستدل بها كذلك على رقى ذوق العربى ، واتساع ادراكه لمفهوم الأدب ، تحذير الجاحظ للشاعر من بناء قصيدته على الحكمة . ويقول الجاحظ فى ذلك « لو أن شعر صالح ابن عبد القدوس كان مفرقا فى أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هى عليه بطبقات .. ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر » .

وكل هذه الأمثلة وغيرها لا تدلنا فى وضوح على مدى تأثر النقد العربى بالنقد اليونانى ، وانما هى مسلمات عامة تدل على رقى ذوق العربى فى فهم ما هية الشعر . ولم يكن سبب ذلك تأثر العرب بحضارة اليونان ، وانما لعبت فى ذلك عوامل كثيرة لا تخفى على الكاتب .

ولعل الكاتب قد شعر بأن هذه المقتطفات النقدية ليست بذوات قيمة ، فانتقل الى البحث فى نظرية المحاكاة عند أرسطو وأثرها فى النقد العربى . وهو يرى أن هذه النظرية يتضح تأثيرها أكثر ما يتضح فى فهم العرب لصلة الشعر بالفنون الأخرى . ويرى الكاتب أن الشىء الذى رسخ فى أذهان نقاد العرب من هذه النظرية هو صلة الشعر بالفنون التصويرية . والفنون التصويرية عند هؤلاء النقاد هى الفنون النفعية مثل فن النجارة وفن النقش .

والواقع أننا لو أحصينا الأمثلة التى يستشهد بها نقاد العرب فى صلة الشعر بالصناعات الاخرى ومن أهمها :النقش والنسج والنجارة ، لوجدناها عديدة . فمن ذلك قول قدامة فى نقد الشعر : « وليس فحاشة المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب رداءته فى ذاته » .

ومن ذلك قول الجرجانى فى الوساطة : « ولكل صناعة أهل يرجع اليهم فى خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها » .

ولا تدل هذه الأمثلة وغيرها على أن العرب درسوا صلة الشعر بالفنون الأخرى كما يقول الكاتب ، وانما تدل على فهم العربى للتأليف الشعرى بوصفه صنعة تعتمد على المهارة فى استخدام المادة . وقد شاء الكاتب أن يدعم رأيه بعبارة لعبد القاهر الجرجانى . ونود أن نذكر

هذه العبارة لأننا نرى أنها تؤكد ما سبق أن ذكرناه . يقول عبد القاهر : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشيء الذى يقع التصوير والصوغ فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار . فكما أن محالا اذا أنت أردت النظر فى صوغ الخاتم وفى جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصور ، أو الذهب الذى وقع فيه العمل وتلك الصنعة ـ كذلك محال اذا أردت أن تعرف مكان اللفظ والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه . وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود ، أو فضته أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ـ كذلك ينبغى اذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه الا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام » . (الجرجانى . دلائل الاعجاز . ط . المنار ص ١٩٦ ـ ١٩٧) .

فالشعر اذن صنعة . وقد شرح الآمدى وغيره معنى الصنعة بأن قال : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى وقرب المأخذ واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه » . (الموازنة ط ١ محمود توفيق ص ٣٩١) .

وعلى ذلك ، فلا دخل لقضية الصنعة عند العرب بنظرية المحاكاه عند أرسطو ، وما تفرع عنها من صلة الشعر بالفنون المختلفة كالفنون التشكيلية والموسيقى . والمسألة كلها تحايل من الكاتب لكى يحقق منهجه ، وهو ارساء النقد العربى على أسس نقدية يونانية .

ثم ينتقل الكاتب الى البحث فى عمود الشعر بعيدا عن نظريات أرسطو ، لأن منهج نقاد العرب فيه ـ كما يقر هو بذلك ـ يختلف اختلافا جوهريا عن منهج أرسطو .

ويعد الكاتب كل هذه القضايا النقدية التى عرضها ، والتى تعد فى الحقيقة من أسس النقد العربى ـ يعدها اتجاهات نظرية عامة . يقول ص ١٧٩ : « وبعد هذه الاتجاهات النظرية العامة ، علينا أن نفصل القول فى مختلف الاتجاهات فى النقد العربى مع تقويمهما تقويما حديثا » .

ومن ثم ينتقل الكاتب الى الحديث عن نظرية العرب فى أجناس الأدب الشعرية . ومرة أخرى يتحايل الكاتب فى ايجاد علاقة بين هذا البحث وما ذكره أرسطو فى أجناس الأدب الشعرية . وأما هذه الأجناس عند أرسطو ، فهى ـ كما شرحها الكاتب فى الباب الأول ـ المأساة والملهاة والملحمة . ولكن لما كانت هذه الأنواع الأدبية بعيدة كل البعد عن أذهان العرب ، فقد استبدل الكاتب بذلك شعر المديح وشعر الغزل . فهل يعد المدح والغزل جنسين أدبيين منفصلين شأنهما شأن المأساة والملهاه على سبيل المثال ، أم هما غرضان لجنس شعرى واحد ؟ ومع ذلك فان الكاتب يصر على ايجاد العلاقة الوطيدة بين ابحاث كل من الطرفين اذ يقول ص ٢٠٨ : « وفيما قدمنا من عرض لآراء المفكرين من النقاد ، ما يعطى صورة لجهود العرب فى نقد الأجناس الادبية الشعرية ، وقد تأثروا فيه ـ كما أسلفنا ـ بآراء أرسطو وأفلاطون » .

وحسبنا هذا فيما يتعلق بالنقد العربى . لقد ملأ الكاتب فى هذا الموضوع ما يقرب من مائتى صحيفة . ولكننى أقرر ـ والحق رائدنا فى ذلك ـ أن هذا الباب لم يضف جديدا فى هذا الميدان الذى تعمق جوانبه كثير من الباحثين . لقد جهد الكاتب فى ارساء قواعد النقد العربى على أسس يونانية . ولكن آراءه تتسم فى الحقيقة بكثير من التعسف .

ثم ينتقل الكاتب الى الجزء الثالث من كتابه وهو الاتجاهات النقدية الحديثة . وبعد أن عرض الكاتب هذه الاتجاهات المختلفة ، أفرد فصولا لكل من الشعر والقصة والمسرحية بمفهومها الحديث .

والهدف الذى يرمى اليه الكاتب من دراسة كل جنس أدبى دراسة مفصلة ، هو بطبيعة الحال ربط مفهومنا الحديث لكل نوع من هذه الانواع بالتيارات النقدية العالمية.

واذا كان مفهوم الشعر عندنا فى العصر الحديث قد تطور كثيرا عن مفهوم القدماء له ، فقد كان ينبغى اذن أن يتركز البحث حول نواحى القصور فى الشعر القديم فى سبيل تأدية وظيفته وفقا للمفهوم الحديث ، وحول دواعى التجديد فى شعرنا الحديث ، بالاضافة الى دراسة قيمه الجمالية دراسة عميقة . ثم كان على الكاتب أن يبين بعد ذلك الى أى مدى حقق الشعر العربى الحديث غايته . ونحن نعتقد أن مثل هذا البحث كان يحتاج الى تركيز كبير حول هذه النقاط ، بحيث يبتعد الكاتب عن المسلمات التى يعرفها كل من له دراية بالشعر . واذا أحصينا تلك المسلمات التى تستغرق صفحات كثيرة سواء فى بحثه عن التجربة الشعرية أو عن الصورة فى الشعر أو عن موسيقى الشعر لوجدناها عديدة . ولا يسعنا الا أن نشير الى نماذج منها : يقول الكاتب فى ص ٣٨٣ : « فاثارة الشعور أو الاحساس مقدمة فى الشعر على اثارة الفكر على النقيض من المسرحية والقصة » . ويقول فى ص ٣٩٠ : « والشاعر يعبر فى تجربته عما فى نفسه من صراع داخلى ، سواء كانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو أو عن موقف انسانى عام تمثله » . ويقول ص ٢٩٤ : « والحق أننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التجارب التى موضوعها هين ضئيل القيمة ، متى استطاع الشاعر أن يضفى عليها من شعوره وتصويره وأخيلته القوية ما تنفذ به الى ما فيها من معان

جمالية او انسانية » . واخيرا يقـــول فى ص ٤٦٣ : « وليس العنصر القصصى فى الشعر الغنائى الا قالبا لا يصح ان يخطر فى بال أن ننتظر فيه نواحى نضج قصصى يحاكى به النضج الفنى فى القصة أو ما يقاربه » .

هذا شيء ، والشيء الآخر الذى يستحق النظر ، هو ان الكاتب أشار منذ البداية الى أنه يتبع منهجا تطبيقيا فى كتابه . ولكننا نرى أنه يسرف فى عرض النظريات والآراء الكثيرة دون أن يستفيد منها فى النهاية فى نقده التطبيقى ، الأمر الذى يدعو الى نسيان هذه الآراء والنظريات بمجرد الفراغ من قراءتها . كما أنه يدعو الى ضياع الهـــدف الرئيسى من البحث وسط هذه الآراء المتفرقة .

والشيء الذى يستحق النظر فى هذا الفصل الطويل ؛ راى الكاتب فى الوحدة العضوية فى القصيدة . وقد عرف الكاتب الوحدة العضوية بأنها « وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهى الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدى بعضها الى بعض عن طريق التسلســـل فى التفكير والمشاعر » . (ص ٤٠١) . ولكى تتم للشاعر هذه الوحدة يتحتم عليه « أن يفكر تفكيرا طويلا فى منهج قصيدته ، وفى الأثر الذى يريد أن يحدثه فى سامعيه ، وفى الأجزاء التى تندرج فى احداث هذا الأثر ، بحيث تتمشى مع بنيــة القصيدة بوصفها وحدة حية ، ثم فى الأفكار والصور التى يشتمل عليها كل جزء بحيث تتحرك به القصيدة الى الأمام لاحداث الأثر المقصـــود منها ، عن طريق التتابع المنطقى وتسلسل الأحداث أو الأفكار ووحدة الطابع . والوقوف على المنهج على هذا النحو قبل البدء فى النظم يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والصور التى تساعد على توكيد الأثر المراد » . ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

وهكذا يتحدث الكاتب عن الوحدة العضوية كما لو كانت شيئا منفصلا عن التجربة الشعرية . والواقع أن الوحدة فى القصيدة تكون نتيجة صدق تجربة الشاعر الخيالية الفردية . فالوحدة عملية داخلية فى بنية القصيدة مع تنوع عناصرها وكثرتها وتشابكها .

وتعريف الكاتب للوحدة العضوية بهذه الطريقة ليس من شأنه أن ينفيها عن القصيدة العربية القديمة . ولكن الكاتب يسلب القصيدة العربية القـــديمة فى كل أطوارها الوحدة العضــوية . فهو يقـــول ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ : « فليس للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية فى شكل ما من الأشكال ، لانه لا سلة فكرية بين أجزائها . فالوحدة فيها خارجية لا رباط فيها الا من ناحية خيال الجاهلى وحاله النفسية فى وصف الرحلة لمدح الممدوح . وكان هذا الرباط الواهى مبرر من المبررات فى العصر الجاهلى ثم صار تقليدا على مر العصور » . والواقع أن الكاتب يناقض نفسه . فهو يقر بأن الرباط بين أجزاء القصيدة رباط نفسى ، ومع ذلك فهو ينكر ما فيها من وحدة .

أن القصيدة العربية لا تنقصها الوحدة طبقـــا لمفهوم الكاتب . ولكنها ـ فى عمومها ـ تبتعد حقـــا عن المفهوم الحديث للشعر بوصفه كشفا عن الحقيقة التى تتمثل فى التعبير عن تجربة فردية عميقة معقدة . وليس من الانصاف ان نقيس الشعر القديم بمفهومنا الحديث ؛ فمفهوم الادب يتطور مع تطور الانسان وتعقد شخصيته . على أن هذا لا يعنى بحال من الاحوال خلو الشعر القديم من النماذج التى تعبر فى صدق عن أحاسيس صادقة .

فاذا انتقل الكاتب الى الحديث عن القصة ، نجـده يستهل هذا الفصل بعرض تاريخى لها حتى العصر الحديث. فاذا عرج على القصة فى الأدب العربى القديم ، نجده يقدم نماذج لذلك تتمثل فى فن المقامات وقصص الحيوان وألف ليلة وليلة وفى قصة حى بن يقظان . أما القصص الشعبى العربى فالكاتب يسلبه كل قيمة فنية . وهل تعد ألف ليلة وليلة سوى تراث قصصى شعبى ؟ حقا ان ألف ليلة وليـــلة ترجع الى أصول هندية ، ولكن العرب ـ بما لديهم من استعداد قصصى قوى ـ اســتطاعوا أن يبتعـــدوا بالحكايات الهندية عن أغراضها التعليمية الجافة ، وأن يكسبوها رونقا وبهاء وسمرا قصصيا . ولا يتمثل الاستعداد القصصى لدى العرب فى ألف ليلة وليلة فحسب ، وانما يتمثل فى غير ذلك من التراث الأدبى الشعبى الذى خلفه العرب ، والذى حان الوقت لنشره والاعتراف بما فيه من قيم فنية .

وعلى ذلك لا ينبغى أن نسأل عن سبب افتقار الادب العربى لهذا النوع ، (الكتاب ص ٥٣٨) وانما يتجـــه السؤال الى سبب افتقارهم للتأليف الدرامى الذى لم يعرفوه فى شكل من أشكاله . وقد أفاض الكاتب فى شرح الأسباب التى ربما كانت حائلا دون التأليف الدرامى لدى العرب . وهى أسباب ، كثيرا ما رددها الناقدون الذين تعرضوا لدراسة المسرح العربى . ولم يوجه الكاتب عنايته ـ فى فصله الأخير عن المسرح ـ للمسرح العربى المعاصر ، بقدر ما وجهها لدراسة المسرح الغربى . وكنا نود لو انه ألقى أضواء على مسرحنا الحديث الذى نعيش معه الآن ، والذى ما زال يتحسس طريقه بين اتجـــاهات التأليف المسرحى .

والواقع أن هذا الفصل يسوده الاضطراب ؛ فنحن ننتقل مع شكسبير وكورنى وشـــوقى والاســـكندر دوما وتشيكوف وبريخت واونســـكو الى غير ذلك . وفى بعض الأحيان يخلط الكاتب بين الاتجاهات المختلفة لبعض كتاب المسرح . فهو يدعى مثلا أن يوجين يونسكو أحد الذين اتبعوا فى مسرحياتهم منهج بريخت . (الكتاب ص ٦٠٥) . والواقع أنهما يختلفان كل الاختلاف فى فلسفتهما وفى تأليفهما المسرحى . ولذلك كنا نود لو أن الكاتب اختار صفوة من

كتاب المسرح الذين لهم تأثيرهم على التأليف المسرحى العالمى ، فخصهم بالدراسة العميقة ، فيوضح بذلك بعض القضايا التى يجملها ، أو تلك التى لا يخصها بالدراسة العميقة .

فمن بين المسائل التى حاول الكاتب أن يلقى عليها بعض الضوء ، مقومات المسرح الملحمى أو مسرح بريخت . وقد حاول الكاتب أن يفسر معنى المسرح الملحمى أو على وجه التحديد معنى لفظ الملحمى فذكر ص ٦٠٣ أن « هـذا المسرح لا يمت بصلة للملحمة فى مفهومها القديم » . فلما حاول أن يفسر اللفظ أحالنا على راى احد النقاد الالمان الذى يقول (ص ٦٠٤) : « ان الانسان أصبح فى العصر الحديث واعيا بطبيعته الخاصة على طريقة جديدة ، وان موضوعية الوجود هذه تتطلب نموا محددا لمسرح ملحمى ». والواقع أن هذه العبارة لم تفسر معنى اللفظ ، وانما اشير فى ايجاز بالغ الى دواعى هذا المسرح الجديد . ولفـظ الملحمى يتصل فى الحقيقة بالملحمة بوصفها جنسا أدبيا . وليست الحكاية فى الملحمة هدفا فى ذاتها بقدر ما هى وسيلة لالقاء ضوء على الواقع السياسى والاجتماعى والفكرى الذى يعيشه الانسان . وهذه هى فلسـفة بريخت فى مسرحه الذى يرمى الى أن يجعل المشاهد يعيش فى مجال أوسع وأعمق بكثير من مجال الموقف الواحد .

ثم يحاول الكاتب أن يناقش قضـيـة أخرى فى مسرح بريخت معتمدا على ما ذكره المؤلف المسرحى من أن مسرحه يهدف الى اثارة الفكر لا الشعور . وبناء على ذلك فان الكاتب يتهم بريخت بأنه يدعى أن مسرحه مبنى على الفكر لا الشعور . ولا شك أن هناك فرقا بين الادعاءين . فبريخت يعنى أن مسرحه لا يهدف أولا الى اثارة شعور المشاهد عن طريق انفعال الممثل بالموقف الواحد ، وانما وظيفته الأولى أن تجعل المشاهد يعيش ويفكر فى واقعه بجوانبه المتعددة . ولذلك فان مسرح بريخت يتطلب من الممثل أن يؤدى دوره بطريقة تختلف عن تأديته لدوره فى أى مسرح آخر . فعليه ألا ينفعل انفعالا قويا مهما بلغت حدة الموقف ، وذلك لكى لا يحمل المشاهد على الابتعاد عن الجو العام . وأعتقد أن هذا هو ما يعنيه بريخت من أن مسرحه يهدف الى اثارة الفكر لا الشعور . ولا يعنى هذا بحال من الأحـوال أن الشعور ليس ركنا أساسيا فى مسرحه . فالتأليف المسرحى، مهما يكن اتجاهه ، انتاج فنى يعتمد على الفكر والشعور معا ، وفلسفة الكاتب هى التى تحدد علاقة العنصرين أحدهما بالآخر . على أن الكاتب افترض أن بريخت نفسه لا يفهم طبيعة مسرحه ، ولذلك فقد أخذ يناقشه فى أن مسرحه مبنى على الشعور لا على الفكر كما يدعى .

ومرة أخرى يتعرض الكاتب فى ص ٦٧٥ لمسرح بريخت فيقول : « وقد رأينا أن المسرحيات الشعرية فى معنى الشعر التقليدى لا تتنافى والواقعية . وها هو ذا بريخت — فى مسرحياته الحديثة — يزاوج بين النثر وقطع الشعر » . والواقع أن قطع الشعر فى مسرح بريخت ليست سوى أغنيات من تأليفه تغنى أثناء التمثيل لتكمل الجو الواقعى. فلا دخل لها بالمسرحيات الشعرية بحال من الأحوال .

والى هنا تنتهى فصول الكتاب . ويهمنا قبل أن نفرغ من نقده أن نشير الى ما يحمله الكتاب من عبارات مبهمة يود القارىء لو أن الكاتب استوضحها بالشرح والتفسير. فمن ذلك ما ذكره الكاتب ص ٣٦٠ بعد أن عرض تيارات النقد السائدة فى العصر الحديث . يقول : « وبالاعتبارات الاجتماعية السابقة تتأثر القيم الجمالية للأدب ذاته ، ففى بعض الآداب ترمز الخرافات والأساطير الى حقائق اجتماعية تؤثر فى الفن كشياطين الشعراء رمزا للالهـام فى الأدب العربى ، وكالأسـاطير اليونانيـة التى طالما كانت مادة للمسرحيات والملاحم .

فما علاقة شياطين الشعراء بالخرافات والأساطير التى طالما كانت مادة للمسرحيات والملاحم ان شياطين الشعراء ليست سوى تفسير من وجهة نظر العربى لعبقرية الشاعر .

ومن ذلك ما يذكره الكاتب فى ص ٥٤٦ من أن « القصاص قد يذكر آراءه ويصف مشاعره فى تجربة عاناها ، ولكنه لا يصفها وصفا من ثنايا شعوره كالشاعر ، بل يخلقها خلقا موضوعيا فى عالم خاص » .

ثم لا يصفها من ثنايا شعوره . ويقول مرة أخرى فى ص ٥٤٦ : « فليس ضروريا أن يكون القصاص قد عاناها (اى عانى التجربة) بنفسه ، بل يكفى أن يلحظها ويؤمن بها » . فما الفرق بين معاناة التجربة والايمان بها من ناحية التأليف القصصى .

كل هذه العبارات وأمثالها كانت فى حاجة الى توضيح ، والا فانها تظل تحمل مفهوما مبهما .

وبعد فاننا نقدر للكاتب جهده وقراءاته الواسعة التى أهلته لأن يكتب فى كل فرع من فروع الأدب والنقد . هـذا وان كنا نرى أن الكتاب يصح أن يحمل عنوانه القديم وهو : « المدخل الى النقد الأدبى » .

د . نبيلة ابراهيم

القرد الكثيف الشعر

تأليف : يوجين أونيل



ترجمة : جلال العشرى
مراجعة : حسن محمود
تقديم : الدكتور رشاد رشدى

الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ،
عدد الصفحات ١٥٢ ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ١٠ قروش

لا أدرى الى اى حد سيعجبك ما اعجبنى من هذه المسرحية .

أنا شخصيا أعجبنى بطلها (يانك) الذى رمز اليه المؤلف بالقرد الكثيف الشعر ... وطبعا لم يعجبنى لكثافة شعره ، وانما أعجبنى فيه انه لم يرضخ اطلاقا ، ولم يهدأ لحظة واحدة .

وربما تخالفنى الرأى ... ربما لا يعجبك منه – مثلا – أن العنف هو أسلوبه فى الحياة ، وأنه بلغ من الخشونة والغلظة الى درجة أنه تحفز للاعتداء على فتاة اسمها « ملدرد » ولكن ماذا يفعل ؟ ان تصرفاته عنيفة فعلا ، ووحشية أحيانا . ولكن ظروفه تضطره الى ذلك ، وتضطرنا الى الاستماع – ولو لمجرد الاستماع – الى وجهة نظره .

انه عامل فى سفينة عتيقة وقودها الفحم ، وهو وزملاؤه العمال يمضون معظم حياتهم فى جوفها يجرفون الفحم الى فرن السفينة ... فى هذا المكان الضيق المحرق يعيشون ويكدحون ويحترقون ويسكرون ايضا ... و (يانك) بين العمال أقواهم وأكثرهم ثقة واعتدادا بنفسه ، ومع ذلك يشعر بالضياع ... لا بيت ولا حب ولا مال ولا خمر !! وعندما يحاول « أن يفكر » يسخر منه زملاؤه ، ويعطونه خمرا ، وينصحونه بأن يسكر ، ويصيحون فى وجهه « اسكر اسكر ولا تفكر » ... وهم يرددون له ان الناس جميعا ولدوا أحرارا متساوين كما جاء فى الانجيل ، لولا أن الراسماليين الخنازير الكسالى الذين يركبون فى الدرجة الأولى حولوهم الى عبيد أجراء يحترقون فى جوف السفينة بين تراب الفحم .

هكذا يذكرونه دائما بمأساته ، فيدرك انه وزملاءه العمال مجرد مخزن فحم ، مجرد « صفر » فى الحياة .

وهو يقارن ، فيجد أن أى واحد من ركاب الدرجة الأولى لا يستطيع النزول الى فتحة الفرن .. انهم لا يعملون ولا يكدحون ، واذن فهم « غير أصلاء » ، بينما العمال هم الذين يكدحون ويسيرون السفينة ، واذن فهم الرجال ، وهم الأصلاء .

وعندما يقول زملاؤه انهم محبوسون فى قفص من الصلب ، ولا يشعرون بالأصالة التى يزعمها ، يتفاخر هو بأنه أصيل وحى ، لأن هذه الآلات تتحرك وتسرع وتمخر عباب البحر ، وهو سبب هذا التحرك ... ان (يانك) يتضخم فيـــه الشعور بالأصـــالة وبالقيمـــة حتى يقول : انا شاب .. اننى فى وهج الحيـــاة .. اننى أتطور معها ... واذا كان الموقد هو الجحيم فان العمل فى الجحيم هو مناخى ... أنا الذى أجعله يشتعل ويتحـــرك ، وبدونى يتوقف كل شيء بل يموت كل شيء .

انه يتصور أنه البداية والنهاية ، وأنه المحرك الذى يحرك العالم ، وأنه البخار والزيت والدخان والقطار والبـــاخرة ، وأنه الذى يجعل الذهب نقودا ويجعل الحديد صـــلبا ، وأنه العضلات والقوة التى فى الصلب ... الخ ... ومع ذلك كله ، ورغم ذلك كله فانه يشـــعر بالألم والمرارة والهوان والمهـــانة عندما وصفته (ملدرد) بأنه وحش مفترس وقرد كثيف الشعر !! .

من هى (ملدرد) هذه ؟! ان المؤلف الرائع فى استخدام التكنيك المسرحى وضعها فى مواجهة (يانك) فى حدث مسرحى بسيط جدا ، ولكنك تلمس احتـــدام الصراع المسرحى من هـــذه البساطة ... ان (ملدرد) فتـــاة درست علم الاجتماع ، وجدها أنشأ أفران الصلب ، وأبوها حافظ على هذه الأفران وجمع الملايين ، وأورثها الانتاج والثروة ، ثم جاءت لزيارة فرن السفينة لاعداد بحث اجتماعى ... جاءت مرتدية ملابس أنيقة بيضاء دون أن تخشى عليهـــا من قذارة الزيت والفحم ، ليس من باب التواضع أو مجاملة العمال ، بل لأن عندها خمسين ثوبا من هـــذا النوع ، ولا يضيرها أن تلقى بثوبها فى البحر بعد انتهاء الزيارة .

وفعلا ذهبت الى الفرن فى حراسة أربعـــة مهندسين ... كان العمال منهمكين فى جرف الفحم ، وكان (يانك) يفتح باب الفرن ، وعندما تراه (ملدرد) وتسمعه يصيح صيحات عاليـــة تصاب بالانهيار ... انها ترى فيـــه وحشية ووقاحة ، وترى وجهـــه شبيها بوجه الغوريللا ، فتصرخ فى فزع وتخفى عينيها بيديها وتصيح : « ابعدونى عن الوحش المفترس » .

كما تضخم فى (يانك) الشعور بنفسه وقيمته واصالته ، تضخم فيه منذ هذه اللحظة الشعور بالمرارة .

لم يغسل وجهـــه بعد انتهاء العمل .. لم ياكل .. انه يحاول « أن يفـــكر » ، وزملاؤه يتوهمون أنه « وقع فى الحب » ، حب (ملدرد) ولكنه يقول لهم أنه وقع فى الكراهية ، وقرر أن يحطم رأس هـــذه الفتاة التى اشعرته بالمرارة والاهانة ونظرت اليه كقرد كثيف الشعر .

من تكون هذه الفتاة ؟! انه ــ من وجهة نظره ــ افضل منها ... هو أصيل ، وهى غير أصيلة ... هو يتحرك ، وهى ساكنة ... انه الذى يحملها وهى ليست أكثر من متاع ... هل تفضله هى برقة جســـدها وبيـــاض ثيابها ؟ انها فى نظره مضحكة ... ان فى يديها هزالا ، وبياض ثوبها مثل بياض الموتى ... انه يستطيع ان يمسكها بذراعه ، بل بخنصره ، ويكسرها نصفين ... من تكون ؟ من أين جاءت ؟ وما اصلها ؟ ومن أعطاها الحق فى أن تنظر اليه تلك النظرة المهينة .

ويثور (يانك) ويهـــدد بأنه سيقذف بها الى الفرن ، وهنـــاك سوف تتحرك ، ولا ترتجف ، وتسرع ، وسوف تكون أصيلة !! .

ويندفع (يانك) نحو البـــاب ليبحث عنها ، ويخشى عليه زملاؤه ان يطلق عليه النار بعد أن اصيب بما يشبه الجنون ... يخشون عليه أن يقتلها اذا عثر عليها ، فيتكاثرون عليه ويطرحونه على الأرض حتى يهدأ .

ولـــكن (يانك) لا يهدأ .. لم يهدأ اطلاقا ، وأنا لا أريد أن أتابعه ، بل اترك لك متابعته الى نهاية مأساته ، الى نهاية المسرحية العميقة جـــدا ، وانما قصدت فقط ان أعرض جانبا من هـــذه

الشخصية ، لعلك تعجب بهـــا حتى ولو كنت تخالفها الرأى .

وانا لم تعجبنى فقط شخصية (يانك) ، بل أعجبتنى كل شخصيات المسرحية بلا استثناء ، رغم اختلاف ســـلوكها وتصرفاتها ... فمثلا اعجبنى (لونج) .. انه زميـــــل (يانك) فى السفينة وفى البؤس والعذاب ، ولكنه يخالفه فى أسلوب الحيـاة والـكفاح ... انه وهو مخمور يقول لزملائه ان هذه السفينة العفنة هى بيتهم ، وهى الجحيم ، وسيعيشون ويموتون فيه ، ولكن على من يقع اللوم ؟! وعندما تزورهم (ملدرد) يشرح للعمال لماذا عرضوا عليهـا كأنهم قردة فى حظيرة .. ان السبب هو أنها ابنة مليونير عنده من الذهب ما يكفى لاغراق هذه السفينة ... فهل يبتلعون اهانتهــا ؟ فى رأيه أنهم يستطيعون أن يلجئوا الى القانون .. واذن فهو بعكس (يانك) انه يشعر مثله بكراهية الأرستقراطيين ، لدرجة انه يسميهم « العصابة القذرة » ، ولكنه يختلف عن (يانك) فى أساوب مكافحتهم .. (يانك) يثور عليهم بالعنف ، ويقول ان العنف هو أسلوبه والضرب هو طريقته ، بينما (لونج) يقول له : عاملهم بالاحتقـــار اللائق بهم ، ولـكن تمالك أعصابك .. أن العنف ليس سلاحنا ويجب أن نفرض مطالبنا بالطرق السلمية .

شـــخصية (بادى) تختلف عن (يانك) و (لونج) ولكنها تعجبنى أيضا ... انه مثلهما فى الشـــقاء ، ولـكنه يفرغ همومه فى الويسكى والغنـــاء !! انه يســـكر لأن « الويسكى حياة البشر » ، ويغنى لأن الانسان لا يمتنع عن الغناء الا اذا كان ميتا !! .

ان كل شـخصية لها معالمها وتكوينها الخاص بها ، ولها دور رئيسى فى هـــذه المسرحية حتى الشخصيات الثانوية ، حتى الـكومبارس الذين يظهرون على المسرح كأصـــوات فقط ... انهم أحيانا يتحولون الى « توابع » فقط ، فعنـدما يقول (يانك) نعم يقولون نعم ، وعندما يغير رأيه يغيرون رأيهم ، ومع ذلك فان دورهم رئيسى ..

ان المؤلف المتمكن من فنه صنع منهم ميكروفونات أحيـــانا وميكروسكوبات أحيانا وأضواء كاشفة أحيانا ... انهم يؤدون وظيفـة الكورس بالمعنى الحقيقى للكورس .

وسواء أعجبك ما أعجبنى أو لم يعجبـــك ، فالمسرحية من الروائع العالميـــة التى لابد من دراستها مهما كنت متفقا أو مختلفا مع مؤلفها فى الرأى ... فالمسرحيات ليست نظريات فاسفية أو معارض لابداء الآراء ، وانما هى « مسرحيات » فقط .. فيهـــا الرأى ولكن بأسلوب مسرحى ، وفيها التفكير ولكن فى « رؤية فنية » .

ويوجين أونيل ابدع فى عرض أفـكاره عرضا فنيا فى نطاق رؤيته الفنية الخاصة به ، وأسلوبه الفنى الخاص به ... انه رسـم شخصـــيات مختلفة التكوين والأبعـــاد والأعمـاق ، ولكنه جعلها فى مجموعها متشابهة الكيان والوضــــع والمصير ... وهو يضع الحوار بأسلوب جديد ، لدرجة انه يبدو أحيانا غير منطقى ، وهو فى الواقع منطقى جدا لأنه متلائم مع طبيعة المأساة التى صورها ... وهو يلقى بالأحكام بين حين وآخر ، والقـــاء الأحكام خطأ فنى ، ولكنه يلقيها بدون افتعال فتذوب فى السياق ... فمثلا يقول : (أن العبيد وحدهم هم الذين يهتمون لليوم الذى مضى واليوم الذى سيأتى حتى يشيخوا) .. هذا « تعريف » ، والتعريف فى المسرحيات يقلل من قيمتها الفنية ، ولكنه فى هذه المسرحية جاء على لسان (بادى) فى لحظة نشوة فأصبح عاملا من عوامل ايضاح شـخصيته وليس تعريفا بالمعنى اللفظى .

ومن أبرز معالم المسرحية أن المؤلف شديد الحرص على دقائقهـــا لدرجة انه لا يتركهـا للمخرجين يتصرفون فيها كما يشاءون ... انه طبعا يعلم ان لكل مخرج الحق فى تفسير الرواية التى يخرجها ، وقد تقع روايته بين أيدى مخرجين يضعون (يانك) فى حديقة القرود مثلا ، ومن أجل ذلك تعمد ابداء ملاحظاته عن كيفية اخراج كل مشهد ، وفى كل ملاحظة يذكر « التأثير المطلوب » من المشاهد وهذا أسلوب جديد ودقيق ، ويبرهن على وعى المؤلف .



والمؤلف بلغ منتهى البراعة فى السخرية ... ظهر ذلك فى مناقشة « ملدرد » مع عمتها ، ومع المهندسين .. وظهر فى المقارنة بين الأصالة والتفاهة .. وظهر فى التهكم على الأغنياء الذين « يتملقون الله ويسألون المسيح أن يعطيهم مزيدا من المال » ... وظهر فى المشهد الذى صوره أمام محل المجوهرات ... انه يصف مجوهرات الارستقراطيين بأن أثمانها الباهظة أكثر مما يعرق به العمال فى عشر رحلات أمام فتحة الفرن ، ومع ذلك يشترونها .. لماذا ؟ لتتدلى من رقابهم .. ان واحدة منها تشترى ما يكفى عائلة متضورة لمدة عام .. ان هذه الأشياء جميلة ، ولكن ما فائدتها .. والحيوانات المسكينة العزلاء ، انها تذبح لماذا ؟ لمجرد أن تستخدم جلودها لوقاية انوفهم من البرد !! انهم يدفعون الفين من الدولارات لشراء « فراء نسناس » ، ولكنهم لا يدفعون شيئا فى جلد قرد كثيف الشعر ، ولا فى القرد الحى بكل ما فيه من راس وجسد وروح .

أعجبتنى جدا هذه السخرية اللاذعة .

وأعجبتنى المقدمة التى كتبها الدكتور رشاد رشدى لهذه المسرحية ، ولكن لى عليها بعض ملاحظات ... فهو يقول مثلا ان المؤلف يؤمن بأن الانسان حر فى الاختيار ويستطيع ان يتحكم فى مصيره ، ومن هنا جاء انصرافه الى محاولة كتابة التراجيديا ... ويقول أيضا ان الصراع فى مسرح أونيل ليس صراعا بين الانسان والقدر ... الخ ... وأنا اخالفه فى هذه التفسيرات ... فالتراجيديا صراع بين الانسان والقدر حتى ولو تمثل هذا فى الصراع بين الانسان ونفسه ، الا اذا كان يقصد « القدر » بالمفهوم الشائع وليس بالمفهوم الدرامى ... والكائن التراجيدى ليس حر الاختيار بالمعنى الشائع أيضا ، بل يخضع « للجبرية الدرامية » وان كان لا يذعن لها بل يظل يقاومها ... هذه مسائل تحتاج الى بحوث مستقلة ، ومع ذلك فان المقدمة ألقت على المسرحية وعلى مسرح أونيل أضواء علمية فى غاية الافادة .

أيضا أعجبنى المترجم جلال العشرى لأنه يغنى المكتبة العربية بروائع المسرحيات ، وبأسلوب حديث ومبسط ، ولكنه أحيانا يستخدم ألفاظا روتينية ... وفى هذه المسرحية استخدم عبارات من طراز (أين كنت بحق الشيطان) ، و (بحق الجحيم) ، و (قاتله الله) .. الخ .. هل لمثل هذه العبارات مدلولات بحق الشيطان ؟!

عبد الفتاح البارودى

أراجيز إلى الشباب

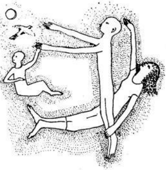


تأليف

خليل مطران

الناشر : دار المعارف
عدد الصفحات ١٢٩ ص
١٧×٢٤سم • الثمن ١٥ قرشا

الناشر دار المعارف عدد الصفحات ١٢٩ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٥ قرشا



الأراجيز جمع أرجوزة . والأرجوزة من الرجز . وهو بحر معروف من بحور الشعر العربى . وتسمى القصائد التى تنظم على وزنه أراجيز . وناظمها راجزا ، فان كان من المكثرين لنظمها سمى رجازا بتشديد الجيم . وقد سمى الرجز بهذا الاسم لأنه تتوالى فيه حركة فسكون ، ثم حركة فسكون كسير ارجل الناقة المسمى بالرجز فى أن تتحرك وتسكن . ثم تتحرك وتسكن .

وقد كان الرجز مشهورا فى الجاهلية وصدر الاسلام . وكان من خزائن أنساب العرب ديوان احسابهم . ومعدن فصاحتهم وكتب حكمهم . وقد قيل ان « الأصمعى » كان يحفظ الف ارجوزة . وان ابا تمام حبيب بن أوس الطائى كان يحفظ مثل ذلك .

ولم تكن العرب فى الجاهلية تطيل الأراجيز . ولكن أطالها المخضرمون والاسلاميون كالعجاج ، وابنه رؤبة . والأغلب العجلى ، وأبى النجم وذى الرّمة وخلف الأحمر .

وللسيد توفيق البكرى مؤلف بعنوان : أراجيز العرب ، طبع منذ نحو أربعين عاما وهو أول كتاب جمع طرائف الأراجيز .

وأول ارجوزة طويلة ظهرت فى العصر الحديث هى ارجوزة « أمير الشعراء احمد شوقى » نظمها فى تاريخ العرب والاسلام بعنوان : « دول العرب وعظماء الاسلام » وقد نظمها فى منفاه بالأندلس أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨)

وهى فى نحو ألف وخمسمائة بيت ... !!!

أما الأرجوزة الطويلة الثانية . فهى « أرجوزة الخليل » التى نتحدث عنها فى هذا الفصل وهى تحوى أحداثا تاريخية كأرجوزة شوقى . ولكنها تحوى مبادىء وطنيـة واجتماعيـة ووصايا فى الآداب والأخلاق ومحامد الخصال . ونصائح ذهبية فى حسن المعاملة والاقتصاد . وارشادات الى أسباب النجاح فى الحياة .

فقد كان الخليل رجل أخلاق . كما كان شاعرا نابغا وكاتبا بليغا . وكان يرى السعادة فى الحب بمعناه الخاص ، وبمعناه العام ، وفى كريم الأخلاق ورفيع الصفات وقد طبعت هذه الأراجيز بعد وفاته بسنوات فى نطاق ضيق ، ولم يعرف قراء العربية عنها الكثير وقد نظم عدة مقطوعات منها قبل أن يرحل من هذه الدنيا بنحو ثلاثين عاما .

ومن الغريب . ولعله من عجيب الاتفاق أن يضع هذه الأرجوزة أو الأراجيز فى الوقت الذى كان زميله « أحمد شوقى » ينظم أرجوزته التاريخية الكبرى .. !! .

فقد نشرت له مجلة الهلال (فى أكتوبر سنة ١٩١٧ م) بالصفحة ١٤) طائفة منها بعنوان : « الصداقة » ـ « تخير الخلفاء » ـ « الوعد والعهد » ـ « الشجاعة » « كوارث الضغائن » ـ « توقير الكبار » ـ « صلابة الرأى ولين الرد » ـ « الشمم » ـ « الاتضاع » . نشر هذه الأراجيز فى ذلك الحين بعنوان : « أناشيد للمتأدبين الصغار » وكتب لها ديباجة . قال فيها :

« نظمتها فى أبواب ثلاثة : باب الأوليات الاجتماعية . وباب مكارم الأخلاق وباب الفضائل المنجحة . أى المبلغة الى الغايات فى أراجيز صغيرة بالفاظ سهلة المجرى على ألسنة الفتيان من أوائل أمرهم فى تعلم لغتهم الى حين تستكمل ملكتهم العربية ويبلغون المبلغ الوافى من التأديب العلمى وهذه أمثلة من تلك الأناشيد نقتطفها من « باب مكارم الأخلاق » .. !!

« وأراد بهؤلاء الفتيان الذين وصفهم بهذا الوصف « الشباب » . ولهذا كان كل ما حوته هذه الأراجيز موجها اليهم . وقد توسع فيها « الخليل » بعد ذلك فصارت خمسة أبواب لا ثلاثة أبواب . وهى :

١ ـ المبادىء الاجتماعية .
٢ ـ أحمد الخصال .
٣ ـ مهيئات النجاح .
٤ ـ ارشادات فى المعاملة والاقتصاد .
٥ ـ وصايا عامة .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عدة أراجيز فى عدة موضوعات فالباب الأول مثلا وهو « المبادىء الاجتماعية » يشتمل على خمس وعشرين . وهكذا سائر الأبواب حتى بلغ عدد هذه الأراجيز اثنتين ومائة أرجوزة) فى نحو ألف بيت ... !!

وقد استهلها بأرجوزة عن السعادة قال فى مطلعها : ـ

بكل شغل أو عمل
يرمى الفتى الى أمل
والبدء والاعادة
فى طلب السعادة
ذو العلم مهما يبلغ
ذو الفن مهما ينبغ
ما زال فيما راده
ينتجع السعادة
ذو الجاه مهما يجمع
وكل سامى المطمع
بالمال والسيادة
يرغب فى السعادة

وفى الباب الأول « المبادىء الاجتماعية » يبدأ بأرجوزة : « الله » ويقول فى مطلعها :

الله ربك الأحد
بارئك الحى الصمد
اياه ما عشت احمد
وغيره لا تعبد

ويلى هذه الأرجوزة : « عظائم الخالق » . ثم « أشرف العبادة » . ثم « الوطن » فالوطنية العاملة ، و « تفدية الوطن » و « الحرية القومية » و « التعاون » و « التسامح بين عناصر الأمة » الى آخر ما فى هذا الباب من مبادىء وقد قال فى « الوطن » :

ليس القـــرى ولا الـــمدن
بوطـــن أنت الوطـــن
هـــل الحمى اذا انتمى
يوما ســوى أهـــل الحمى
البيت ما قـــدرت لـــــه
من حالـــــة أو منزلـــة
ان هـــو الا أهـــــله
هـــم علمــه أو جهـــله
جـــلاله او دقتـــــه
جفـــوته او رقتـــــه
هـــوانه أو شرفـــه
حفاظـــه أو سرفـــه
مهمـا تشـــأ يرتفـع
وما تشـــأ يتضـع
صـــلاحه ما تصـــلح
اصـــلاحه ما تصـــلح
أنى أجات النظـــــرا
فيـــه فابك تـــرى
بالـــروح أو بالـــذات
كالرســم فى المـــرآة

وفى الباب الثانى « أحمد الخصال » كثير من الأراجيز التى تتناول البر بالوالدين ورعاية الجار . وتوقير الكبار . وأدب الجد والمزاح . وحفظ الجميل . والحيـاء الصادق والحياء الكاذب . والعطف على الفقراء . واجتناب النفاق والرياء . الى آخر حميد الخصال .

وفى الباب الثالث : مهيئات النجاح . اراجيز تتضمن الوسائل والأسباب التى تؤدى الى نجاح الشباب كأداء الواجب والكد والمثابرة . والصبر والحلم والكياسة ــ ومواجهة الحقيقة وقد قال من « أداء الواجب » :

لا تعنى بالمصـــــاعب
دون أداء الـــواجب
ومـا وليت فعــــله
أتممه ثم أرجـــع لـــه
أصبرْ حتى يَحســـنا
وأصبر الى أن يتقنـــا
أتممـــه غـــير طـــالب
الا أداء الـــواجب

لا رغبـــــة فى الأجـــر
أو رهبـــة من شـــر

الى آخر الأرجوزة . وفى البـاب الرابع : « ارشاد فى المعاملة والاقتصاد » يرشد فيهـا الشباب الى شرف المعـاملة . وطريقة العرض والطلب . والأنفـة المحمودة والعجرفة المذمومة ويصف لهم كيف يسلكون سبيل الاقتصـاد . ويبتعدون عن السرف ويهديهم الى خير الطرق فى الانفاق .

أما البـاب الخامس : « وصايا عامة » فهو يشتمل على عدة وصايا مختلفة فى العلم والتعليم والانتفاع بالصناعة . وعلى عـدة صفات عملية يحتاج اليها الشبان فى حياتهم وأعمالهم كالنظام والثبـات على المبـدأ وتقسيم الزمن والأمل والتفاؤل الدائم فى الحياة وقوة الارادة والذاتية . وأن يكون لهم فى الحياة هدف . وأن يسعوا دائما الى غاية شريفة فى جميع المساعى . وقد قال فى « الارادة » :

ما أدرك الســـــعادة
فتى بـــلا ارادة
ولا أســـتعز قـــدرا
ولا اســـتدام ذكـــرا
هـــل جـــل فى الرجـــال
أو عـــد فى الأبطـــال
ذو خـــور فى العـــزم
أو وهن فى الحـــزم

الى آخر هذه الأرجوزة التى تبلغ اثنى عشر بيتـــا .

ولا ريب أن الخليل قد أدى بنظم هـــذه الأرجوزة للشـــباب العربى خدمة جليلة فهى فى مبنـاها سلسلة فصيحة وفى معناها ارشاد وتهذيب . وما أحوج الشـباب العربى أن يأخذ الفصاحة والبـلاغة والأدب والأخلاق والارشاد من بيان هـــذا الشاعر النابغ والكاتب البليغ والانسان النبيل والأستاذ القدير المجرب » ، « خليل مطران » .. !!!

ولخليل مطران غير هذه الأراجيز ، وغير ديوانه المطبوع عـــدة مؤلفات لم يطبع منها الا كتاب « مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام » .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته فهو :

١ — « أخلاق وآداب من القرآن الكريم » .

٢ — « أخلاق العرب من الأمثال والمواعظ » .

٣ — « أسماء وصفات في لغة الضاد » .

٤ — ترجمة العالم الفيلسوف « الدكتور شبلي شميل » .

٥ — كتاب « تربية الارادة » . وهو تأليف وترجمة عن كتاب « تربية الارادة » للعالم الفرنسي « بايو » مدير جامعة اكس بفرنسا .

وقد نشر الخليل بعض فصول هذا الكتاب في مجلة الهلال منذ سنين ! .

ولخليل مطران راى في الكتب الناجحة ، والشروط التي يجب توافرها في المؤلفات الناجحة . وقد حدثني بها ، وهو يروى لي ما قام به من تاليف هذه الكتب ، فقال :

« أول ما يشترط في الكتاب الناجح أن يكون المجتمع في حاجة اليه » . وأن تكون تلك الحاجة نتيجة تجارب مرت على المؤلف ، فيستخلص من هذه التجارب موضوعا يرى أن المجتمع مفتقر اليه ، وأنه يسد مكانا كان فارغا قبل الكتابة في هذا الموضوع ، لا أن يكرر موضوعا سبقت الكتابة فيه . أو أن يجمع معلومات من هنا وهناك . ليؤلف منها كتابا دون أن يكون له عمل في هذا التأليف . ودون أن يحدث حدثا أدبيا . وعلميا جديدا . كما يقع كثيرا في المؤلفات التي تظهر في الوقت الحاضر . وكما وقع في العصور المتأخرة .

فقد كان عمل المؤلف في هذه العصور أن يسطو على آثار المؤلفين السابقين فيأخذ من هذا جزءا . ومن ذاك جزءا آخر . وهكذا ثم يجمع بين هذه الأجزاء . ويسميها كتابا يضيفه الى نفسه . ويستقل بفضله . ثم هو لا يذكر شيئا عن المصادر التي أخذ منها . ولهذا اشترط أيضا أن يكون مؤلف الكتاب أمينا في تأليفه . فلا ينسب له ما ليس له ... !!

« وقد ذكرت أن الموضوع الذى يختاره المؤلف ينبغي أن يكون نتيجة تجارب مرت عليه . وأوقعت في نفسه أن المجتمع في حاجة اليه . واعتقد ان هذا شرط أساسي لنجاح الكتاب . فان موضوعه اذا كان وليد التجارب الطويلة . فهو كفيل بالتقدير الفائق . وأذكر بهذه المناسبة أن « جوته » مكث يفكر في « فاوست » ثلاثين عاما . وضع أثناءها عدة كتب غيره . ثم أصدر هذا الكتاب بعد هذه المدة . فكان أحسن كتبه . وكان من اهم المؤلفات الناجحة في العالم .

« ولابد لمؤلف أن يكون مخلصا في التأليف . لا يرجو من وراء كتابه الا الخدمة الأدبية والعلمية أما المادة . فتأتي تبعا . فان فكرة التكسب والتجارة تفسد التأليف ولا تحمل على الأجادة . بل أنها تحط من قيمة الكتاب ووضعه . خصوصا اذا شعر الجمهور بهذه الفكرة . وأحس أن المؤلف لم يأت برسالة جديدة . وانما أتى بسلعة من السلع يتجربها في الأسواق .. !!

« ولا ننسى شرطين من شروط الكتاب الناجح . وهما : التشويق وحسن الوضع . فاذا كان الموضوع يسد حاجة لدى الجمهور . ويؤدى رسالة جديدة . وكان المؤلف أمينا مخلصا لأدبه وعلمه . ليس يقصد من وراء تأليفه التكسب والتجارة . فلا بد ايضا أن يكون الكتاب مشوقا . وأن يكون حسن الوضع في تأليفه وأسلوبه وتقسيم أبوابه وبحوثه وما الى ذلك مما يتعلق باتقان الكتاب . حتى الطبع يجب أن يكون جيدا متقنا .

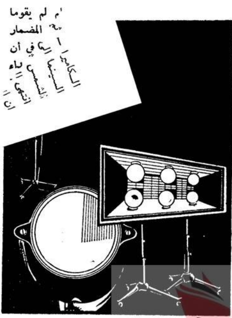
وفي النهاية أوجز تلك المهمة الجليلة في عبارة صغيرة ، فأقول : ان التأليف رسالة وذمة ومعرفة وخدمة » .. !!

طاهر الطناحي

الرسم بالنور

تأليف : جون آلتون
ترجمة : ثريا حمدان
مراجعة : وديد محمد سرى

الناشر : موسسة التأليف والترجمة
٣٧٩ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن ٣٥ قرشا



لما كان كتاب (الرسم بالنور Painting With Light) الذى ألفه جون التون وهو من أعلام التصوير السينمائى فى هوليود ـ لما كان هذا الكتاب من الكتب القيمة التى أعتز وأحتفظ بها فى مكتبتى الخاصة وأعتبره المرجع الأول لمديرى التصوير السينمائى ودارسى هذا التخصص الى جانب كتاب « الضوء فى فن المصور السينمائى » لمؤلفه جلوفنيا مدير تصوير أهم الأفلام التى يعرفها تاريخ السينما السوفييتية .

فقد شاقنى أن أطلع على الترجمة العربية لكتاب Painting With Light عندما عرفت أنه قد ترجم فعلا تحت عنوان « الرسم بالنور » وقامت بترجمته السيدة ثريا حمدان كما قام بمراجعته السيد / وديد سرى ـ ولابد لى قبل الخوض فى عرض الترجمة ونقدها من ان ألم المامة موجزة بمؤلفه وبموضوع الكتاب وأهدافه ومراميه .

عرف مدير التصوير السينمائى الهوليودى جون التون مؤلف هذا الكتاب بأنه فنان فذ ـ وذاع صيته فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وافريقيا والشرق الأدنى وأمريكا الوسطى والجنوبية ـ وقد عمل كبيرا لمصورى ستوديو براموانت فى باريس وقام بتطوير وانشاء عدة استوديوهات سينمائية حديثة بالأرجنتين ـ ويرجع السر فى شهرته الى كاميرته السحرية الرائعة الخيال وفهمه العجيب لتأثيرات الاضاءة المتباينة وحذقه فى اختيار الزوايا التى تبرز المفهوم السيكيولوجى للتأثير الدرامى المطلوب ـ لذلك كان أهلا لجائزة الأكاديمية عام ١٩٥٢ عندما قام بتصوير الباليه فى فيلم « أمريكى فى باريس » بالتكنيكلر وكفاه فخرا ما قدم للسينما من اختراعات فريدة فى بابها مثل الفلتروسكوب ـ النضد الدوار ـ والستريم لايت .

اما عن موضوع الكتاب فقد استعرض المؤلف هيئة التصوير بأكملها ثم تناول معدات التصوير من الكاميرا الى جهاز قياس التعريض حتى وصل بنا الى رافعة الكاميرا المعلقة Destycrane التى تتحرك عليها الكاميرا فى أى اتجاه ولها من المميزات والفوائد مالا يمكن ان تقوم به عربة

أما ما لم يطْ انتقل الى الاضاءة من بداية ١ ـ «أن وصلت الى التصوير بواسطة ٢ م استخدام المصابيح الكهربية حتى ى جهاز من اختراعه هو الستريملايت غير سيدة المترجمة لم تعطه حقه فى الترجمة مما نعرض له تفصيلا فيما بعد ـ ثم جاء المؤلف الى كيفية اضاءة الأجواء المختلفة التى تحقق صناعيا مثل المطر والضباب وكذا اضاءة الخدع السينمائية ومنها مناظر العرض الخلفى وما تلاها من تطور فى أجهزتها وهنا أيضا أغفلت السيدة المترجمة جهازا هاما من اختراع المؤلف وهو « النضد الدوار The Turntable » وسيأتى بيان ذلك فيما بعد ـ ثم سرد المؤلف كيفية اضاءة الحرائق والشموع فى مواقف الرعب والرهبة وتناول المؤلف بعد ذلك تصوير المنظر المكبر وقواعد اضاءته المختلفة ثم التصوير الخارجى واضاءته والعواكس التى تستخدم فيه وظروفها المختلفة ثم بين كيفية التصوير فى الجبال الثلجية وما يترتب على تحقيق التصوير فى أماكنه الطبيعية الى أن وصل الى المعمل وما يدور فيه وفى الختام تحدث عن دور العرض السينمائى وما يجب أن يكون عليه فى المستقبل حتى يصل المتفرج الى مقعده فى سلام دون أن يصطدم بغيره أو يصطدم به غيره .

ولا شك أن هذا الكتاب قد أنار الطريق أمام دارسى هذا الفن وعرف هواته بما يجرى فى الاستديوهات للانتاج السينمائى وجعلهم على بينة ووعى بما يقوم به مدير التصوير ومساعدوه « للتصوير بالضوء » .

بعد هذه الألمامة العاجلة بالكتاب وكاتبه يجىء دور الترجمة والمترجمة والمراجع ولا شك أن السيدة المترجمة قد بذلت جهدا مشكورا لنقل هذا الكتاب الى العربية على الرغم من أنه لا يقع فى نطاق اختصاصها ـ فاذا كان فى الترجمة نقص أو عيب من أى ناحية فمن الانصاف الا تكون التبعة فيه واقعة عليها وانما تكون التبعة أولا وأخيرا على السيد المراجع لأنه رجل مختص أولا ولأنه المراجع ثانيا ولا شك أن المراجع عليه التبعة دائما ولو كان غير مختص .

ولابد لى باديء ذى بدء أن أقرر بأن المستوى العام للغة الترجمة ادنى بكثير من مستوى الأصل الانجليزى الذى نقلت عنه ـ فلقد قرات هذا الكتاب بالانجليزية ثم قرأت الترجمة ولست متجنيا اذا قلت اننى لم أستشعر لذة قراءة الترجمة ولم أستمتع بها كقاريء عربى يعرف ما فى اللغة العربية من ثروة تعبيرية كبرى لا تقل عن ثروة أى لغة اخرى ان لم تفق اللغات جميعا فى هذا المضمار ـ وكم كنت أود ان أجد فى قراءة الكتاب بالعربية من المتعة ما وجدته فى المؤلف الأصلى بعباراته الرشيقة وصوره البلاغية البديعة ـ ولا جدال فى ان اللغة الجميلة تستهوى القاريء فهى فن فى ذاتها وهى وحدها كفيلة باجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء وبذلك يزداد الكتاب شيوعا وانتشارا وينتفع به هواة الفن والمختصون فيه على السواء فليس يكفى اذا أن تكون الترجمة نقلا للمعانى فى أى ثوب من الأثواب بل لابد ان يجيء المعنى فى ثوب جميل ذى رشاقة وشفافية وجاذبية ـ ولم يكن ذلك فى الترجمة فحسب ولكنها احتوت بعض أخطاء تشينها وتقلل من قيمتها كما انها أغفلت بعض الموضوعات الجوهرية ومن بينها أجزاء تتعلق باختراعات وابتكارات فنية جديدة لم يسبق لها مثيل .

وها هى ذى بعض النواحى التى يؤخذ فيها على المترجمة والمراجع عدم مراعاة الدقة الفنية والعلمية فيما نقلوا الى العربية واهمال ترجمة بعض الموضوعات والفقرات الجوهرية وانى لأوردها على سبيل المثال لا الحصر :

فالعنوان مثلا وهو بالانجليزية Painting With Light قد ترجم الى « الرسم بالنور » والبون شاسع بين الأصل الانجليزى وبين الترجمة فهى لا تحمل شيئا من المعنى المصطلح عليه عند أرباب الفنون وهو « التصوير بالضوء » .

وفى ص ٤٩ ترجمت عبارة in Black and white Motion Picture Photography الى « اذا كنا نصور بالفيلم الوحيد اللون » والصحيح « اذا كنا نصور بالفيلم الأبيض والأسود » فان الوحيد اللون قد تحمل معنى لون واحد بدرجاته

أحمر أوأصفر الخ.ولكن الفيلم غير الملون أى الأبيض والأسود يحتوى على اللون الأبيض ثم الرمادى بمختلف درجاته وكثـــافاته حتى ينتهى باللون الأسود وهذا ما يوضحه لنا « هرتر ودريلفد فى علم السنستومتريا .

وفى ص ٥١ جاء فى الترجمة « المولارك مقاس ١٥٠ امبير » وهــذا خطأ علمى فادح لأن الأرك المولارك « ١٥٠ امبـــير / ١١٥ فولت » يقوم بسحب تيار شــدته ١٥٠ أمبير وبضغط ١١٥ فولت فتكون قوته والقـــدرة الاستهلاكية = ١٧٢٥٠ وات فأين المقاس من شـــدة التيـار أن كلمة المقاس هذه لا شك أنها وضعت دون معرفة علمية .

وفى ص ٥٥ نجد « ولكل منها عدسة من نوع الفرينيل » وصحتها « عدسة من نوع الفريزنل »

ولست أدرى الى أى حـــد وصلت المترجمة والمراجع من عـــدم الاهتمام بالفقرات وترتيبها وللانتقال من فقرة الى اخرى حتى أنهما قد أدمجا بعض الفقرات المهمة فى فقرات أخرى كما جاء فى السطر الأول فى صـــحيفة ٦٠ ـ فقد أدمجت موضوع الستريملايت فى الموضوع الذى قبله ولم تفرد له فقرة خاصــــة تنوه باهميته كما جاء فى الأصل الانجليزى واذا جاز لنا أن نتغاضى عن هذا الخطأ فى الترتيب فاننا لا نسمح لأنفسـنا باغفال خطأ كبير نعده من قبيل عدم الأمانة فى الترجمة اذ اغفلت المترجمة والمراجع كلاهما ترجمة موضوع الستريملايت ترجمـــة كاملة واكتفيا بنقله نقلا مخلا فى أربعة أسطر مما ينافى الأمانة العلميـــة ـ فهل من المعقول أن يترجم موضوع كتبه مؤلفه فى حـــوالى صـــحيفتين كاملتين فى أربعة أسطر فقط ـ اننى أترك التعليق على مثل هذا التصرف لافهام القراء والناقدين بل لفهم المترجمة والمراجع نفسه ـ وأكتفى بأن أورد فى آخر هذا المقـــال ترجمـــة كاملة لهـــذا الموضوع الذى يعتبر من اختراعات المؤلف التى أراد ابرازها ليقارن القراء بينهـــا وبين الترجمة وليقفوا بأنفسهم على ما أصابها من نقص كبير ـ واذا كانت المترجمة والمراجع غير مقتنعين بهذا الشىء الجديد كما يتبين من التعليق بأسفل الصفحة نفسها فلم لم يقوما بالترجمة كاملة ويتركا للعاملين فى هذا المضمار الرأى فيه والحـــكم عليه ـ فانه لا جدال فى أن المترجم والمراجع فى أى فن ليس من حقهما ابداء الرأى فيما يترجمون أو التعليق عليه بأى صورة من الصـــور ـ والذى اعجب له فوق ذلك كله نشرهما للأشكال الموضحة لهذا الموضوع وترقيمها دون ايضاح ما تدل عليه هــــذه الأشـــكال وهى ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ .

وفى صحيفة ٧٥ نجد ترجمة الفقـــرة الأولى ينقصها أن يذكر بعـــد كلمة المتوهجة « بحيث يكون الضوء كله بدرجة حرارة لونية واحدة » ـ وقد اورد المترجم تعليقا على هذه الفقرة يريد بها ايضاحها لتتم الفائدة العلمية منهـــا ولكننى لست أجد فى هذا التعليق غناء ولا جدوى وما كان أجدره أن يكون على النحو الاتى لكى تتم الفائدة العلمية منه وليكون التعليق اظهارا وافصاحا عما اضمر المؤلف .

« المرشح » yl يوضع أمام الاركات M.R. ١٢٠ ـ ١٥٠ ـ ٢٢٥ بالكربون ذى اللهب الأبيض فيحول درجة حرارتها اللونية الى درجة الحرارة اللونية لضوء النهار ٥٥٠٠ كلفن (الضوء المفقود ١٠٪) .

أما لتحويل درجة الحرارة اللونية للارك الى درجـــة الحرارة اللونية للمصباح التونجستينى ٣٢٠٠ كلفن فهو كالآتى : ـ (أ) ـ يوضع مرشح MT-2 جيـــــلاتينى أمام الأرك الدوآرك ٤٠ (الضوء المفقود ٣٥٪) ـ (ب) ـ يوضع المرشح MT-2 الجيلاتينى + yl أمام الاركات M.R. ١٢٠ ـ ١٥٠ ـ ٢٢٥ بكربون ذى اللهب الأبيض (كمية الضوء المفقود ٤٠٪) ـ (جـ) ـ يوضع المرشح YF-LOL الجيلاتينى أمام الارك M.R. ٢٢٥ « بروتى » بكربون ذى لهب أصفر (الضوء المفقود ١٥٪) .

وبعد فهل تستطيع المترجمـــة أو المراجع ان يفسرا لنا لماذا نشر شكل ١٥١ و ١٥٢ فى ص ١٥٨ ؟ هل ليضع القارىء حائرا يفكر لماذا نشر ويسبح فى سماء الحدس والتخمين ؟ لقد هالنى وحير عقلى وجعلنى اقف عجبا هذا الذى تكرر فى أكثر

من موضع — وما هو ادهى وأمر هو أن هـــذه الأشـــكال انما جاءت بكتاب المؤلف توضيحا لموضوع جديد بل لاختراع جديد لم ينشر من قبـــل وهو « النضد الدوار The Turntable » تركته المترجمة بلا ترجمة مع أنه يقع في صحيفتين كاملتين (صحيفة ٧٨ و ٧٩ في الأصل) ولا جدال في ان هذا نقص فادح بل هو نقص افدح من ذلك الذي سبق التنويه عنه في هذا المقال وساورد في نهايته الترجمة الكاملة الأمينة لهذا الموضوع .

وفي ص ٣١٨ درجات السلم الرصاصي : .... الألوان التي تتراوح بين الأســـود والرصـاصي والأبيض والصـحيح أن يقال : « درجات السلم الرمادي » والألوان التي تتراوح بين الأســـود والرمادي والأبيض فان كلمـة الرصاصي لا تعني كلمة grey الانجليزية وفي ترجمتها الى رصاصي خاطئ لا يليق بالترجمة الدقيقـــة قد يؤدي الى اختلاط الفهم لدى القراء .

وقد جاءت الأشـكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٨٨ .

كل هذه الأشكال جاءت في الكتاب دون أن يشير المترجم في سياق الترجمة الى أرقامها في المواضع المناسبة لها .

وكم كنا ننتظر أن ترعى مؤســـســـة التاليف والترجمة ناحية من النواحي الفنيـــة في النشر تلك أن بعض الكتب تعتمد في كمالها واداء رسالتها على الكلمة والصورة معا بحيث لا تستطيع أحداها أن تؤدي الرسالة بمفردها فالكلمة وحدها قاصرة عن هذا كما أن الصورة وحدها قاصرة أيضا — ولما كان هذا الكتاب بالذات من تلك الكتب التي يجب أن تكون الصور فيها أوضح ما تكون فقد كان من الواجب المحتم على الهيئـــة الناشرة ان تلحظه وتعنى به لكي تتم الفائدة المرجوة منه ولكن من دواعي الأسف أن الصور جملة وتفصيلا غير واضحة الا النذر اليسير منها مما يؤدي الى فقدان ركن جوهري من أركان النشر يضيع على القارىء فرصـــة الفهم الصحيح الذي يقوم على الجـلاء والوضوح .

ولا يفوتني أن أســجل هنا ترجمة الأجزاء الناقصـــة في الترجمة وهي « الستريملايت » و « النضد الدوار » .

« الستريملايت »

ان الستريملايت خطوة تقدمية في الاضـــاءة السينمائية وهي من اختراع المؤلف ولقـد يعجب زائرو الاستديوهات وعمال الاضـــاءة المنفـذين ويتساءلون ؟ لماذا تستغرق اضاءة مشهد معين مثل ذلك الوقت الطويل . ولم هذا النظام المعقد الكثير التكليف في حين أنه في الحياة العامة يمكن الحصول على أبسط التأثيرات الضوئية عن طريق اشعال عود ثقاب لا غير أو شمعة ضئيلة أو بادارة مفتاح الضوء الكهربي والجواب على هذا العمل ليس بهذا القدر من السهولة فالاضاءة السينمائية مشكلة تختلف كليـــا عن الاضاءة العادية التي تتأثر بها العين البشرية ذات الحساسية العالية الخارقة للعادة — ومع ذلك فان هذا التساؤل المتكرر قد دفعني الى التفكير ولابد من التسليم بأن الحيز الخاص بالديكور وموضع الاضاءة لم تتغير كثيرا في السنين القليلة الماضية — ولقد كان في الحرب العالمية عذر مقبول لهذا . ولكن عندما انتهت الحـــرب وظهـــر التليفزيون والـــرادار واستخدم النشاط الذري كان لابد من البدء في البحث عن تحسينات جديدة .

ولناخذ مثـــلا منظرا بسيطا في حجرة فندق صغيرة ففي مثل هذه الحالة كان السيناريو ينص على دخول شخص ما في الحجرة المظلمة ويدير مفتاح الاضاءة الذي يتصل بمصباح كهربي مفرد معلق — فهذا المنظر البسيط يستلزم مجموعتين من العمال احـــداها لاعداد أجهزة الاضـــاء في اماكنهـــا المناسبة والمقاومات الخ .. حسبما يقتضيه النص في السيناريو والأخرى لاضـــاءة الأجهزة وعندما ينتهي رئيس الكهربائيين ورجاله من اعداد ما يلزم للاضاءة يدخل مدير التصوير ويبدي ما يعن له من ملاحظات وما يريده من تغيرات فنيـــة خاصـــة — ولا شك أن هذا كله يستغرق وقتا طويلا حتى يكون المنظر معـــدا

للتصوير — ولكن يندر ان ينجح التصوير لأول مرة فانه قد يتأخر فتح الاضاءة عن موعده المناسب أو تأتى الطاقة الضوئية على عدة دفعات لمصباح واحد — ولذلك تؤخذ لقطة اخرى وأخرى حتى يمكن لواحدة منها ان تكون صالحة للطباعة — ومع ذلك فانها تبدو على الشاشة غير طبيعية ويبدو أن بها شيئا غريبا — وبعد أن قمت بتجارب عدة على افكار مختلفة لتبسيط أضاءة هذا النوع من المناظر السينمائية أمكننى ان أصل الى اختراع يمكن أن يكون نواة صالحة للتحسين والتطور .

انه مصباح جديد يعرف بالاستريملايت وهو عبارة عن مجموعة من ثلاثة انواع من المصابيح سينور ، وجونيور ، وبرود ، كما فى شكل ٦٦ — ويتدلى الاستريملايت من السقف فى وسط الديكور وللجهاز ذراع حوله لتوجيهه للزاوية المطلوبة وهو يشتمل على مصباح « سينور » فى وسطه موجه الى أسفل مباشرة لاضاءة الأرضية وكل ما يقع تحته مباشرة من اثاث وأشخاص وحول المصباح السينيور الرئيسى ستة مصابيح « جونيور » كل بزاوية قدرها ٣٠ درجة وهى تضىء الأشخاص والجدران حولها حتى ارتفاع معين فوق هذه المصابيح « الجونيور » وحول المحيط الكلى للمصباح توجد سلسلة من المصابيح لسد الفراغات الضوئية ويمكن أن تكون من المصابيح الكروية أو الأنبوبية وهذا الضوء يكمل اضاءة الجدران فى الأجزاء التى لم تصل اليها أضواء الجونيور شكل ٦٧ — والستريملايت يحكمه صندوق المقاومات الخاص به شكل ٦٨ — ويمكن اضاءة المصابيح واطفاؤها أو تقليل اضاءتها فرادى أو مجتمعة . ويتصل مفتاح الاضاءة للديكور بجهاز المقاومات وعندما يفتحه الممثل يسطع الضوء فى الحال فيضىء الديكور بتأثير طبيعى شكل ٦٩ .

ويبين الشكل ٧٠ كيف تضاء الأجزاء المختلفة للديكور بواسطة الأجزاء المختلفة من مصباح الستريملايت . كما يبين الشكل ٧١ منظر جهاز الستريملايت كما يرى من أعلى وكيف يغطى كل مصباح من الجونيور جزءا مختلفا من الديكور — ويبين الشكل ٧٢ كيف كان هذا النوع من الديكور يضاء على الطريقة القديمة بكل هذه المصابيح الضرورية لاضاءة مساحة صغيرة نسبيا كهذه .

وقد صمم الستريملايت مبدئيا للديكورات الصغيرة ولكن المناظر الأكبر يمكن اضاءتها أيضا بمجموعة من هذا الجهاز الجديد .

وان قيمته الحقيقية لا تبدو واضحة الا عند العمل به فهو اقتصادى وسريع وبسيط فى استعماله .

النضد الدوار THE TURNTABLE

كان الاعتقاد السائد قديما ان عملية التصوير السينمائى للعرض الخلفى بطيئة للغاية وهو اعتقاد خاطىء كلية — فان هذه العملية يمكن أن تكون فى سرعة عملية التصوير العادى وربما كانت أسرع منها وأن هذا لا يتطلب شيئا اكثر من ادخال بعض التحسينات على عملية العرض الخلفى فمن الممكن أن تكون العملية أكثر سرعة باستخدام « النضد الدوار The Turntable ودعنى أوضحه فيما يلى :

اننا عندما نصور منظرا بطريقة العرض الخلفى فانه من المعتاد ان يؤخذ المنظر من عدة زوايا وهذا ضرورى لأغراض المونتاج فيما بعد — فاذا أردنا ان نأخذ المنظر من زاوية اخرى فان الوضع كله يجب تغيره أو ادارته — فلنفرض مثلا اننا نصور المنظر الداخلى لسيارة فاننا فى هذه الحالة نصورها من الأمام أولا وبعد التقاط هذه الصورة فان المخرج ربما يحتاج الى أخرى بزاوية جانبية ٪ . وعندئذ ذلك يجب أن يدار وضع العربة فيترتب على ادارة المحرك (الموتور) أن يمتلىء جو البلاتو بغاز أول أكسيد الكربون فيصاب السينمائيون العاملون بالصداع والخمول ويميلون الى النوم وعلى ذلك يهبط مستوى سرعة الانتاج — ومع ذلك فلا ينتبه احد الى السبب الحقيقى من المتاعب ثم تدار العربة فى وضع جديد بزاوية جديدة — وعلى ذلك يعد المنظر اعدادا جديدا ومصابيح الاضاءة التى كانت قد لزم ازالتها يعاد وضعها من جديد ويضاء المنظر اضاءة جديدة واخيرا وبعد كل هذا يتم التصوير .

ولا شك أن هذا يستغرق وقتا طويلا — واذا أردنا أن نصور زاوية عكسية من اعلاها مثلا فان

هذه العملية تستغرق وقتا أطول وهذا معناه فى لغة الانتاج زيادة فى النفقات ـ ومع ذلك فان العربة يسهل ادارة وضعها ـ ولكن لو فرض أن لدينا منظرا أكثر تعقيدا مثل جزيرة فى البحر الجنوبى وأشجار نخيل واكواخ وشباك للصيد ... الخ أو أى نوع معقد من التكوينات

ولنفرض أن العربة بولمان فكيف يكون الحال حين ذاك . أما أن تثبط همة المخرج عن تصوير كافة الزوايا الضرورية فيهمل بعضها وبذلك يهبط المستوى الفنى للصورة السينمائية وأما أن يعطيها حقهـا كاملا وهذا يستلزم اعادة المناظر واعادة الاضاءة وبمعنى آخر اعادة كل عملية وتكرارها . مما يستلزم استدعاء فنيين ورجال اكثر لتحريك المنظر فى شتى أوضاعه ولذلك فعلينا أن ننتظر وننتظر فى حين أن الفنيين السينمائيين فى هذه الحالة يكونون معطلين عن العمل ـ ولقد ظللت سنين طويلة أحاول أن استبدل هذه الطريقة البدائية الكثيرة النفقات بطريقة اخرى أسرع وأكثر اقتصادا وتكون فى نفس الوقت طريقة عملية يعتمد عليها اعتمادا فنيا كاملا ـ ولقد وفقت الى الحل وهو أن يكون هناك جهاز ثابت وهو « النضد الدوار » يوضع فى منطقة المنظر الخلفى أمام الشاشة الشفافة وقد يكون انشاء هذا الجهاز كثير التكاليف نوعا ولكن اذا أدخلنا فى اعتبارنا المزايا الكبيرة التى تعود علينا من انشائه فاننا نجد أنها تفوق كثيرا هذه التكاليف .

وفى شكل ١٥١ ، ١٥٢ صورة جانبية وأخرى علوية لهذا الجهاز الدوار .

A جهاز العرض الخلفى .
B الدوار .
C الشاشة الشفافة .
D آلة التصوير .

وتركب العربات والمناظر فوق هذا الدوار تماما ولما كانت الأضواء سوف **لا تنقل من مكانها فانها أيضا يمكن أن توضع هناك .**

فعندما نريد تغيير الزاوية فما علينا الا أن نضغط على زر فنرى المناظر تدور فنوقفها فى النقطة التى نريد أن نصورها فيها بالضبط ـ وانه لمن السهل اليسير على أقل الناس ادراكا أن يتبين الامكانيات التى لا حد لها التى يتيحها لنا أستعمال هذا الجهاز الجديد من نوعه . ولنذكر أن التعديلات أو الاصلاحات من أى نوع فى أى جهاز جديد من الأمور المرغوب فيها والتى يرحب بها الجميع وهذه فكرة لا غير وعلى ذلك فهى موضع التحسينات والتعديلات فكل فكره جديدة لا بد أن تجر وراءها سيلا من أفكار أخرى جديده . وها أنذا قد قدمتها لعباقرة الابتكار والكتاب والمخرجين والسينمائيين لينتفعوا بها فى تحسين وأخراج الصورة السينمائية فى العصر الحاضر .

وأخيرا وليس آخرا أود أن لا يكون هذا النقد البرىء مثارا لاغضاب من قام بترجمة هذا الكتاب أو مراجعته فأن النقد الصحيح انما هو تعاون بناء يقصد به بلوغ الأهداف غير مشوبة بنقص أو قصور ـ واعتقادى الذى لا مراء فيه أنهما سيتقبلان نقدى بروح مرحة رياضية وبنفس راضية وأنهما سينتفعان به فى أعمالهم المقبلة ـ وأنى لجد سعيد اذ أتممت فى هذا النقد بعض نواحى النقص فى هذه الترجمة فاكتملت أو قاربت الكمال واستطيع الآن أن اقول أننى قد ارحت وأسترحت وأرضيت ورضيت فقد كان يقلق فكرى ويقض مضجعى أن أجد مثل هذا الكتاب الفنى الكبير وقد شابته تلك الشوائب التى تقلل من شانه وجدواه .

د. أنور محمد خورشيد



اليوم الموعود

تأليف : نجيب الكيلانى

هى قصة تاريخية للأستاذ الكاتب الفاضل نجيب الكيلانى ، ممتدة الأنفاس فى احسان واجادة وجهد جهيد . وهى حقيقة بأن نعقد فيها مقالا فيه بيان وتفصيل يليق بها ويجمل . فما هى بالقصة العادية التى لا تستمرىء قراءتها ، وتنفس بوقتك أن يذهب فيها سدى وضياعا .

أجل . فهى أولا ليست بأول ما خط قلم الأستاذ المؤلف من كتب نشرت له ، فقد علمنا أنها بلغت عشرين مصنفا بين قصص ، ومسرحيات ودراسات ؛ ثم هى ليست بواحدة فقط من قصصه التى حظيت بنيل جوائز الدولة : ما بين جوائز المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وجوائز وزارة التربية ، وجوائز نادى القصة .

وجلت موضوعا ومنهجا . تنقلنا نقلا كريما الى أمجاد سما بها أسلافنا ، وبسط أمامنا صفحات مطوية من تاريخنا الزاهر الباهر ، ترفع هاماتنا شموخا وعزة بذكرى حروب انكشف دجاها عن نصر مبين لنا ، نحن العرب البواسل ، هى الحروب الصليبية التى شب لظاها أولئك الاستعماريون الأوروبيون فى القرن الثالث عشر المسيحى ، وشعارهم الدين والورع خدعة وتضليلا ، شنوها حروبا سبعا على الشرق ، سوريا ومصر ، فى عهد الدولة الأيوبية . والسابعة كانت الجلّى والطامة الكبرى ، حرب يقودها الملك لويس ملك فرنسا ، يريد فتح مصر بجيش عرموم ، ولكنه ركب احدى القحم وكانت الدبرة عليه ، والنصر لنا . فكان أخسر الناس صفقة هو وجيشه ، وكتبت عليه الذلة والمسكنة ، بالأسر والفداء فى معركة المنصورة ، معركة الفخار لنا والمجد الأثيل .

وكتاب القصص أصناف ، منهم : الفاص المحلل النفسانى ، والروائى المؤرخ ، والواقعى réaliste الذى يميل الأشياء والأشخاص على علاتها ما حلا منها وحسن ، وما شاه وقبح ، والطبيعى maturaliste ، وهو الذى يصور الطبائع والأشياء على حقائقها وظواهرها ، كما هى لا تعديل ولا تبديل .



الناشر الشركة العربية للطبـاعة والنشر ،
عـدد الصـفحات ٢٦٥ص ١٤ × ٢٠ سم
ث ٢٥ قرشا

وقصـتنا هـــذه التى نحن بصددها ، من القصص التـاريخى . وقد اشتهر منها وبرع الروائى الفرنسى المشهور اسكندر دوماس الكبير . أكثر وأفاض منها ، وكان قطبها ومدارها أحداث من تاريخ فرنسا ؛ الا انه لم يكن دقيقا ولا أمينا فى سردها ، بل مضى فيها على رسيلاته ، وأطلق لنفســه فيهـا العنان على هدى خياله المحلق وعبقريته المبدعة .

اما عنـدنا ، فكان أول وأشهر من رسم هذا المنهج القصصى التاريخى ، فى عصرنا الحديث ، العالم المؤرخ طيب الذكر جورجى زيدان صاحب مجلة الهلال . فأخرج لنا ما ينوف على عشرين رواية ، كفتاة غسان ، وارمانوسة المصرية ، وفتح الأندلس ، والأمين والمأمون ، وعروس فرغانة ، وما اليهـا ، روى لنا فيهـا أحداث التاريخ الاسلامى ، وغيره ، بقلم فصيح ، وفن بارع ، سمته فيها الصدق والأمانة .

وقد اختط هذا النهج الأستاذ المؤلف نجيب الكيلانى فى روايته هذه (اليوم الموعود) فوجدناه قد التزم امانة التـاريخ فى نقش دقيق بارع مما لا غاية بعده ، جامعا الى ذلك الواجب الوطنى الذى أراد ابرازه فى كفاح وجهاد سلفنا الصالح من أبناء دمياط والمنصورة ، وحذق فى تحقيق الفن القصصى بما مثل فيها من شخصيات وطنية تاريخيـة أو وضعية ، ومواقف مثيرة طارئة ، وعواطف متضاربة متناقضة .

موضوع القصة

الملك الصالح نجم الدين أيوب فى فراش مرضه يشكو أوجاعه ، منكسرا بما عصب به من هم . له زفرات هجن ما بين أضـلعه ، بما يلقى من مؤامرات واحن أمراء آل أيوب ، وما يقتحم من شـدائد وغموم ؛ ويتناقل الحديث مع امرأته الملكة شجرة الدر فى ذلك ، وجل همه أن يجمع كلمة الأمة فى مصر والشام ، ويقضى على هؤلاء المغامرين الطامعين من أمراء بنى أيوب ، وشجرة الدر تشدد عزائمه .

وهنا يفـد عليه رسول من قبل الامبراطور فريدريك الثانى يحمل اليه نبأ تجهيز الصليبيين للمرة السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فيتعاظم خطبه ، ويتفاقم غمه ، ويعود من دمشق الى مصر لأخـذ العـدة والتجهز لصد حملة الصليبيين .

ويأتى ذكر بطل القصة عدنان ، وحديثة مع أمه العجوز ، وغرامه بأمته زمردة ، ورغبته فى الزواج بهـا بعد عتقها ، وكيف أن توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ذلك العاتى الظالم ، المستعبد لشهواته ، لمـا بلغه جمال زمردة ، ساق عدنان الى السجن ظلما وعدوانا ، بلا ذنب ولا جريرة ، وانتزع زمردة من بيتـه ، والحقها قهرا بحاشـيته . ثم فرار عدنان من السجن ، وقد صـدقت عزيمته على الانتقام من توران شاه وتخليص زمردة من براثنه ، الا أنه آثر أولا أن يكون جنـديا يجاهد فى سبيل وطنه وقومه ضـد الغزاة الصليبيين ، ثم يكون منه الانتقام بعد ذلك . ولا يلبث أن يعلم بهرب زمردة من قصر توران شـاه ، من صديقه عبد الأعلى الذى انضم معه الى جيش مصر .

وتبدأ الحرب وينكشف دجاها عن فتح دمياط أبوابها للغزاة . فكانت مفاجأة حملت الأسى الى نفوس المصريين ، مـع الصريمة الماضـية على الجهاد والاستبسال ، حاشدين للاقاة العـدو فى مدينة المنصورة فى أكمل عدة .

ونعلم هنـا أن زمردة فى فرارها احترفت الغناء ، ومضت الى حلب ، فامتدت الى دمشق ، ثم عادت الى مصر ، وظهورها فى زى غجرية تدخل معسـكر الفرنجة فتغنيهم وترفه عنهم وهى فى الوقت نفسه تعمل جاسوسة تحمل الى جيش مصر أنباء تحركات جيش العدو وتدابيره .

ويحمل الملك الصالح على محفة الى المنصورة لاشتداد العلة به ، ونزوله بالقصر الملكى ، ولكنه لم يلبث أن مات ، وكتمان نعيـه بأمر شجرة الدر ، واشتراك عدنان فى الهجوم على معسكر الفرنجة ، وما أصابه من جراح .

وههنا يكتشف العدو مخاضة سلمون فيتمكن عدد من جيشه من عبور النهر الصغير ، ويباغتون المسلمين ، وهم نيام غارون فى الضفة الجنوبية للبحر الصغير ، لا يعلمون شـيئا عن اكتشاف العـدو لهذه المخاضة ، فأوقعوا فيهم القتل . وتمكن العـدو من الزحف الى المنصـورة بعد أن خلا لهم الجو .

ويتولى بيبرس قيـادة جيش المسلمين على رأس المماليك البحرية ، والتحامهم مع العدو فى شوارع المنصورة ، واقتراب دارتوا شقيق الملك لويس من القصر السلطانى بجيشه الزاحف .

ويلتقى الزحفان فى معركة تصافح فيها المنايا النفوس ، وتغص الأفواه منها بالزلال . هول فظيع ، ضرب يقـد الرؤوس بأيدى الفئتين . أما فئة المسلمين فحدث ولا حرج . سباع ضارية وأسود فى انيابهـا الموت الذريع . يضربون بما ملـكت أيديهم من فؤوس وقضـبان الحـديد ، والسهام المرديات ، وحجارة كالصواعق ، تصب على الأعداء صبا من الأسطح والنوافذ ، والأبواب فأهمدوهم ، وفتكوا بدارتوا شقيق الملك لويس فأجلت الموقعة عن هزيمة الصـليبيين ، رغم امدادات زحف بها الملك لويس ، الذى كان ينقل بقيـة قواته من الضفة الشمالية الى الضـفة الجنوبية وهو لا يعلم بما حاق بمقدمة جيشه .

وأسر الملك لويس ثم أطلق سراحه عائدا الى بلاده مع فلول جيشه ، وقد ذل عزه ، وكبا زنده ، يجر أذيال الخسـار والهزيمـة ، بعد تسليم دمياط لأهلها ، ودفعه الفدية الفاحشة .

ويعود توران شاه من حصن كيفا الى مصر وينادى به ملكا ، ولكنه يأتمر بنفسه العامرة بالسوء ويتدفق فى باطله وشهواته ، ولا ينشب أن يدب الخلاف بينه وبين شجرة الدر ، وتنكره للمماليك ، فهموا به وقتلوه .

أما خاتمة القصـة فختامه مسك . ذاك هو اليوم الموعود ، اذ يلتقى فيه عدنان بزمردة التى علم بتنكرها فى زى الغجرية ، وما جاهدت لقومها واحسنت بلاء . وقضى عـدنان وطرا . وحقق ما تمنى من قتـل عـدوه توران شـاه وزواجه بزمردة .

مآخذ على الموضوع

استهل الأستاذ المؤلف القصـة بما كان من حديث الملك الصالح نجم الدين أيوب مع زوجته شجرة الدر ، وما جاءهما من نبأ غزو الصليبيين ، واشارتها عليه بالعودة الى مصر ، فتعلم حينئذ أنه كان فى دمشق . والقارىء يفهم بداهة أنه فى القاهرة لا فى دمشق . فـكان من جودة السرد ، واحـكام الحبك أن يفتتح القصة بذكر ذلك فى

سطور ، وتبيان الباعث الذى حداه الى الشخوص الى دمشق وترك عاصمة ملكه .

وقال فى صفحة ٢١ ، حين تسمع شجرة الدر فى مجلسها مع الملك العادل غناء الجارية فى شعر للبهاء زهير ، فأطربها . فقالت « فى نشوة : ما أجمل هذا الشعر يا مولاى . فقال الملك : ان شيطان البهاء زهير خبيث . فقالت : أجل . يا مولاى . لكأنه يسرق هذه الألحان الساحرة من وادى عبقر . »

وكان الأصوب أن تقول : هذه الأشعار الساحرة ، لا هذه الألحان الساحرة ، اذ البهاء زهير ليس موسيقيا ، ولا همه كان الألحان والأصوات . وانما هو شاعر فقط . ثم كان حميدا ان يفسر الأستاذ المؤلف للقارىء أن وادى عبقر هذا مضرب المثل . وهو موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

وجاء فى صفحة ٢٥ أن رسول الملك فريدريك « دس يده فى جيب خفى داخل سترته ثم أخرج منه رسالة ملفوفة فى شريط من حرير ، وقدمها الى الملك الصالح الذى لم يكد يفيق من دهشته حتى غمغم . » . الا رأيت أن فى هذه الصيغة للأستاذ نجيب لبس واشكال ، وما لقوله بيان ؟ اذ من الذى غمغم ؟ أهو الملك الصالح ، وجملة (حتى غمغم) متصلة رأسا بالملك الصالح ، أم هو الرسول الذى غمغم ؟ ولم نفهم انه الرسول الذى غمغم ، حتى قرأنا فى السطر الذى يليه ، اذ يقول : هذه رسالة من مولاى الامبراطور فريدريك الثانى .

وشىء آخره كان حسنا أن يعرف لقرائه من هو فريدريك الثانى . والتاريخ يذكر ملكين بهذا الاسم . فالأول الذى يعنيه المؤلف هو ملك بروسيا عام ١٢١١ ، ثم صار امبراطورا لألمانيا عام ١٢٢٠ ، وقد اختلف فى بادىء أمره مع البابا ، ثم اشترك فى الحرب الصليبية السادسة . وأما الثانى فهو فريدريك الثانى الملقب بالكبير فى القرن الثامن عشر . وفى عهده بلغت بروسيا ذروة مجدها . وكان نصير العلماء والأدباء . وكان فولتير الكاتب الفرنسى الكبير من ندمائه ، وخاصة رجال بطانته .

وتقرأ فى صفحة ٧٤ ان عدنان التحق بجيش المسلمين مقاتلا ، فبدا لنا فجاة بطلا هماما لم يبق فى الجهاد غاية ، ولم يعرفنا الأستاذ المؤلف فى مطلع سيرة عدنان أنه مارس القتال وفنونه حتى أستوى له . فكان يجب أن يوطىء بسطور أنه دخل الجندية فى أول حياته ومارس المعارك ، اذ ليس لأى رجل أن يقتحم المواقع ، فيكون بطلا صنديدا الا اذا كان رجل حرب قد ذاق أهوالها ومعاركها .

وورد فى صفحة ١٣٨ أن ياقوتة الغجرية الجاسوسة ، وهى نفس زمردة ، كانت تخاطب الجنود فى معسكر الفرنجة بالعربية ! وانى لهؤلاء الرجال الفرنسيين أن يفهموها ويعطفهم عليها حديثها ، وهم فى واد وهى فى واد ؟ . انهم لا يعجبون بكلامها ما لم تخاطبهم بلغتهم ، وما يفهمون . فهلا تفطن المؤلف الى هذا ، فمهد له بكلام ، عند وصفه لزمردة فى أول القصة ، وابرازه خلالها الحسان ، وما أوتيت من جمال الصوت واجادة الغناء ، واحكام العزف ، وما تحفظ من منظوم ومنثور ، أن يضيف الى ذلك أنها كانت من سلالة قوم من الغربيين ؛ أو انها تعلمت فى حداثتها بعض لغات الأوروبيين كالفرنسية مثلا ، فيما تعلمت من آداب وفنون ، يوم باعها لهم النخاس فى سوق الرقيق ، وصارت لهم أمة ؟ .

الأسلوب واللغة

وبعد . فليس لنا مدفع عن الكلام فى أسلوب الأستاذ المؤلف فى قصته ، بعد أن فصلنا القول تفصيلا فى سردها وحبكها . فان الأسلوب فى رأينا ، هو اللب والجوهر ، فيما ينشىء الكاتب ، ويهدى الى قرائه من نفثاته ، وثمرات ابداعه ، اذ قد يأتى الكاتب بما لم يات به الأوائل من روائع قريحته ، ونخب معلوماته ، فيزفها الى فى كلام وضيع ، وتركيب زرى ، وأسلوب سوقى ، فلا احلى بشىء مما جاد به وافاد ، ولا البث حتى أمجه والفظه متكرها آسفا . يقول الجاحظ سيد البلغاء من كلام له فى الفصاحة والبلاغة : « وذهب الشيخ الى استحسان المعانى ، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى والبدوى . وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة

الماء ، وجـودة السبك . وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير . »

واسمع يا سـيدى ما يقول فى ذلك الكاتب الفرنسى الكبير فولتير : ان المعانى أكثرها فى قلوب الناس . وقد تجد رجلا من عامة الناس وافنائهم ما تعلم حرفا ، ولا تلا كتابا ، فتسمع منه الراى الحصيف ، والفكرة الصائبة ، ولكنه يلقيها على عواهنها ، لا احسان ولا تزويق ؛ وتسمعها هى عينها من رجل من المثقفين أوتى حلاوة القول ، وبلاغة التعبير ، فتجد من نفسك مولجا عجبا ، وتطرب لها طربا جما ، وكأنها فكرة جديدة ، وانها لم تكن هى نفسها التى أسمعك اياها ذلك الرجل الساذج . »

ويقول أيضا :

« يؤثر فى نفسك أسلوب القول مالا يؤثر القول ، اذ كان الناس جميعا يتساوون فيما يخطر لهم من المعانى والأفكار التى هى لعـامة العقول دانية معلومة . وانما يمتـازون بالعبارة والأسلوب . ولتجدن أكثر رواياتنا التمثيلية يدور حبكها على الغيرة والمهاجرة ، والتواصل بعد الصارمة . ومع ذلك فما أقل الحذاق العباقرة من الكتاب الذين اسـتطاعوا أن يكشفوا لك بنقش أقـلامهم عن لطائف الأوان ، ودقائق الفروق التى اعتمـد المؤلفون جميعـا وضعها وصياغتها . والا ترى الى تحبير المحبر ، وتنميق المنشىء ، كيف يحيل أبسط الأشـياء ، وأشـدها ابتـذالا اعجازا وابداعا ؟ » .

ولا نتجنى اذا قلنا أن أسلوب الأستاذ نجيب الكيلانى فى قصته هذه ، دون الفصيح المؤنق ، وفوق النـازل العادى . على انه يرتفع أحيانا فيبلغ فى بعض المواضع مرتبة النصاعة والطلاوة ، كما فى فاتحة الفصل الثـامن مثلا ، اذ يقول : « كان الليل هادئا ساكنا ، والقمر يتألق فى سماء دميـاط فيلقى عليها وشاحا فضيا ساحرا . » وذلك قليل مع ذلك .

واذا كان الأسلوب ما ذكرنا ، فاللغة والفاظها التى هى مواد الأسلوب وأركانه من حيث الصحة والبراءة من الغلط ، وحسن الاختيار ، وجزالة التعبير ، أحق واولى . وقد كثر الخطأ اللغوى ، واسـفاه ، وتعدد فى أضعاف هذه القصة ، نشير الى بعضها ، ونورد صحيحها .

من ذلك استعماله كلمة (سترته) صفحة ٢٥ وهذه كلمة زقاقية عامية . والصواب ثوبه أو رداؤه .

واستعماله كلمة (حماس) صفحة ٢٩ ، وقد تكررت منـه فى غير موطن . والصحيح الذى تثبته المراجع اللغوية حماسة لا حماس .

وفى نفس الصـفحة وردت كلمة (الداوية) وتكررت فى أكثر من موضـع ، وكأنها توضحت بعد فصول كثيرة ، فاذا هى الداورية ، ولم نفهم القصد منها مع ذلك .

وفى صفحة ٣٦ جاء قوله (الباعوضة تحاول) وبعوضة بغير الف هو الصحيح .

وفى صفحة ٤٢ قال (ملكيتها لها) والصحيح أن يقول ملك لها .

وفى صفحة ٤٥ يقول (عندما ألح الى موضوع الزواج) والصحيح لح بالتشديد وليس فى اللغة هذا المزيد بالهمزة .

وفى ذات الصـفحة ورد قوله (حزن شفيف عميق) والشفيف ما بلغ من الصقل والرقة حتى ترى ما خلفـه . فما هو هذا الحزن الشفيف ؟ وكيف يكون شفيفا ، فيناقضه وصفه اياه بعميق وانما العميق ما كان بعيد الغور خفيا عن النظر ؟



وقال فى صفحة ٥٦ (ولاحت لهم عن كثب) والصحيح من كثب لا عن كثب .

وفى ٥٩ (عدد الحصا) ولا تكتب بالألف الا اذا اريد المصدر . اما الجمع فيكتب حصي باليـــاء المقصورة .

وفى صفحة ٦٠ استعمل (برهة) . وتكررت فى مواضع كثيرة .. والبرهة لا تكون الا للزمن الطويل . والصحيح هنيهة أو لحظة .

وفى صفحة ٧٣ (فليعود نفسه على) وهـذا الفعل يتعـــدى بنفسه لا بحرف . والصحيح وليعودها . كما قال فى صفحة ١٤٣ (تعودت عليه) والصحيح تعودته .

وفى ٧٤ (الغير مهذبة) . وغير مستغرقة فى الابهام ، فلا تعرف بأل لشدة ابهامها . فالصحيح أن يقول غير المهذبة .

وفى صفحة ٩٠ قال (شمعة باهتة الضوء) وباهتة سوقية مبتذلة ، والصحيح أن يقول : كاسفة الضوء أو كامدة .

وفى ١٤٤ قال (فى الثلاثة أيام) فان العـدد المضاف يعرف عجزه لا صدره أي بادخال أل على المعدود لا العـدد . فالصحيح أن يقول فى ثلاثة الأيام ، وان شاء عرف الجزئين فيقول الثلاثة الأيام .

وفى صفحة ١٥١ قال (عن نواياها) والصحيح عن نياتها . ونوايا جمع غير وارد فى اللغة .

وفى صفحة ١٨٨ يقول : (هلا هيّله المزقة) وهى كلمة عامية مرذولة . وما نراه الا يريد ان يقول أطماره المخرقة . على أن هذا الحرف من معانيـــه الرقة . يقال ثوب هلهل أى سخيف النسج ، وثوب هلهل وهلهال ، رقيق قد هلهله النساج اى ارقه .

حسبنا ما اشرنا اليه . وما همنا الا أن يكون هـذا الجهد الطيب الذى بذله الأستاذ الفاضل نجيب الكيلانى ، فى اخراج هذه القصة التى جلت قدرا ونفعا ، وبرزت فيها كلمة الوطنية والقومية عالية مدوية ، أن يكون هذا الجهد الطيب جديرا بأن يزداد الاقبال على قراءتهـــا ، وأن تبدو فى طبعاتهـا المستقبلة سليمة من الهجنة والمغمز ؛ وان نريد الا ما يليق بهـا من الوفاء والكمال قد كسيب ثوبا سابريا زاهيا ، و « رقعته ما شئت فى العين واليد » .

أحمد أبو الخضر منسى

سطور من كتاب ...

« تكون افكاري دائما بلون ملابسي .. اذكر يوما ـ وكنت لا ازال حديثة السن ـ البسوني ثوبا أسود ؛ لان خالة لى توفيت ، ولم أكن رأيتها قط ، وبكيت ابكى طوال النهار ، وشعرت بحزن عميق ، وتصورت أن قلبى مفعم بالأسى ، واننى متألمة جدا على خالتى .. ولم يكن ذلك الشعور الا بسبب الملابس السوداء ، واعتقد أن الرجال يبدون اليوم أكثر وقارا من النساء ؛ لأنهم يرتدون ملابس أكثر تحشما » .

... **الزيفون**



الغزو الفكرى

تأليف
محمد جلال كشك

الناشر : مكتبة دار العروبة
عدد الصفحات ١٤٢ ص ١٤ × ٢٠ سم

عندما عقد مؤتمر الأدباء العرب فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ وجه الرئيس عبد الناصر الى الوفود كلمة قال فيها :

« ان التحرر الفكرى ضرورى لنا فى الحرب الباردة التى تستخدم فيها كافة الأسلحة ، وان الأدب والفكر سلاحان أساسيان فى هذه الحرب . وانتم قادة الفكر عليكم واجب أساسى فى توضيح الأمور ، وفى اقامة أدب عربى متحرر ، مستقل خال من السيطرة الأجنبية أو التوجيه الأجنبى » .

فقضية التحرر الفكرى من أهم قضايانا الحيوية سواء فى مرحلة التخلص من السيطرة الأجنبية ، او فى مرحلة اعادة البناء والانطلاق غير المحدود .

وأى انحراف بالكلمة أو بالفكر فى أيامنا هذه لا يقل خطرا عن التعاون العسكرى مع جيش العدو الزاحف . ومن هنا يصبح من التبعات الكبرى لحملة الأقلام أن ينبهونا دائما الى مواطن الخطر ، وان يشعلوا المصابيح عند كل بقعة مظلمة يكمن فيها شر .

والكتاب الذى نقدمه الآن واحد من هذه النواقيس التى تحذر من الانزلاق الى الهاوية . ويتألف من « مدخل » وفصلين ، وأربعة نماذج تطبيقية .

وفى مدخل الكتاب يحدد المؤلف التاريخ الزمنى الذى ولدت فيه فكرة الكتاب وذلك عند انتصار ثورة الجزائر واتضاح طابعها العربى الاسلامى . ومنه انطلق المؤلف ليناقش بل ليؤكد أن الاسلامية قد اثبتت واقعيتها وفاعليتها وانتصارها فى معركة التحرر ، على نقيض ما كان يذيعه التابعون للغرب من أنه « لا ثورية الا بنفى الاسلام » ومحاربة الاسلام ، لأنه فى زعمهم عقبة المسلمين الكبرى على طريق القوة والتحرر .

ويستطرد الى الحديث عن الانحرافات العقائدية لحزب البعث ، وللثورة العربية التى كان « لورنس » يقودها على نفس المخطط الذى اراده المستعمرون لها بعيدا عن خط السير المفروض . وبدل أن تتجمع كل القوى الاسلامية لمناضلة الاستعمار الصليبى انقسمت على نفسها لتكون ثورة عربية ضد الخلافة الاسلامية أى ثورة من المسلمين ضد أنفسهم .

وخلاصة ما يريد المؤلف تأكيده فى « مدخل » الكتاب ان العروبة تعنى الاسلام ، وأن الابتعاد بالعرب عن الاسلام معناه انفصال البناء عن أساسه ، وهذا ما يصرح به « موروبيرجر » استاذ الشرق الأدنى بجامعة برنستون الأمريكية حيث يقول فى كتابه « العالم العربى اليوم » :

« لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الاسلام ، ونفس الشىء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة فى أفريقيا » .

فالاسلام هو مبعث الفزع الاستعمارى من العرب ، وليس لأن عددهم مائة مليون ، ولا لأن البترول يتفجر تحت أقدامهم . فثمة شعوب أخرى قد تفوقنا فى ذلك ، ولكن ميزتنا أن

وفى الفصل الثانى يتحدث عن الخلاف الحضارى بيننا وبينهم ، وأبرز معالم هذا الفصل تأكيد ان حضارتنا تعنى الاسلام ، وأما الامتداد العربى او الفرعونى أو غيرهما قبل الاسلام فموقفنا منه لا يعدو حالة الاعتزاز ، أى دون أن يكون له أثر فى تنشيط وجودنا وتنميته . وبعد حديث طويل عن المواقف التى تتخذها منا الحضارة الغربية يلخص رايه فيقول :

« الحضارة الغربية لا زالت عند صليبيتها ، وقد ازدادت حدة هذه الصليبية فى السنوات الأخيرة مع خطر زوال امبراطوريتها فى أفريقيا .. » .

وفى مواجهة هذه الصليبية كان لابد أن ندرك وجودنا الحقيقى ، وهو أننا مصريون — عرب — مسلمون ، وأية محاولة للفصل بين هذه المكونات هى تمزيق للجسد وحكم عليه بالموت .

« الاسلام » رسالة حياة وتحرر وتأكيد وجود ، وهذا ما يخافونه .

وفى الفصل الأول يناقش « قضية الوجود » وجودنا نحن ويؤكد أننا « نرث الوجود لحظة ميلادنا فى عصر معين ، وفى نقطة معينة من خطوط الطول والعرض ، وأن كنا لا نملك اختيار الوجود فنحن أحرار فى تقويمه وتشكيله ، والانقسام داخله أو حتى التنكر له .. ولكننا نظل أبد الدهر نحمل بصماته » .

والمؤلف يريد من هذا تأكيد ان على الذين يظنون أن مجرد تشبيههم بالغرب فى المظاهر وفى أنماط السلوك يجعل منهم غربيين ... هؤلاء فى رأيه واهمون ، ومن الخير لهم أن يمارسوا خصائص وجودهم هم لا خصائص وجود غريب عليهم .

ويؤكد فى هذا الفصل مفهوم الفكرة المشهورة عن الشرق والغرب وانهما لن يلتقيا ، ويقدم الشواهد على الروح الصليبى الذى يقود النظرة الغربية الى الشرق وخاصة الى العرب والاسلام .

* * *

ونلاحظ فى الفصلين معا اعتزاز الكاتب بالثورة الجزائرية والاستشهاد بها كنموذج تطبيقى رائع للاسلامية التى استطاعت وحدها ان تصنع المعجزة وتحمى الجزائر من الطوفان ، وتعيدها



الى العروبة رغم نجاح الاستعمار الصليبى فى تحطيم الجسور بينها وبين العرب فى كل الوطن الكبير .

ويجىء دور النماذج التطبيقية للتبعية الفكرية فيقدم لها الدكتور مصطفى محمود وعبد الرحمن

الشرقاوى ، وغالى شكرى والدكتور لويس عوض .

ومع أن الدكتور لويس عوض كان آخر النماذج التى ساقها المؤلف فقد آثرت أن أبدأ به لأنه فى رأيى أخطر التابعين ، فقد كان يوما ما من اساتذة الجامعة الذين يملكون قوة التوجيه واتخاذ موقف الريادة أمام الشباب ، وهو اليوم بحكم الوضع الذى يحتله فى جريدة « الأهرام » يشرف على أفق فى منتهى الرحابة ويطل على الرأى العام من أعلى النوافذ . هذا الى أنه يختلف عن الآخرين فى أنه يريد أن يجعل الولاء للغرب شيئا مقننا مبنيا على نظريات ومبادىء .. كل هذا يجعل الدكتور لويس أشد من غيره خطرا وأجدر بالاهتمام .

وقد اختار المؤلف من أعمال الدكتور لويس مسرحية « الراهب » وبعض محاضرات له فى معهد الدراسات العربيةتحدث فيها عن «الجنرال يعقوب » ودوره مع الحملة الفرنسية .

ومنذ البداية يعلن المؤلف أنه لا يناقش المضمون الفنى للمسرحية ، وانما يناقش المضمون السياسى ، والمضمون السياسى للراهب مناقضة صريحة للاتجاه العربى المعاصر نحو الوحدة الشاملة ، بل انه ردة صريحة الى الاقليمية ، وتأكيد للانفصال .

فالدكتور يتحدث فى مسرحيته عن مصر المعاصرة ، مصر التى كان علمها أخضر وعليه نجوم وهلال . وفى الحوار الدائر بين « مارتا » و « آبانوفر » نسمع هذا القول :

مارتا : وهذا ما فعلت . خرجت الى حديقة القصر لأستريح هناك ، رقدت تحت شجرة التين ، وفى نومى رأيت العذراء فى رداء أخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟ .

آبانوفر : فى رداء أخضر ؟ .

مارتا : نعم : لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون كانت فى رداء أخضر ، وكان فى جبينها هلال عليه ثلاثة نجوم .

ماذا يريد الدكتور أن يقول ؟ والى اى مدى يوجه رمياته ؟ .

ان العروبة عندنا قبل الاقليمية ، والوحدة العربية قد جاوزت نطاق الأمانى واصبحت ارادة عمل ، ولن تنجح آلاف المسرحيات التى يكتبها الدكتور لويس أو من يدورون فى فلكه فى ثنى عنان التاريخ الى الوراء .

واذا كان الدكتور لويس قد اختار نكسة الانفصال بيئة زمنية يظهر فيها مسرحيته بردتها الاقليمية فليكن على ثقة انه كشف بيده عن المكان الذى يمكن أن تهب منه تيارات معاكسة .

واحب ـ مع مؤلف الكتاب ـ ان أؤكد للدكتور لويس أننا لا ننظر مطلقا الى العمل الأدبى من زاويته الضيقة التى ينظر منها اليه ، فالقضية فى رأينا ليست قضية عقيدة ، ولكنها قضية وجود ومصير . ولا بقاء لوجودنا المصرى الا بالعروبة والاسلام ، بل انه لا حفاظ على تراث الشهداء الأقباط فى مصر الا بالعروبة والاسلام . وهذه مسألة لا نبتكرها ، ولا نرددها كنظرية ، بل انها فطرة شعبنا التى اهتدى اليها وحده عندما أقبل على الاسلام وغير لغته ، وقرأ الانجيل بالعربية ، دون اراقة قطرة واحدة من دم .

والدكتور لويس سيد العارفين بكل هذا ، ولكن يبدو أن اعجابه الشديد بشخصية الجنرال الطريد يعقوب قد سول له أن يصبح هو الآخر جنرالا ، وينسى أو يتناسى بديهيات الواقع والتاريخ ، وينظر باستغراب الى اربعة عشر قرنا من تاريخ هذا الشعب وكأنها هباء .

وحديث الجنرال يعقوب والتفسيرات الغريبة التى أعطاها الدكتور لتصرفاته تلقى كل الشبهات على موقفه .

فالثابت تاريخيا ان الجنرال يعقوب كان خائنا وتابعا لسادته من الفرنسيين ، وانه كان مغرما شديد الغرام بهم الى حد الشذوذ وخاصة بالقائد « ديسيه » الذى طلب يعقوب أن يدفنوه معه عند موته .

هذا « اليعقوب » الشاذ يريد الدكتور لويس أن يجعل منه أول بطل نادى باستقلال مصر . وليقعد بالعافية محمد كريم وعمر مكرم واحمد المحروقى وفتوات الحسينية وابطال بولاق وكل

أحرار مصر الذين افتدوها وصانوا استقلالها بالمال والدماء . فكل هؤلاء عند الدكتور لويس لا قيمة لهم والبقاء فقط للجنرال يعقوب .

أى منطق هذا ؟ ومن أين هذه الاستنتاجات التى تناقض ما دونه الجبرتى عن هذا الرجل مثبتا تعاونه مع الفرنسيين ضد الشعب ولماذا تصر على أن تجعل منه بطلا .

التفسير الذى يراه المؤلف أن الدكتور لويس يرى ببساطة أن الحملة الفرنسية هى كل شىء فى حياة مصر بعثت القومية العربية واقامت الديموقراطية واحيت البلاد من العدم كنتيجة طبيعية للتبعية الفكرية التى لا ترى شيئا جديرا بالتمجيد الا اذا كان من الغرب أو من الشرق البعيد البعيد الذى ليس فيه عرب ولا عروبة ! .

ولعل أوضح الدلائل المؤكدة لاتجاه الدكتور لويس المقالان الأخيران له فى أهرام الجمعة عن « الخلاص بالموت » و « الخلاص بالحب » فى صدد الحديث عن ديوان الشاعر صلاح عبد الصبور .

فى مطلع المقال الأول مناقضة صريحة لاتجاه مجتمعنا المعاصر نحو البناء أو السد العالى معناها : « لا لا دعونا من كل هذا » .

كلام غريب . ندع كل هذا وبماذا يريدنا الدكتور أن نهتم ؟ .

بالخلاص بالموت ؟ بالخلاص بالحب ؟ بتمجيد السلبية والانطوائية وفكرة الهروب من الحياة والفرار الى الدير .

ان العقيدة الروحية التى يدين بها شعب مصر عقيدة حياة وبناء وايجابية وليس فيها من الانهزامية قليل أو كثير فاذا وجد لمجتمعنا من يتحمسون لفكرة الهروب الى الدير فهم لا شك مرضى بالولاء للماضى ولن تتعثر مواكب الحياة من أجلهم .

ومن حسن حظ شعبنا ان الذين يقودونه ويوجهونه اليوم ثوار صناع حياة وسدود عالية وزراع خضرة فى الرمال وليسوا أبدا ولن يكونوا من المتخلصين بالموت أو بالفرار الى الدير .

* * *

أما الدكتور مصطفى محمود فيتحدث عن الصدفة فى حياة الناس وعلاقتها بالتخطيط ويختار حكاية الكوليرا التى حدثت بمصر قبل حادثة القورين فيزعم أنها جاءت مع حاج طيب عاد الى بلده ومعه زجاجة من ماء زمزم حرص أهل القرية على اقتسامها ولما كانت لا تكفى فقد ألقى ماءها فى بئر القرية الذى شرب منه الجميع وكانت الحصيلة وفاة ثلاثة ملايين مصرى .

وايراد الحكايات أو حتى الحواديت بهذا الشكل لا يتفق والمنهج العلمى الذى يحاول التقدميون أن يلوحوا به فى وجه من ليس منهم لأن الكوليرا عرفت طريقها الينا مع الجيوش البريطانية القادمة من بلاد تركب الأفيال ولم تكن أبدا من ماء زمزم . نقول هذا خضوعا لأبسط مقتضيات المنطق فلو كان ماء زمزم ملوثا لكان من الضرورى انتشارها فى بلاد العالم الاسلامى بل بين الحجاج أنفسهم .

* * *

أما الناقد غالى شكرى فيخرج كتابا عن أزمة الجنس فى القصة العربية ويتناول فيه مسألة الطلاق وتعدد الزوجات — فى الاسلام بالطبع — على أنها مبعث الفساد فى الدنيا والآخرة وهذا كلام ظاهر التحيز لأن الزواج الأبدى اياه لم يكن عاصما من الفساد كما أن اباحة الطلاق وتعدد الزوجات مشروطة فى الاسلام بالضرورة القصوى التى تكاد تجعلهما محظورين كما هو معروف .

ومن عجب أن المجالس الملية الآن أصبحت تأخذ بمبدأ الطلاق وتبنيه على نفس الأسس التى بناه الاسلام عليها منذ أربعة عشر قرنا .

* * *

ونفس الكاتب نراه يسقط عمدا مع سبق الاصرار أربعة عشر قرنا من تاريخ مصر هى عمر الاسلام فيها ولا يعترف بها على نحو يجعل من واجب الناقد أن يرتفع عن مستوى مناقشته ريثما يملى على قلمه شيئا يمكن اخضاعه لمنطق العقل .

وعبد الرحمن الشرقاوى هو النموذج الثالث الذى سلكه المؤلف فى عداد الأتباع . واختار مؤلفيه « الأرض » و « جميلة » .

أما فى « الأرض » فلنا فيها وجهة نظر تخالف رأى المؤلف لأن الحديث عن « الماء والسكة الزراعية وما حدث حولهما ليس بعيدا عن الأرض ولكنه فى الواقع تصوير لعدوان أصحاب النفوذ فى الماضى على من لا نفوذ لهم ، وتصوير استماتة الفلاحين من أجل الأرض خاصة وأن النماذج التى عرضت كانت من صغار الملاك وليس فيهم أقطاعيون . وهى بهذا المفهوم تؤدى عملية تنشيط للوعى الاشتراكى عند القارىء وهذا فى ذاته عمل ضد الرجعية .

أما مسرحية « جميلة » فرأينا فيها مع المؤلف الذى وفق فى التنبيه الى سقطات خطرة كان من الضرورى تفاديها ولا سيما اللقطات التى تجمع بين الجزائرى والفرنسى فى مشاهد مجيدة تترك ظلالها فى النفوس. وتميّع الشعور بالكراهية ضد المعتدى ، ومن الضرورى أن يقدم الشرقاوى تفسيرا لها .

* * *

وبعد :

فمع تقديرى لأهمية القضايا الفكرية التى ناقشها الكاتب وتوفيقه فى عرضها فانى أحب أن أسأله أولا : كيف ترك لقلمه أن يخط على هذا الكتاب القيم كلمة الاهداء الغريبة التى تفاجىء عين القارىء كما تفاجئها بقعة الحبر على لوحة جميلة ؟ .

ومن هى — اسم الله عليها — تلك التى استحقت عيناها كل اهتمام المؤلف فيكتب لها فى صفحة كاملة برقية الاهداء الالكترونية «الى عينيها » .

لا ياسيد جلال .. نصيحتى عند اعادة طبع الكتاب أن تخبى عينيها بأى طريقة ولا داعى للحرج .

ثانيا : بعض الأحكام التى اتخذها المؤلف ضد بعض النماذج تحتاج منا الى توقف لا لأن الحكم خاطىء ولكن لأن الاستقراء غير تام .

فمثلا : موقف مصطفى محمود من حكاية الكوليرا خاطىء دون شك ، ولكن الخروج منه بالحكم على مصطفى بالتبعية الفكرية دون استقراء بقية أعماله ، وكذلك بالنسبة لغالى شكرى كل هذا يجعل القارىء قليل الاقتناع فى عدالة الحكم ، وهو ما يجب أن يبرأ منه جهد واضح كهذا الجهد .

أما الكلمة الأخيرة التى أقولها فهى دعوة المؤلف الى تقديم دراسات خاصة بكل نموذج من هذه النماذج وبغيرها لعله بذلك يستطيع ان يكفينا هذه الثغرة الخطرة .

ولو أمضى الأستاذ كشك بقية عمره فى هذا العمل فليكن على ثقة أنه يغادر دنيانا بقلب ملىء بالرضى بعد أن يترك وقع أقدامه على صفحة الزمن .

عبد الصبور مرزوق

◎ ◎ ◎

سطور من كتاب ...

« ما الذى تقدمه لنا الكواكب الأخرى كامتداد للحدود التى تلاشت الآن من الارض ؟ .. فى رأيى أنها لا تقدم الا أنواعا مختلفة من الجحيم ، تعتبر الحياة عند القطب الجنوبى أو فى وسط الصحراء الكبرى أو عند أعالى منحدرات جبل افرست جنة بالنسبة لها . ولا تنس ان ثلثى جسمك ماء ، وأنك تتبخر بسرعة ، وأن الضوء البنفسجى والاشعة الكونية تحطمك تحطيما » .

... بزوغ العقل البشرى

بطولة .. وبطل

تأليف
الدكتور أحمد محمد الحوفى

الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة
عدد الصفحات ١٥٧ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ١٨ قرشا



البطل فى حياته وبعد مماته مثل عال يرمقه قومه، ويشرئبون الى علاه ، ولقد يكون مرموقا من غير قومه ، لأن بطولته جديرة بالتقدير والاحتذاء .

وما الأبطال فى الأجيال المتلاحقة الا نور يهدى، ونار تحرق . نور يهدى الى المجد والعزة ، والى تقديس الواجب ، وفداء الحق والخير بالنفس والدم والمال والراحة ومتاع الحياة .

ونار تحرق الخور والضعف والاستسلام والاستخذاء والحواجز التى تحول بين البشرية والتقدم والعلاء .

وان دراسة الأبطال لغذاء للنفوس ، وتأريث للعزمات ، ومتعة للأرواح وتقدير لمعانى الرجولة والعظمة فى أسمى مظاهرها وان تاريخهم ليخلص تاريخ العالم ، فى أوجز صورة وأعظم مثال ..

هكذا يقول مؤلف الكتاب فى صفحة ٦٧ منه فى الفصل السادس تحت عنوان « أثر البطولة والأبطال » كما يطالعنا فى المقدمة بقوله « مصر اليوم تثب ، والعالم العربى ينتفض ، ولا يدفع الواثبين والمنتفضين الى الأمام أقوى من احيائهم سير أبطالهم ، وطموحهم الى أن يكونوا أبطالا مثلهم ، فانه لا شيء أنفع فى بعث العزائم من التذكير بالقدوة ، والاقتداء بالأسوة ، والاهتداء بعظمة الأجداد . وتاريخنا المصرى والعربى غنى بأنواع البطولة ، وبطولاتنا جديرة بأن نحييها ، ونعتز بها ونحاكيها ، فى هذا الوقت الذى نجاهد فيه أعاصير الاستعمار فرادى وجماعات ، ونسعى فى حماسة وعزم ومضاء وعمل دائب لننزل مكانا عليا فى صدارة العالم الحر » .

على ضوء هذه العقيدة قدم لنا الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى أستاذ الأدب العربى بكلية دار العلوم وهو من نعرف رحابة أفق وسعة ثقافة وصاحب مؤلفات كثيرة هادفة ومقالات غزيرة رائعة ذوات آثار جليلة فى شتى الميادين على اختلافها . قدم ضمن مؤلفاته كتاب « بطولة وبطل » موضوع هذا المقال وجعله قسمين : قسم خاص بالبطولة، وقسم خاص بالبطل .

وفى القسم الأول يقدم لنا فى ستة فصول دراسة منهجية مفصلة ومنظمة ووافية بالغرض عن حقيقة البطولة ، ودعائمها ، وأرقى أنواعها ، وصلتها بالعصر ، وأثرها فى حياة البشر ، وقيمة البطولة والابطال مؤيدا كلامه دائما بعرض الأمثلة الحية من تاريخنا ليجعل الفكرة موصولة بالأعمال

كما آثر فى عرض هذه الأمثال أن يتدرج من البعيد الى القريب ليظهر التدرج مع الأعصار كما يتدرج النهر الدافق من المنبع الى المصب .

وفى القسم الثانى يحدثنا فى خمسة فصول عن الرئيس البطل جمال عبد الناصر وسيرته وأعماله ودعائم بطولته معتمدا على التحليل والتطبيق فى ايجاز يكتفى باللمحة عن التطويل ، وبالاشارة عن التفصيل •

فى الفصل الأول من القسم الأول يتناول الكتاب بالشرح والتحليل حقيقة البطولة وأنواعها مستعينا فى تعريفها بالقواميس العربية وغير العربية ، وموضحا أن البطولة كما تكون فى ميدان الحرب تكون فى مجال السلام • بل يذهب المؤلف الى أبعد من هذا ، فيرى أن بعض البطولات أحق بالتمجيد والاكبار من بطولة الحرب والقتال حيث يقول فى ص ٩ « لأن بطولة الحرب قد تكون فى العدوان الغادر ، لا فى الدفاع المشروع ، وقد تكون وليدة الظروف ، والملابسات أو التكليف والاضطرار ، أما البطولات الأخرى فهى وليدة الاختيار أو هى استجابة للفطرة الخاصة والأخلاق المتميزة ، والتفوق على الناس » •

كما يقدم لنا حديثا علميا عن العلاقة بين البطولة والشجاعة ، وبينها وبين العظمة والعبقرية مبينا معنى العبقرية فى العربية واللاتينية والفرنسية والانجليزية •

وفى بيان جلى يشرح فى الفصل الثانى دعائم البطولة التى منها فيض الحيوية ، وقوة العقيدة موضحا معنى العقيدة وأثرها وكيف أنها من أقوى أسس البطولة •

وفى جزء مستقل من هذا الفصل يحدثنا عن الشجاعة ويبين « من الشجاع » ؟ وهل الشجاعة غريزة تظهرها الحوادث من غير انتظار•

كما لا ينسى المؤلف أثناء كلامه عن كل دعائم البطولة أن يعرض أمامنا أمثلة حية وصورا مختلفة لأبطال اتصفوا بهذه الدعائم منهم الأنبياء والخلفاء والقادة والزعماء ودعاة الاصلاح بأنواعه ، وكيف كان أثر هذه الدعائم فى سلوكهم مما حدا بالتاريخ لأن يخلد ذكراهم ويتغنى بمجدهم الذى لا يبلى ويتخذ منهم أسوة حسنة لمن يريد العزة والمجد •

والكاتب فى زحمة حديثه عن دعائم البطولة يحدثنا حديثا عجبا عن الرحمة باعتبارها من سمات البطولة الحقة حيث يقول فى ص ٣٦ « ليس البطل الصارم الشجاع أسدا فراسا لا يحتكم لغير غريزته ومخالبه وأنيابه انما البطل انسان، وهو انسان أقرب الى الكمال ، فلا تناقض بين بطولته وبين أن يكون رحيم القلب عطوفا على الضعفاء ، رفيقا فى معاملة الناس ، حساسا بآلام المحزونين والبائسين • نعم لا تناقض ؛ لأن القلب الكبير العظيم يتسع للشجاعة والبأس ، وللعزيمة والمضاء ، ويتسع معها للرحمة والعطف والحنان وغيرها من عواطف البر والاخاء » •

وأظن أن هذا كلام لا يختلف فى صحته اثنان • فها هو القرآن الكريم بوصفه كلام القوى العزيز عندما يصف الرسول وأصحابه بالقسوة والشدة على الكفار يقرن ذلك بوصفهم بالرحمة فيما بينهم « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم (١) » والكتاب زاخر بالشواهد على ذلك من سيرة الرسول وأصحابه وبعض القواد والزعماء فى المواقف المختلفة •

كما يتكلم بعد ذلك عن مضاء العزيمة والاعتداد بالنفس كلاما تطمئن اليه القلوب وترتاح له نفس القارىء • فبعد أن عرف العزيمة أشار الى معوقاتها ووضح من أين تأتى قوة العزيمة وأثرها مؤيدا كلامه بأمثلة من عزائم الأبطال •

كذلك أبان أن من سمات البطل اعتداده بنفسه واعتزازه ببطولته موضحا الفرق بين الاعتداد والغرور حيث يقول فى ص ٤٨ « لأن الغرور قائم على الادعاء وعلى المبالغة فى المزايا : فهو لون من الكذب والخداع والرياء • أما الاعتداد فأساسه الثقة بالمزايا المحققة فى البطل مع بعده عن التزييف والخداع ، وبعده عن الرغبة فى كسب الشهرة بين الأتباع وغير الأتباع •

وينتقل بنا المؤلف فى رفق وهدوء ليحدثنا حديثا علميا مدعما بالبراهين تحت عنوان «البطولة خلق» موضحا الفرق بين الحاجة والرغبة ، وكيف أن الحاجة كثيرا ما تكون من خصائص الحيوان ، أما الرغبة دائما تكون من خصائص الانسان ، ومظهرها هو الخلق ، معرجا على تصارع الرغبات

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح •

لـــدى البطل وكيف أن البطل الحق لا يطيع الا الواجب •

كما يتكلم فى الفصل الرابع عن « البطولة المثلى » وكيف أنها لا تتعلق الا بالغايات العظيمة، وأنها مبرأة من الانانية •

وفى الفصل الخامس يحدثنا تحت عنوان « البطولة والعصر » وهل البطل ثمرة عصره ؟ ويعرض أمامنا آراء لبعض المفكرين حول علاقـــة البطل بعصره وبيئته ، ويناقش هـــذه الآراء ليخرج منها بأن العصر مشجع لا موجد •

***

واذا كان الغرض الأسمى من دراسة تاريخ الأبطال والعظماء هو الاقتداء بهم فيما يقولون ويفعلون • فليس هناك أجدى لمحـــاربة الوهن واشعال الحماس فى نفوس أبناء جيلنا الحاضر من دراسة تلك البطولة الفذة ، وهذه الشجاعة النادرة ، والعظمة الحقة ممثلة فى شخص الزعيم البطل « جمال عبد الناصر » وكيف لا وعبد الناصر لم يعد الآن — بفضل ما اتصف به — زعيم العروبة فقط ، ولا زعيم افريقيا فحسب ، بل أصبح زعيما عالميا تخطب الدنيا كلها وده ، وتتسابق الحكومات على اختلافها فى التعاون معه •

ولهذا يوافينا المؤلف فى القسم الثانى من الكتاب بدراسة هادفة شافية — على قصرها — فى عرض رائع جذاب عن حياة البطل عبد الناصر وسيرته وأعماله مبتدئا بحديثه فى الفصل الاول عن « طلائع حياته » من حيث مولده بالاسكندرية ونشأة أسرته الصعيدية فى قرية بنى مر مديرية أسيوط •

وفى لباقة يحاول المؤلف أن يربط بين مولده الاسكندرى ، وأصله الصعيدى فيقول فى ص ٧٣ « كأنما أراد القدر أن يرمز بذلك الى أنه منح مصر بطلها الذى يرد اليها مجدها ، ويحقق أملها وكأنما أراد القدر أيضا أن يسوى فى الفخر بجمال بين شمالى مصر وجنوبيها ، فها هنا المولد ومدرج الطفولة ، وهناك الأصل والأهل والعشيرة •

ويستطرد المؤلف يوضح كيف أن جمال تعلم مع أبناء الشعب فى المدرسة الأولية والابتدائية والثانوية وبضـــعة أشهر فى كلية الحقوق . ثم فى الكلية الحربية • وقد علمه والده من كده وكدحه حيث لم يكن من ذوى الثراء ، ولا من ذوى الجاه ! فجمال بطل نشأ من الشعب وتربى فى الشعب وعاش مع الشعب •

وحديث مؤلف الكتاب عن عبد الناصر حديث الانسان الصادق الأمين ، خصوصا فى مرحـــلة التعليم ، فقد التقى به مرات ومرات حيث كان كل منهما ممثلا لمدرسته وعضوا فى لجنة الطلبـــــة التنفيذية العليا •

يقول المؤلف عن جمال فى ص ٧٦ (٠٠ على أن جمال عبد الناصر لم يكن فى سنة ١٩٣٥ طالبا يمثل مدرسته فى لجنة الطلبة فحسب : بل كان طالبا ثائرا يلدغه الخزى من حال مصر وضعف رجالها ، ويتشوق فى حماسة وحرارة الى العمل المثمر المجدى) •

والكتاب فى جل كلامه عن عبد الناصر يستدل بما شاهده المؤلف نفسه ، وبما سمعه وطالعه من خطب عبد الناصر النابضة بالبطولة والحيوية فى المؤتمرات وفى المناسبات المختلفة • كمـــا يستشهد أيضا بما قرأه المؤلف — عن وعى — من كلام عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة والميثاق فى أبوابه المختلفة محللا ومطبقا •

وفى الفصل الثانى من القسم الثانى يحدثنا المؤلف عن جمال « الضابط الثائر » عقب تخرجه فى الكلية الحربية ونفسه تضيق بالآمال الكبيرة التى يريد أن يحققها لبلاده ، ولكنه لا يستطيع وهو ضابط صغير ، يتجلى هذا الضيق فى رسائله التى كان يكتبها الى أصـــدقائه من منقبـــاد أو السودان ، والكتاب زاخر بنماذج من هذه الرسائل فى ص ٧٨ ، ص ٧٩ •

وفى الفصل الثالث يتكلم عن جمال « القائد البطل » بعد تخرجـــه فى كليـــة أركان حرب سنـــة ١٩٤٨ حيث كان ينتظره الوطن العربى الكبير ليذود عنه فى ميـــدان الحرب ما دبر المستعمرون له من كيد ، كما يبين كيف أن جمال البطل رأى أن بقاءه كمدرس بالكلية لا يمكنـــه من البلاء فى الميدان ، فاستقال ليتطوع فى الكفاح

مع الفدائيين · لكن استقالته لم تقبل ، وعاود الكرة فلم يجب طلبه · ثم تحقق له ما أراد فأرسل الى فلسطين أركان حرب للكتيبة السادسة ، وهنالك أثبت أنه محارب من طراز ممتاز وأنه فدائى باع نفسه فى سبيل الله والوطن والعروبة.

وان تعجب فعجب لحديث المؤلف فى الفصل الرابع عن مظاهر بطولة عبد الناصر فى الثورة الكبرى ، وكيف كان أثناء مقامه بفلسطين يرسم الخطط لتخليص بلاده من أوهاق الاستعمار ، وجرائر الاقطاع ، ومخازى الحكم ، وسيطرة الأثرياء والمستغلين على الحكم والحكام ، كما يأخذ الكتاب بعد ذلك فى تصوير جراة عبد الناصر المنقطعة النظير ، وبطولته التى لم نكن نسمع عنها – قبل عبد الناصر – الا فى الأساطير؛ بطولته فى تنفيذ مارسمه بفلسطين هو وزملاؤه الأوفياء · معتمدين على أعظم قوتين وهما الجيش والشعب · حتى تم لهم ما أرادوا ونجحت الثورة·

ثم يوضح الكتاب فى هذا الفصل موقف عبد الناصر من حصون الاستعمار حين رأى أن حصنه الأول هو الملكية فقوضها ، واتجه الى حصنه الثانى الممثل فى الأحزاب فألغاها ، وتقدم الى حصنه الثالث فمحا الأقطاع · حتى يكفل للشعب الكادح الخلاص من أصفاده · كما وجه الحملات الى حصون الاستعمار الأخرى من خوف وضعف وخنوع وفرقة وركود فى الاصلاح والأعمال فضربها ضربات جريئة حاسمة ، وأخيرا فرغ للاستعمار نفسه، وكان يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ يوم النصر الذى تشوقت اليه مصر ·

وفى نهاية هذا الفصل يحدثنا الكتاب عن بطولة عبد الناصر فى الوحدة العربية ، ومناصرة العرب الثائرين ، وفى تكوين جبهة أفريقية آسيوية ، وتجميع قوى العالم ضد الاستعمار ، وشجاعته الخارقة فى تأميم القناة ، وصلابة عوده فى الحرب الغادرة ·

وفى الفصل الخامس والأخير يحدثنا فى تصوير بديع لبطولة عبد الناصر على ضوء المقاييس التى سلفت فى القسم الأول من الكتاب عن البطولة ودعائمها ، ويوضح كيف أن عبد الناصر بطل فيما يقول ، وفيما يعتزم ، وفيما يعمل : ثم يختتم الكتاب بهذه العبارات الصادقة « هذا **البطل » ! صاغه القدر على مهل ؛ وصنعه من طبيعة مصر والعرب ؛ انه الثمرة الناضجة لجهاد عمر مكرم ، وأحمد عرابى ، ومصطفى كامل ؛ ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، انه الشعلة المتوهجة من جذوات الجهاد التى أوقدها الشعب منذ ثوراته على الحملة الفرنسية حتى ثورة سنة ١٩٣٥، انه اليد الأمينة القوية التى تسلمت العلم من سابقيه ، وانها لترفعه اليوم عاليا خفاقا فى عنان السماء ·**

والخلاصة أن الكتاب يعتبر بحق احدى روائع المؤلف التى يوافينا بها من وقت لآخر · فهو كتاب قيم وزاخر بالشواهد الحية فى كل فصل من فصوله المتعددة فى حين أنه مستقيم الخطة ، ويتسم بسهولة الألفاظ وسلاسة الأساليب ، يتيسر فهمه لجميع المستويات على اختلافها ·

هذا وليس فى كل ما تضمنه المقال غناء عن الكتاب نفسه ، فحتى أحيل القارىء الى الكتاب أتوجه الى الأستاذ المؤلف بالشكر والثناء والتقدير ·

السيد عيسى

أخبار الكتاب العربي في العالم

افتتح الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى معرض الأسبوع الثانى للكتاب العربى الذى أقيم بالقاهرة فى اليوم التاسع من شهر نوفمبر الماضى ، واشتركت فيه ٥٧ هيئة ودارا للنشر فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبعض الدول العربية منها ٢٥ دار نشر من القطاعين العام والخاص ، و ١١ هيئة حكومية ، و ٨ هيئات علمية ، ثم ١٣ دار نشر من ست دول عربية . فكان ذلك دلالة قوية من دلالات الوحدة الفكرية التى تلتقى فيها جميع الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية لتتكون منها ثقافةعربية أصيلة جديرة بالأمانة العربية كما يقول الدكتور حاتم .

● منذ أن احتفل بالذكرى الألفية لفيلسوف الاسلام الأكبر الرئيس ابن سينا والجهود مبذولة فى نشر كتابه الكبير « **الشفاء** » محققا تحقيقا علميا على يد طائفة من الأساتذة الأجلاء من أمثال الدكتور ابراهيم مدكور والدكتور أحمد فؤاد الأهوانى والأب جورج قنواتى والأستاذ زكريا يوسف والدكتور محمود أحمد الحفنى والأستاذين سليمان دنيا وسعيد زايد ثم المرحومين الدكتور محمد يوسف موسى والأستاذ محمود محمد الخضيرى . وكتاب « **الشفاء** » يعد منقطع النظير بين الكتب الفلسفية من حيث الشمول ، فهو ينقسم الى اربع جمل رئيسية : **المنطق** ، والطبيعيات ، والرياضيات **والالهيات** . وتحت كل جملة من هذه الجمل الأربع : فنون ، وتحت كل فن : مقالات ، وكل مقالة : فصول . ويشتمل هذا كله على دراسات متنوعة وعلوم متعددة .

وقد بدىء منذ سنة ١٩٥٢ بنشر طائفة من أجزاء هذا الكتاب ، وتولت نشره فى أول الأمر وزارة المعارف ، ثم قامت بعد ذلك على نشره وزارة الثقافة والارشاد .

وقد نشر أخيرا جزء منه عنوانه « **القياس** » بتحقيق الأستاذ سعيد زايد ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور .

ويطبع الآن جزء آخر منه عنوانه « **الجدل** » بتحقيق الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى .

● ظهر أخيرا الجزء الثانى عشر من كتاب « **المغنى فى أبواب التوحيد والعدل** » للقاضى ابى الحسن عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ . الذى تنشره الدار المصرية للتأليف والترجمة فى سلسلة « تراثنا » باشراف الأستاذ الدكتور طه حسين . وعنوان هذا الجزء « **النظر والمعارف** » تحقيق الدكتور ابراهيم مدكور .

وقد صدر من أجزاء هذا الكتاب الكبير غير هذا الجزء ستة اجزاء ، هى :

القسم الأول من الجزء السادس وعنوانه « **التعديل والتجوير** » بتحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، والقسم الثانى منه وعنوانه « **الارادة** » بتحقيق الأب ج . ش . قنواتى . والجزء السابع وعنوانه « **خلق القرآن** » بتحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى . والجزء الثالث عشر وعنوانه « **اللطف** » بتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى . والجزء السادس عشر وعنوانه « **اعجاز القرآن** » بتحقيق الأستاذ أمين الخولى . والجزء السابع عشر وعنوانه « **الشرعيات** » بتحقيق الأستاذ الخولى أيضا .

وما زالت الدار المصرية للتأليف والترجمة توالى نشر باقى أجزاء هذا الكتاب .

● نشر المجمع العلمى المصرى للدكتور مراد كامل عضو هذا المجمع وعضو مجمع اللغة العربية رسالة باللغتين : العربية والألمانية ، عنوانها « **نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحبشية** » . وقد حفزه الى القيام بهذا البحث فى صيغ الفعل الرباعى ما يلاحظ عند الناطقين

بالعربيـــة ممن يتحـدثون بلهجة من لهجاتها ، ويستخدمون اللغة الفصحى فى التعبير بالاضافة الى اللهجة العربية أن المتكلم بلهجة من اللهجات العربيـــة تشيع فى حـديثه كثرة ملحوظة من الأفعال الرباعية ، فاذا أراد ان يعبر عن افكاره باللغـــة الفصحى تحاشى ان يستخدم الفعل الرباعى ، وفضل أن يلجأ الى الفعل الثلاثى ليؤدى به العبارة التى يريدها .

وقد حاول الدكتور مراد فى بحثه هذا أن يحدد الصيغ المختلفة فى اللغـــات السامية الحية التى تبين نشـــأتها . ومن الملاحظ أن نشأة الفعل الرباعى فى تلك اللغـــات مشتركة فى قيامها على الثلاثية وكذلك على الثنائية ، وهذا فى حدود كل لغة بذاتها .

● وقد نشر معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية للدكتور مراد كامل كتابا عنوانه « **دلالة الألفـــاظ العربية وتطورها** » . وهو مجموعة محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بهذا المعهد ، تكلم فيه عن اللغة المكتوبة ، وعن تاريخ علم اللغة ، وتقدم اللغـــة وتطورها ، وعن طبيعة الألفاظ ، وتاريخ الألفاظ فى العربيـــة فى العصور المختلفة حتى الحقبة الأخيرة . وعقد الفصل الأخير على احصاء الألفاظ فى العربية للوصول عن طريقه الى وضع لغة عربيـــة فصحى بسيطة حتى تقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية ويتسع انتشارها .

● نشرت الشركة العربيـــة للطباعة والنشر بالقـــاهرة كتاب « **الحلة السيراء** » لأبى عبـــد الله محمد بن عبـــد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار ، والذى تولى الكتابة لأمراء الموحدين فى الأندلس ثم لسلطان أفريقية ، والمتوفى سنـــة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) . وقد حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة ومدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد .

وقد ضم الجزء الأول من هـــذا الكتاب من تراجم رجال المغرب أهل المئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة للهجرة . وضم الجزء الثانى تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ومن لم يؤثر عنهم شعر .

● وقد نشرت الشركة العربية أيضا للدكتور حسين مؤنس كتـــاب « **رحلة الأندلس : حديث الفردوس الموعود** » . وهى رحـــلة بين ملاحم التاريخ ومعالم الحضارة العربية التى ازدهرت فى ظل حـــكم العرب لاسبانيا . ويتحدث الدكتور مؤنس فى الفصول الأربعـــة عشر التى ضـــمها الكتاب التى تبدأ من الطريق الى الأندلس وتنتهى بخاتمة المطاف فى البرتغـــال حديث عربى يعيش فى القرن العشرين بين هـــذه الحضارة الخالدة التى خلفها أجداده فى تلك الربوع ، حديث التأمل والاعتبار .

● نشرت دار احيـــاء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) الطبعة الرابعة من كتاب « **حضـــارة العرب** » تأليف الدكتور غوستاف لوبون الذى نقـــله الى العربية المرحوم الأستاذ عادل زعيتر . وقد حاول المؤلف فى هذا الكتاب بعث حضارة العرب من مرقدها واظهارها للملأ على وجهها الصحيح ، وبحث فيه فى طبائع العرب وعاداتهم ونظمهم فى مختلف الأقطار كما كانت عليه فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

وهذا الكتاب علاوة على المادة الغزيرة التى يضمها بين صفحاته التى تتجاوز ٦٥٠ صفحة يشتمل على ١٠ لوحات و ٤ خرائط و ٣٦٣ صورة وفق تصوير المؤلف الفوتوغرافى ووفق أصح الوثائق .

● أعادت دار المعـــارف طبع كتاب « **اعجاز القرآن** » لأبى بكر محمـــد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٥٣ هـ . بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، وذلك فى سلسلة « **ذخائر العرب** » بعد أن نفدت طبعته الأولى .

وهذا الكتاب من أشهر مؤلفات الباقلانى ، وفى مقدمة الكتب التى ألفت فى موضوعه .

● من آثار المرحوم محمـــد السباعى نشرت الشركة العربية للطباعة والنشر أربعة كتب هى : « **خواطر فى الحياة والأدب** » و « **مشاعر وأفكار** » و « **السمر** » و « **الصور** » . ولعل هـــذه الدار تفـــكر فى اعادة طبع كتاب « **الأبطـــال** » لكارليل الذى ترجمه السباعى .

● نشرت دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) كتاب « **أصول الدين** » لأبى اليسر محمد البزدوى المتوفى سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ م) الذى حققه وقدم له المستشرق الألمانى الدكتور هانز لنس . وهذا الكتاب كان الرسالة التى تقدم بها الدكتور هانز لنس مشفوعة بنقد للحصول على الدكتوراه . وقد نشر هذا الكتاب عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة ديل بأنقرة .

● نشرت « الدار القومية للطباعة والنشر » بمناسبة انقضاء ثمانى سنوات على الاعتداء الثلاثى الغادر كتابا فى سلسلة « كتب قومية » عنوانه «**العدوان الثلاثى والضمير العالمى**» تأليف الأستاذ وفيق عبد العزيز فهمى ، وهو الى جانب العرض التاريخى للحقبة التى سبقت هذا العدوان والأحداث التى لازمته وترتبت عليه ، فهو تقييم للأثر الكبير الذى نشأ عن هذا العدوان الآثم ، فقد هز هذا العدوان ضمير العالم وايقظ شعوره فهبت شعوب الأرض تستنكر هذا العدوان ، ويقول مؤلف الكتاب أن كتابه محاولة عربية صميمة لاستكشاف حقيقة الدور الرائع الذى قامت به شعوب العالم فى مواجهة هذا العدوان ، ومحاولة لفهم ماهية الضمير العالمى وقوة أثره فى تصريف الشئون الدولية .

● ظهر فى موسكو **معجم روسى - عربى** قام بوضعه المستشرق الروسى شرباتوف ، ويحتوى على ١٦ ألف كلمة مع ملحق خاص عن الأصوات والنحو فى اللغة الروسية .

● وطبع فى القاهرة **معجم ألمانى - عربى** يضم ٦٠ ألف كلمة استخدم فيها المعانى المختلفة للفظة الألمانية . وقد وضع هذا المعجم المهندس وديع فانوس وراجعه الدكتور مراد كامل .

● فرغت الكاتبة المعروفة السيدة وداد سكاكينى فى دمشق من بحثين قدمتهما للنشر ، أحدهما عن الكاتبة « **مى** » والآخر عن « **قاسم امين** » .

● من الكتب التى قامت بنشرها اخيرا وزارة الثقافة والارشاد القومى فى سوريا المؤلفات الآتية :

« آثار **احمد شاكر الكرمى** » التى جمعها عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) ، و « **النفط فى الجزائر : تطوره ومشاكله** » تأليف محمد صابر ، و « **قصة الذرة** » تأليف وجيه السمان ، ورواية « **من الذى يذكر البحر** » تأليف الأديب الجزائرى محمد ديب وتعريب فريد أنطانيوس ، ومسرحية « **اليهودى المالطى** » تأليف كريستوفر مارلو وتعريب عبد الرحمن نصر ، ثم « **الأزمنة والأنواء** » بتحقيق الدكتور عزة حسن .

وتعد هذه الوزارة للنشر أربعة كتب ، هى :

« **عصارة الأيام** » تأليف سومرست موم وتعريب حسام الخطيب ، و « **الحياة العسكرية عند العرب** » تأليف احسان الهندى ، و « **الثورة الجزائرية والقانون** » تأليف محمد بجاوى وتعريب على الخشن ، ثم « **البترول عامل وحدة وانماء فى العالم العربى** » تأليف الدكتور نقولا سركيس .

● نشر المجمع العلمى العربى بدمشق كتاب « **الابدال والمعاقبة والنظائر** » تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد حققه وقدم له الأستاذ عز الدين التنوخى عضو هذا المجمع عن نسخة نادرة فى احدى مكتبات الآستانة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وقد قال الأستاذ المحقق أن فى كتاب الزجاجى - على ايجازه - من حروف الابدال ما ليس فى غيره . وكان الأستاذ التنوخى قد حقق لأبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى كتابه « **الابدال** » ، وهو كتاب ضخم فى مجلدين أشرنا اليه فى هذا الباب من العدد السابق من مجلة « الكتاب العربى » .

● كما نشر المجمع العلمى العربى بدمشق أيضا الجزء الثالث من كتاب « **خريدة القصر وجريدة العصر** » (**قسم شعراء الشام**) للعماد الأصفهانى الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وقد حققه كما حقق الجزءين الأول والثانى منه الدكتور شكرى فيصل .

وتعتبر الخريدة من خير كتب العماد انفق فى جمعها فترة طويلة من حياته ، واستعان عليها بأسفاره وصلاته ومكانته من السلطان ، فلقى

العـــدد الكبير من العلماء والمحدثين والرواة ، ووقف على كثير من الدواوين الشعرية واتصل بكثير من شعراء عصره وسمع منهم وكتبوا له واستكتبهم ، هذا الى أن الخريدة تجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب وقسمها الى أربعة اقسام : الأول قسم العراق ، والثانى العجم وفارس وخراســـان ، والثالث الشـــام ، والرابع مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس .

وقد نشر المرحـــوم الدكتور أحمـــد أمين والدكتوران شوقى ضيف واحسان عباس القسم الخاص **بشعراء مصر** سنة ١٩٥٢ فى جزءين . ونشر المجمع العلمى العـــراقى الجـــزء الأول من **قسم شـــعراء العراق** بتحقيق الأستاذ محمد بهجـــة الأثرى عضو المجمع العامى العـــراقى سنة ١٩٥٥ .

● من بين **المشروع** الثقـــــافى الـكبير الذى اضطلعت به مـكتبة المثنى ببغـــداد ، وهو اعادة طبع نوادر الـكتب العربيـــة ونفائسها التى قام المستشرقون بنشرها منذ أكثر من قرن مضى ، وذلك بطبعها مصـــورة بالأوفست عن نسخها الأصـــلية ، نشرت أخيرا « **شرح ديوان المتنبى** » لأبى الحسن على بن أحمـــد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ عن الطبعـــة التى نشرها فى برلين ســـنة ١٨٦٠ م المستشرق الألمـــانى فريدرخ ديتريشى .

ويعتبر هذا الشرح مع شرح العكبرى لديوان المتنبى أوفى ما نشر من شروح لشعر هذا الشاعر الكبير .

● يعيد الشاعر العراقى الأستاذ هلال ناجى طبع كتـــابه « **الاشتراكية والقوميـــة فى شعر الرصافى** » طبعه مزيدة .

كما ينشر كتابا آخر عن **الشعر فى اليمن** .

● ويطبع الآن الأديب العراقى خضر عبـــاس الصالحى ديوانه « **صراع العواطف** » ومجموعة تضم عشرين أقصوصة من تاليفه .

● ونشرت دار الكاتب العربى ببيروت للأديب العراقى الدكتور محمـــــد يحيى الهاشمى كتاب « **المثل الأعلى للحضارة العربية** » . وهو دراسة تقييمية لأصول هذه الحضارة .

● كما نشرت دار الكاتب العربى بالاشتراك مع مؤســـــسة فرانكلين ببيـــروت كتـــــاب « **روائع التراجيديا فى أدب الغرب** » جمعهـــا وقدم لهـــا الكاتب الناقد الأمريكى كلينث بروكس ، وترجمها الدكتور محمود السمرة الذى يعمـــل الآن نائبا لرئيس تحرير مجلة « العربى » التى تصدر فى الكويت ، وراجعه الأستاذ معاوية الدرهلى .

● نشرت المـكتبة العصرية ببيـــروت كتـــاب « **دراسة الانسان** » تأليف رالف لنتون وترجمة عبد الملك الناشف . وقد قال مؤلفه ان الدافع الرئيسى لتأليفه هو الصعوبات التى واجهها أثناء بحثه عن كتاب يعـــالج من الموضوعات ما يكفى لتزويد المبتدئين بالمبادىء العامة الأساسية لعلم الانثربولوجيا (علم الانسان) .

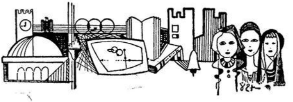
● وقد صدر فى بيروت كتاب جديد للأستاذ فاضل سعيد عنوانه « **الفولكلور اللبنانى فى هيكل القوميـــة والفن** » تناول فيه نشأة الفولكلور فى لبنان وتطوره فى السنوات الأخيرة ، وما يؤخذ على القائمين بأمره ، والصـــدى الذى يلقاه فى البلاد الأخرى .

● نشرت دار الحضـــــارة فى بيروت ملحمة شعرية عنوانها « **قرطاجة** » للأستاذ شكر الله الجر وهو من الشعراء المهجريين الأفذاذ الذين عاشوا فى البرازيل ، وقد أسس هناك مجلة عربية رصينة اسمها « الأندلس الجديدة » .

● ويصـــــدر عن المكتبة العصرية فى بيروت ديوان جـــديد عنوانه « **الأبواب المغلقة** » للأستاذ يوسف غصوب الذى نشر منذ سنوات بعيدة ديوانى «**العوسجة الملتهبة**» و « **القفص المهجور** » فى طبعة أنيقة .

● ويظهر فى بيروت أيضا كتاب جديد للدكتور على شـــــلق عنـــوانه « **أبو نواس بين التخطى والالتزام** » . وقد صـــــدر هذا الكتاب بمقدمة للأستاذ فؤاد افرام البستانى .

تعريفات



مشـــوار طويـــل

تاليف : عبد المعطى المسيرى
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ ٩٢ صفحة ـ ١٤×٢٠ . ث ٧ قروش

كانت للعدوان الثلاثى الذى بدأ فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ آثار عميقة فى مجرى الحياة الفكرية والثقافيـــة ، التى نعيشها اليوم • وهذا الكتاب مستوف فى مجمـــله ما تبقى فى ذكريات الشعب عن تلك الأيام العصيبة من تاريخه ، وما أداه فيها من بطولات ، تشهد باصالته وبالمتانة فى وعيه القومى ، وفى تصميمه على أن يحيا حياة حرة كريمة .

والكتاب مجموعة من القصص ، بها لمحات عديدة من حياة المؤلف ، وما مر به من تجارب بعضها يرجع الى أيام طفولته ، والبعض الآخر يرجع الى ابان شـــبابه الأول ، والمشاق التى واجهها على مدى السنين . ثم يأتى العدوان فتسجله القصة الأولى من الكتاب ، ويوحى له هذا بأن ينتقل بنا عبر الزمن الى أيام « التل الكبير » فى « مشوار طويل » ، ونسمع منه ما جرى من غدر وخيانة على لسان أبطاله ، فالمبخراتى يرش بخوره على موقد نار ، وبصوت فيه نغمة حلوة يقول :

ـ النبى سعيد .. ويحب عبيد !! يا حارس يا أمين ! احمينا من الخنافس والتعابين .. ومن الضلالى البـــاب العالى .. يا عزيز ع الانجليز ، وعلى توفيق أبو عقل خفيف

.. وعلى هذا النحو يستمر المؤلف فى بقيـــة قصصه الوطنية وفى تمثيلية من فصل واحد ومنظرين •

واذا كان المؤلف قد أطلق اسم قصته « مشوار طويل » على المجموعة القصصية كلها ، فان قصة « يا نصيب » تعد أحسن قصص المجموعة كلها . وكم كان أجدر به أن يجعل من اسمها عنوانا لكتابه .

والقصة تدور فى بيت أسرة فقيرة ، اشتغلت ابنتها ببيع أوراق اليانصيب وذات يوم فقدت هذه الأوراق ، واضطرت لأن تبيت خارج المنزل خوفا من العقـــاب • وفى اليوم التالى ذهبت سكينة ـ وهذا اسمها ـ الى بيتها ، وكان أهلها قد خرجوا كل الى عمله ، فأخذت بعض نقود كانت أمها تدخرها ، واشترت يا نصيبا واستطاعت أن تبيع كل ما لديها ، لولا أنها خشيت من العودة الى البيت ، فلم تجد الا أن تهرب الى الاسكندرية ، وهناك تضاعفت أرباحها وتهيأ لها أن تحيا حياة سعيدة .

ومر عام وكبرت سكينة ، وتطلعت اليها العيون ، بعضها فى طيبة ، والبعض الآخر فى غدر .. وسقطت سكينة .. ورجعت الى القاهرة ، ووجدت الترحيب من أبيها وأمها . وهو غير ما كانت تتوقع . ولكن ضميرها كان يؤنبها ، ويقلق عليها راحتها « وبذلك ظلت سكينة طريدة للذل والرعب ، لا تصبح الا على لوعة ، ولا تمسى الا على حسرة ، ضائعة بين الضمير والخوف . وعاودتها فكرة الهرب ، لتتقى نظرات والديها ، ولكن أى هرب ينقذها من ضميرها » .

لم تهرب سكينة .. ماتت .. ألقت بنفسها فى النهر ، واكتشفت الشرطة ما جرى ، وتبين أنها فرطت فى عفتها ، وقبض على أبيها ، ووجهت اليه تهمة قتل ابنته . وعندما عرف حماد ما جرى لها ، والحالة التى وجدت عليها ، لم يجد الا أن يقول ، ويدوى صوته فى أرجاء الحكمة .

ـ نعم أنا الذى أغرقتها .

جملة القول أن هذا عمل أدبى طيب ، ولكن به اسرافا فى الجمل الخطابية ، كما أن المؤلف كثيرا ما يجعل اللغة العامية وسيلة فى التعبير ، وكنا نود أن يستعيض عنها باللغة الفصحى ، خاصة وأنه فعل هذا فى بعض القصص التى وردت بالمجموعة أما قصة « الرقيب » فمع أنها تتسلسل بين يدى القارىء وفى ذهنه تسلسلا سهلا سلسا ، الا أنها تنتهى نهاية قد لا تعجب القارىء بعد التفاصيل الشائقة الحسنة .

ثلاث مقالات عن السكان

ثلاث مقالات عن السكان .
تاليف : توماس مالتس وجوليان هكســـلى وفردريك اوزبورن .
ترجمة : محمد مرسى ابو الليل . مراجعة : الدكتور عز الدين فريد •
الناشر : دار الكرنك . بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب . ١٨٨ صفحة . ١٧ × ٢٤ . ث ١٢ر٥ قرشا .

من المشاكل الهامة التى يعيشها عالم اليوم مشكلة الاطراد المتزايد فى عدد السكان ، مع اطراد ضئيل فى نســـبة

المواد الغذائية التى تكفى لان يحيا هؤلاء السكان . فقد تضاعف عددهم أربع مرات فى مائتى عام بمتواليات هندسية ، لا تتناسب والموارد التى يعيشون عليها والتى تتزايد بمتواليات حسابية ، هذا مع ملاحظة ان نسبة الزيادة ليست متساوية عند جميع سكان العالم فى انحائه المختلفة بالنسبة لمواردهم الغذائية . ففى المناطق المكتشفة حديثا ، وبخاصة استراليا وأمريكا الشمالية مجال متسع يساعد على حل هذه المشكلة ، ولكن من القيود السياسية والاجتماعية والدينية ما يمنع من هجرة بعض الشعوب أو الحد من هجرتهم ، - وهم فى كثرتهم شعوب الشرق الاقصى - الى هذه البلاد .

وكان أول من نبه الى خطورة هذه المشكلة هو توماس مالتس رجل الدين الانجليزى فى أوائل القرن التاسع عشر ، ولكن المشكلة أيام مالتس لم تكن فى خطورتها الحالية ، وخاصة بعد اكتشاف أراض جديدة اسهمت فى الحد من خطورتها ولكن الازمة لم تلبث أن عادت بصورة أكثر وضوحا فى القرن العشرين ، ومن ثم جاءت مقالتا جوليان هكسلى وفردريك أوزبورن ، تعبران عن احتياجات الجيل المعاصر لحل هذه المشكلة .

ووجهة نظر مالتس وجهة متشائمة ، والحلول التى وضعها لمشكلة النمو السكانى ليست حلولا مطلقة ، لما يعترضها من عوامل الضعف البشرى وعدم ضبط النفس ، وحتى ما ذكره من امكان تحسين وسائل الانتاج والهجرة ، فانما هى حلول وقتية ، ولربما انسحب هذا على الهجرة دون الوسيلة السابقة لها ، فاننا نعيش فى عصر به تقدم علمى كبير . أما مقالتا هكسلى وأوزبورن ففيهما وجهة نظر أكثر واقعية من مقالة مالتس ، فليس حل مشكلة السكان فضيلة تمنح صاحبها السعادة فى الدنيا والآخرة فحسب ، وانما هو أيضا وسيلة الى توازن بين الانسان وبيئته ، ويكون التقدم الفنى عاملا هاما بل قد يعد أهم عامل فى هذا الصدد .

والكتاب الذى جمع ثلاث مقالات فى السكان كتاب هام بالنسبة للظروف الحالية للجمهورية العربية المتحدة ومفيد لها أيضا ، فمع انه يعبر عن افكار أجنبية فى مشكلة السكان ، لا تختص أساسا بهذه المشكلة لدينا ، الا ان به عرضا طيبا وتعريفا صحيحا متسما بالعمق والدراية وشمول الدراسة مع بيان وسائل مناسبة الى حد بعيد لحل المشكلة .

فى صحبة العقاد

بقلم : محمد طاهر الجبلاوى . الناشر : مكتبة الانجلو المصرية . ٢٢١ صفحة ١٧×٢٠ . ث ٢٥ قرشا

فى يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ غادرنا راحل كريم ، وبعد شهور قليلة نستقبل الذكرى الأولى لهذا الراحل الكريم .

وهذا الكتاب ألفه صديق كريم ، يحمل لأستاذنا العبقرى معانى سامية للحب والاخلاص والوفاء .. لن نتحدث عنه كثيرا ، فالمقام يضيق لأن يتسع للحديث عن هذا الكبير الراحل . العقاد .. نعرفه جميعا ، ويعرفه صاحب هذا الكتاب أكثر مما نعرفه نحن ، فقد صحبه ولازمه فترة طويلة من حياته تربو على الأربعين عاما ، لا يفارقه الا اذا حدث ما يوجب هذا الفراق وهو قليل .

الكتاب اذن ممتلىء بالذكريات ، حافل بأسرار دقيقة عن حياة فقيدنا العظيم ، بيد أن الأستاذ المؤلف لم يطالعنا بكل ما يعرفه عن العقاد ، وبعض ما جاء فى كتابه يعرفه أوساط المثقفين . لكن هذا لا يغض من قيمته فى شىء ، ولا ينتقص منه فى شىء أيضا ، فلم يأت الأوان بعد لأن يكتب عن العقاد على مثال ما كتب عن الأدباء العالميين الذين علا شأنهم وجل ذكرهم .

والكتاب - الى هذا - عرض لسيرة العقاد منذ نشأته الأولى ، وبيان للظروف التى عاشها وآرائه فى الأدب والمرأة والحياة ، مع الاشارة الى دوره الوطنى الكبير سياسيا وأدبيا.

عرفنا العقاد فى هذا الكتاب أديبا شهما ناصع الحجة قوى البيان وانسانا وطنيا مخلصا مؤمنا شديد الايمان مثاليا أبعد ما يكون فى دنيا المثل .

وكان المؤلف صريحا حين تحدث عن حب صديقه لسارة ومى وقبلهما أحب وبعدهما أحب ، وكان صادقا حين أبرز أن العقاد كان كريما فى وقت تهاوت فيه معايير الكرامة .

وكان المؤلف ، منصفا لأنه أنصف العقاد فيما ذهب اليه وفى أخص ما ذهب اليه ، على وجه عام وبقدر ما استطاع .

تحية من قلوبنا للأستاذ الشاعر والصديق الوفى ، وعزاء لنا فى فقيدنا العبقرى والأستاذ الكبير .

أسس التربية البدنية

تاليف : تشارلز . أ . بيوكر
ترجمة : الدكتور حسن معوض والدكتور كمال صالح عبده .
مراجعة : فرحات مرزوق .
تقديم : محمد على حافظ .
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين .٧١٠ ص ١٧×٢٤ . ث ١٦٣ قرشا .

التربية البدنية من الفروع الهامة فى التربية على وجه عام ، ولا يخفى أثرها وأهميتها للشباب وبخاصة فى دور نهوض الأمم وفى وثبتها الأولى . وهى ليست بالشىء السهل، أو الذى يأتى دون ما تنظيم أو دراية ، وانما هو يحتاج الى دراسة أكاديمية علمية ، الىجانب الدراسة العملية المعروفة .

وهذا الكتاب الفه أستاذ متخصص فى التربيـــة وفى مجالات التربية بأنواعها وترجمه وراجعه وقدم له أساتذة متخصصون فى علم النفس والصحة والتربية .

وقد بين المؤلف أهمية التربية البدنية بقوله : لقـد أكد سقراط فائدة استخدام التربية البدنية استخداما شاملا ، وأهمية الصحة فى تحقيق أغراض الحياة ، وقال انه حتى فى عملية التفكير التى يبدو أن الجسم يستخدم فيها بأقل القليل ، فان الصحة المعتلة يمكن أن تؤدى الى أخطاء جسيمة . واعترف أفلاطون بأهمية التربية البدنية لكل من الرجال والنساء ، واعتقد أن التربية البدنية والموسيقى ناحيتان هامتان فى التربية . ونادى ارســـطوطاليس بأن الجسم والروح مرتبطان ، وأن الملكات العقلية تتأثر بحركات الجسم وحالته الصحية ، والتربية البدنية يجب أن تساعد الشخص على أن يحيا حياة فاضلة ، ولكنها لا تساعده على أن يجعل الغرض من حياته الغزو وهزيمة الغير .

والكتاب يبحث فى التربية البدنية والأسس التى تقوم عليها وفلسفتها بصفتها جزءا من التربية العامة وعـــلاقة التربية البدنية بالصحة والترويح والمعسكرات التى تقام للشباب . كما عرض لتاريخ الرياضة وتطورها منذ نشأتها ، وتحدث عن الأسس العلمية لها ، وأثرها فى اعداد القادة ، والوسائل الصحيحة لأعداد هؤلاء القـــادة . كما عرض للمؤســسات التى تختص بالتربية البدنية فى أنحاء الولايات المتحـــدة .

النـــيل يــتحول

تاليف : محمد حسنى أمين
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ــ كتب قومية ــ ٢١١ صفحة ١٧×٢٤ . ث ٥ قروش

من المشروعات العظيمة التى تعيش معنا الآن ، والتى كانت فى يوم من الأيام أملا يطوف بخاطرنا ، ولا نستطيع تحقيقه ، أو كان هذا التحقيق بعيدا كل البعد عن الواقع الملموس ، ذلك المشروع الخالد الذى نعرفه جميعا بمشروع الســد العالى .

وتتفتح أهمية هذا المشروع من النتائج المترتبة عليه ، من التوسع فى رقعة الارض المنزرعة ، وتحسين وســـائل الرى ودرء أخطار الفيضان ، وانتاج طاقة كهربائية كبيرة تساعد على النهضة الصناعية التى نراها الآن .

وعلى هذا فالسد العالى يعد من الرموز الدالة على اصالة هذا الشعب ، وعلى طموحه المتزايد من أجل حياة ترفرف عليها أجنحة السعادة والرفاهية . وقد أوضـح الميثاق ذلك حين يقول « ان هذا السد أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة ، كما أنه رمز لارادته فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيرة من الفلاحين لم تسنح لها هذه الفرصـــة ، عبر قرون طويلة ممتـــدة من الحكم الاقطاعى » .

وفى هذا الكتاب يشرح المؤلف طبيعة هذا المشروع ، والوسائل التى اتبعت فى تنفيذه ، والعقبات التى وقفت فى سبيل تحقيقه ، والدور البطولى الذى قام به الشعب لصد هذه العقبات ، وعلاقة السد بالمجتمع الاشتراكى ، وموقعه بين المشروعات العالمية المماثلة .

يقول المؤلف : ان مما يضاعف من احساسى بالسعادة والرضا أن أكون واحدا من الثلاثين الفا الذين أتيحت لهم الفرصة ليسابقوا الزمن ، ويحسبوا الأيام والساعات التى تمضى من العمل العظيم فى تحويل النيل وبناء السد العالى. وستظل الأجيال القادمة تذكر لهذا الجيل أنه استطاع أن ينتصر على الاستعمار وعلى الطبيعة ، وأن يقهر النهـر والجبل ، ويحقق المعجزة ، ويفتح باب الرخاء والرفاهية لآلاف السنين القادمة ، بقيادة واحد من أبناء الشعب من بنى مر هو « جمال عبد الناصر » .